ناجي علوش

حول الحرب الأهلية في لبنان

مكتبة
ناجي علوش

سلسلة الثقافة الشعبية
- ٣ -

الحقوق محفوظة

الطبعـة الاولى
كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٦

مقدمة

لم تنته الحرب اللبنانية بعد ، ومع ذلك فانني اقدم ما كتبته عنها وحولها خلال السنتين الماضيتين · وذلك لان مرحلة من هذه الحرب قد انتهت ، وبدأت مرحلة اخرى · ثم لان كثيرا من القضايا ما زالت لم تناقش بعد ·

وهناك بالاضافة الى ذلك سبب هام ، وهو نشاط القوى الرجعية والانعزالية في نشر افكارها واخبارها عن الحرب ، واغراقها الاسواق بوجهات نظرها ···

الحرب لم تنته بعد ، لان الذين خططوا لها ما زالوا يريدون لها ان تستمر حتى تنتهي المقاومة ، وتسيطر القوى الرجعية الانعزالية على لبنان سيطرة كاملة ··· ولذلك يجب ان نواصل المعركة ، وأن نكشف ابعاد ما جرى ، وما يجري ، لانها معركة الوطن العربي كله·

وهذه الصفحات دراسات كتبت قبل الحرب وخلالها ، نشر قسم منها ، ولم ينشر آخر ، وهي تعالج الحرب : اسبابها وتطوراتها وعلاقاتها بسياسة العدو الصهيوني والامبريالية الاميركية والقوى الرجعية العربية ·· وتطرح وجهة نظر في هذه الوقائع والحوادث ·

وانا اذ اقدمها للنشر ، فلاننني اريد لها أن تكون مساهمة في مناقشة مسائل الحرب الاهلية اللبنانية ·

وآمل ان استطيع استكمال الدراسة التي بدأتها حول مجرى الحرب ومعاركها الاساسية ·

المؤلف

نحو مرحلة جديدة في الثـــورة الفلسطينية

بقلم
ناجي علوش

(افتتاحية كتبت لمجلة « دراسات عربية » العدد ٧ ، ايـار (مايو) ١٩٧٣) ٠

كانت الغارة على منازل القادة الثلاثة صباح ١٠ـ٤ بداية مرحلة جديدة في حملة التصفيـــة الشرسة التي تقوم بها دولـــة الاحتلال الصهيوني ضد الثورة الفلسطينية ٠ ولقد جاء هذا التصعيد المتوقع، بعد فشل كل حملات الإبادة التي قامت بها قوات الاحتلال ضد قواعد الثورة ومواقعها خارج الارض المحتلة ، وفشل كل محاولات القمـــع والمطاردة التي قامت بها قوات الاحتلال في الداخل، ذلك ان الغارات التي قامت بها قوات الاحتلال على لبنان وسورية ، والهجمـات التي استهدفت بها جنوب لبنان لم تستطع ان تحقق اهدافها ، مثلها مثل حملات القمع والمطاردة في الداخل ٠ واذا كانت الغارات والهجمات على لبنان قد ادت الى تجميد النشاط المسلح من الحدود ، فان هذا التجميد ، وهو تراجع كبير ، لم ينه الثورة في الخارج، ولا ضعضع امكانيات عملها في الداخل ٠

ومن هنا صعد العدو حملته مستهدفا منها ما يلي :

اولا : توجيه ضربات موجعة للثورة، ماديا ومعنويا، وذلك بضرب قياداتها ، اضافة الى ضرب كوادرها وقواعدها وجماهيرها (الغارات

على القواعد والمخيمات في الخارج وحملات الاعتقالات والمطاردات في الداخل) ٠

ثانيا : الضغط على لبنـــان من اجل دفعه الى مطـــالبة الثورة بتنازلات جديدة ، عن طريق الحملات العسكرية والغارات ، ومن ثم حملات الضغط السياسي ٠

وعلى الرغم من ان الضربة موجعة فعلا ، فان الثورة قادرة على ان «تتحملها» ٠ الا ان الموقف الرسمي اللبناني هو العقدة التي تحتاج الى حل ٠ وتتلخص عقدة الموقف اللبنـــاني في ان لبنان الرسمي ، بعجزه وضعفه وتخاذله وارتباطاته العربيـــة والدولية ٠٠ اميل الى التخلص من المشكلة بالتخلص من الثورة ، من قواعدها ومواقعهـــا ومشاكلها ٠ ولذلك فان قضية الوجود السياسي والعسكري على ارض لبنان مطروحة للبحث الان ٠

ولبنان الرسمي لا يعدم الحجـــج والمبررات ٠ وهنالك كثير من المبررات «القوية» من وجهة نظره ٠ من هذه المبررات ان لبنان وحده لا يستطيع ان يتحمل اعباء الثورة الفلسطينية ٠ ومنها ان العرب لم يتفقوا على الحرب ، ولم يضعوا خطـة يكون للبنان دوره فيهـا ، وللمقاومة دورها ايضا ٠ ثم هنالك حجة لبنان الرسمي التقليدية التي تقول بأن امكانيات لبنان المادية ـ ماليا وعسكريا ـ لا تسمح له بأن يواجه حتى لو اراد ٠

ويقدم لبنان مبرراته ، متخذا من مواقف الانظمة العربية وعجزها، دليلا على عدم منطقية مطالبة لبنان بتحمل مسؤولية القتال ٠ ويقارن المدافعون عن موقف لبنان الرسمي بين امكانيـــات لبنان وامكانيات الدول العربية ، فيجدونه اقلها من حيث الامكانيات ٠

فكيف يمكن ان تواجه الثورة عقدة الموقف اللبناني ضمن الظروف الحالية ؟ ان علينا قبل ان نجيب على السؤال ان نبين ان هنالـــك

مجموعة من العوامل التي تجـــري « بما لا تشتهي السفن » ·وهذه العوامل هي :

١ ـ هنالك حملة التصفية الشرسة التي تقودها الولايات المتحـدة الاميركية ، ودولة الاحتلال الصهيوني والنظام الاردني والقوى الرجعية العربية ضد الثورة الفلسطينية وحركة التحرر الوطني العربية ·

٢ ـ هنالك التوجه العربي الرسمي نحو مزيد من التراجعات ، ونحو محاولة ايجاد حل عن طريق الولايات المتحدة الاميركية ·

٣ ـ وهناك التوجه العربي نحو انهـــاء « مقاومة الجماهير » ، وتحديد صيغة لتمثيل الشعب الفلسطيني ، تناسب علاقات الشـــعب الفلسطيني بالانظمة وتبعيته لها ·

ان هذا كله يعني ان مواجهة الثورة لعقدة الموقف اللبناني ستكون ضمن واقع غير مؤات ، وضمن ظروف صعبة· فالثورة الان لا تواجه النظام اللبناني في اتجاهه نحو مزيد من الاستسلام فحسب ، بـــل تواجه خطا عربيا استسلاميا اكبر من لبنان الرسمي ·

ولا بد من ان تكون هذه الحقيقة واضحة ، حتى لا نحاول ادخـــال الفيل من ثقب الابرة· وهذا يعني ان الحل لا يكون في لبنان فحسب، وانه يجب ان يتعدى لبنان بالضرورة ·

وتستطيع الان بعد هذه المقدمة ان نحدد كيف تستطيع الثـــورة مواجهة عقدة الموقف اللبناني الرسمي ، ومن ثم عقدة الموقف العربي الرسمي ·

انها تستطيع ان تواجهه بما يلي :

أولا ـ على الصعيد الفلسطيني

الاستعداد لمواجهة مهمات المرحلة الجديدة عن طريق ما يلي :

أ ـ اعادة بناء القوى تثقيفا وتدريبا وتسليحا ، لتكون بمستوى المرحلة الجديدة ، مستوى مجابهة العدو الخارجي (العدو الصهيوني والامبريالية) ومستوى مواجهة العدو الداخلي (الصدامات والحروب الاهلية) ٠

ب ـ توطيد العلاقات الجبهوية داخل منظمة التحرير واعادة بناء اجهزتها على اسس تجعلها مؤهلة لتمثيل ارادة الجماهير الفلسطينية والدفاع عن مكتسباتها ٠

ج ـ تعبئة الجماهير الفلسطينية تعبئة ثورية شاملة عميقة لتستطيع ان تتحمل مسؤولياتها ٠

وهذا يعني المزيد من التنظيم ، المزيد من التدريب والتسليح ، المزيد من التعبئة ،المزيد من اليقظة ، والمزيد من النضال لاسقاط العقليات المتحجرة والمنفعية ، ولكشف جيوب التآمر والمعفن التي عششت خلال السنوات الماضية ٠

وهذا يعني أيضا ان تعبئة كل ابناء الشعب الفلسطيني على اساس اننا متمسكون بأهدافنا الاستراتيجية حتى الموت ، واننا سندافع عن مواقعنا ومكاسبنا ، عن مكاتبنا ومخيماتنا وبنادقنا دفاعا مستميتا٠ لاننا نحمي ارادتنا السياسية الحرة بهذه المواقع وهذه البنادق٠ الا اننا نحمي العلنية بالسرية والشرعية بالقوة الثورية والجماهيرية ، وكل اشكال العمل السياسي والمسلح ٠

وهذا يعني ثالثا محاربة كل النزعات الاستسلامية التي تحاول ان تقنعنا بالتنازل عن اهدافنا الاستراتيجية : تحرير كامل التراب الفلسطيني ، واسقاط الكيان الصهيوني تحت ستار الواقعية والمعقولية وكسب الاصدقاء ، ومحاربة كل النزعات التصفوية التي تحاول ان تقنعنا بالتنازل عن مكاسبنا ومواقفنا وبنادقنا باسم العودة الى السرية ٠ لان السرية لا تعني التنازل عن البنادق ، ولا عن المناطق المحررة ٠

ثانيا ـ على الصعيد العربي :

استنهاض الجماهير العربية وقواها الوطنية لتكون درع حمايـــة للثورة ، ولتشارك في صد الهجمات الشرسة عنها • وهذا يقتضي :

أ ـ ان تهب القوى الوطنية العربية في كل الاقطار العربية من أجل دراسة المرحلة والاحاطة بكـــل ابعادها ، ومن اجل وضع الخطط لتحمل مسؤوليات المرحلة الجديدة •

ب ـ ان تهب لمباشرة النضال اليومي من أجـــل رص الصفوف ومواجهة حملات التصفية والاستسلام •

ج ـ أن تعتبر قضيـة تحريـر فلسطـين من القضايـا الرئيسيـة • للثورة القومية الديمقراطية العربية ، وان تعبىء قواها للمشاركة في القتال من اجل تحريرها •

د ـ ان تناضل من اجل تعبئة كل طاقات الامـــة العربية لمصلحة القتال ضد العدو الصهيوني •

ان المهمة كبيرة وشاقة ، ويزيد من صعوبتها ان قياداتنا الوطنية، ليست قادرة عليها ، الا جزئيا • ولذلك فاننا مطالبون بالنضـــال والنضال بشراسة لمنع العدو من تنفيذ مخططـــاته ، ولنخلق ، من خلال النضال ، القيادات والاطر التنظيمية واساليب العمـل القادرة على السير بالنضال حتى النصر •

واذا كان العدو قد اراد من ضربته صبيحة ١٠ـ٤ـ ان يجعلنا اكثر ضعفا وضياعا وانعزالا ، فلنجعل من هذه الضربة عبرة • ولنتعلم منها كيف نكون اكثر تنظيما ، واكثـــر عنفا ، اكثر تصميما على القتال ، اكثر التحاما بجماهيرنا الفلسطينية والعربية ، اكثر تمسكا بأهدافنا، واكثر قدرة على اكتشاف نقائصنا وعيوبنا والتخلص منها•

وليكن واضحا لنا جميعا ان الجماهير ، فلسطينية وعربية ، هي حامية الثورة ، وهي وحدها التي تستطيع حمايتها • وان هذه الثورة الان بحاجة الى هـــذه الجماهير اكثر من اي وقت مضـــى • وان الجماهير المستعدة تزداد قدرة بمقدار ما تعبأ وتنظم وتدرب وتمتلك السلاح •

وما دامت الحكومات والقيادات لا تقـــوم بهذه العملية ، فعلى الجماهير ان تبحث عن وســـائل امتلاك القوة : التعبئة والتنظيـــم والتدريب وامتلاك الاسلحة ، والقتـــال ضد العدو ، والنضال ضد القيادات المترددة والعاجزة والخائفة •

ان العدو سيظل قادرا على احتلال هذه البلاد وامتهان كرامتهـا الوطنية وانتهاك شرف استقلالها ، ما لم تتحول الى غابة من البنادق، وما لم تصبح مدنها وقراها مستنفرة دائما لمواجهته •

واذا كان لبنان يحس بضعفه امـــام العدو ، فلماذا لا نسد ثغرة الضعف هذه عن طريق تعبئة الجماهير وتنظيمها وتدريبها وتسليحها؟ ولماذا لا نوسع الجبهة على العدو ، فنصعد النضال من الجبهـــات العربية الاخرى ، حتى يخف الضغط على لبنان •

وان الثورة الفلسطينية مطالبة بأن تلعب دورها الاساسي في هـذا المجال • ولكي تلعبه لا بد لها من ان تعيد النظر بأوضاعها اولا ، ولا بد لها ثانيا من ان تعيد النظر بفكرتها عن الجماهير العربية ودورها•

ولكي يحدث هـــذا التغيير لا بد من ان يناضل في سبيله كـــل المناضلين الواعين ، وكـل الحريصـين علـى استمرار الثـــورة وانتصارها •

ـ ٢ ـ

لقد استشهد ثلاثة من القادة صبيحة يوم ١٠ـ٤ •

واستشهادهم في الظروف التي استشهدوا فيها يدل على ان هذه الثورة مستهدفة كما لم تكن من قبل · واذا لم نع هذه الحقيقة جيدا، فاننا نكون كمن ينتظر مصيره الفاجع ، لحظة ولحظة · والاستشهاد حياة اخرى ، ولا طريق للمناضلين غير طريق الاستشهاد ، ولكن مواجهة الاعداء ليست استشهادا فحسب ، انها استشهاد وجلاد : مخاطرة ومناورة ، قبول بالموت وعمل دائب من اجل الحياة · وعليه فاننا مطالبون بان نعد للقتال عدته ، وان نعد انفسنا للقتال الطويل المدى ، ونعمل على ان نجعل كل سلوكنا وحياتنا جزءا من حياة القتال ·

ولنعلم اننا لا نستطيع ان نقض مضاجع الاعداء وننام في بيوتنا هانئين مطمئنين ، ولا ان نكيد للخصوم ونحن نفتح بلادنا لهم ، ونفتح مكاتبنا وحتى صدورنا لعملائهم ·

وقديما قالت العرب : الحرب خدعة · والحرب ، في وجه من وجوهها خدعة ، وعلينا ان نتعلم الخدعة ، ونتعلم مواجهتها ، من بين امور اخرى ، لنستطيع ان نحارب ·

ولقد سقط الشهداء الثلاثة ، وسقط قبلهم ابو علي اياد شهيدا ، ووقع ابو داوود اسيرا ، واستشهد وائل والهمشري وابو سامي · وسيسقط اخرون واخرون · ولن يهزنا استشهادهم ، اكثر من الهزة الوجدانية ، اذا تعلمنا الدروس من شهادتهم · واول هذه الدروس : ان نتقن لعبة الحرب · فاذا لم نتقنها اخذت الهزة تزداد عمقا ، وتحولت من هزة وجدانية الى هزة سياسية · وهذا ما يريده العدو·

لذلك علينا ان نتمسك بالبنادق لنستطيع ان نزداد بالحرب علما ، لان الذين يلقون البنادق لا يتعلمون القتال بل يتعلمون الاستسلام ·

ولذلك علينا ايضا ان نزداد تمسكا بالقضية وباهدافنا الاستراتيجية

لان العدو يريدنا ان نتنازل ، ان نتراجع خطوة خطوة ، حتى نجد انفسنا في النهاية ساقطين ٠

وخير انتقام للشهداء الثلاثة وللقضية ان نزداد اصرارا ، وان نزداد تنظيما ، وان نزداد انضباطا ، وان نزداد التحاما بالجماهير، واستنهاضا لقواها ٠

وبهذا لن يزيدنا عنف العدو الا عنفا ، ولن يزيدنا استهتاره الا اصرارا ٠٠٠

لنقف عند استشهاد القادة الثلاثة ، ولكن وقفة المصمم على استمرار القتال ،العازم على تصعيد النضال ، الهادف الى اعادة بناء قواه وسط المعركة ، ودون ان يتوقف ٠

الحوار والصدام في لبنان

(افتتاحية « دراسات عربية » العدد ٨ حزيران ١٩٧٣) ٠

توقفت المعركة التي بدأتها السلطة في الثاني من ايار ، بعد ان سقط مئات القتلى والجرحى ، وخسر لبنان ما يزيد على مائة مليون ليرة لبنانية ٠وها هو الحديث يدور في هذه الايام عن التفاهم والاتفاق ، والنيات الصادقة وضرورة الحوار ٠ ولكن ألم يكن ممكنا ان يبدأ الحوار قبل الصدام ؟

لقد كان ممكنا من الزاوية الفلسطينية ٠ ذلك ان المقاومة لم تكن حريصة على الصدام ، ولم تكن ترفض الحوار او تتحاشاه ٠ ثم انها لم تقطع حوارا بدأ، ولا سدت الابواب امام المبادرين الى الحوار ٠ وكان يبدو في الظاهر ان سياسة التفهم والتفاهم هي التي تحكم العلاقات بعد أزمة ايلول سنة ١٩٧٢ ٠ وجاءت حادثة اغتيال القادة الثلاثة ، فأبدت الجماهير اللبنانية نقمتها وسخطها ، وقدمت السلطة « مجاملاتها » ، وقام الاخ ابو عمار بزيارة الرئيس فرنجية ، وكتبت الصحف وقتها ان الرجلين تفاهما ٠

ثم بدأ الهجوم يوم ٥/٢ ٠

فلماذا بدأ ؟

ان الهجوم لم يكن صدفة ، ولا كان نتيجة حوادث صغيرة او مخالفات قامت بها هذه الجبهة او تلك من المقاومة ٠ لقد كان الهجوم

نتيجة مجموعة من العوامل الداخلية والخارجية ، اللبنانية والعربية والدولية • وهذه العوامل هي :

اولا :لبنانيا ، تمثل السلطة اليمين الرجعي ، المكون من الزعامة الانعزالية ، المعادية لحركة التقدم العربي ، ومن الزعامات الطائفية الاخرى ، العميلة للزعامة الانعزالية ، أو المرتبطة بها ، بشكل او آخر • ومحور هذه السلطة اليمين الرجعي الانعزالي مرتبط بالرجعية العربية من جهة وبالامبريالية الاميركية من جهة اخرى • ولهذا فهو ضد الثورة الفلسطينية من نواح عدة ، وهو ضدها تحديدا للاسباب التالية :

أ ـ لانها تخل بميزان القوى الداخلي ، اذ ان المقاومة في النهاية جزء من الحركة الوطنية اللبنانية ، شاءت المقاومة او ابت ، ومن هنا تكثر اوساط اليمين من الحديث عن خطر تسييس المقاومة ،وعن انحياز فئات منها الى هذا الجانب او ذاك • ان نمو حركة المقاومة، وزيادة تفاعلها مع الجماهير اللبنانية يهز فكرة لبنان الصغير الذي اصبح لبنان الكبير ، والذي تريد الفئات الانعزالية ان تقنع ابناءه كلهم بفكرة لبنان الانعزالي الذي هو من «الغرب ••• » والذي هو ليس من العرب الا بالسياحة والتجارة ، وعلى موائد المجاملات •

ب ـ لان ارتباطات لبنان الدولية ، وارتباطه اساسا بالدوائر الاميركية يفرض عليه ان يخضع لسياسة هذه الدوائر • وتعمل هذه الدوائر ، في هذه الايام ، من اجل سحق حركة المقاومة الفلسطينية وترسيخ الوجود الصهيوني بتكريس انتصار حزيران سنة ١٩٦٧ ، وفرض التهدئة على المنطقة العربية • وحين اعتدي على لبنان صباح العاشر من نيسان سنة ١٩٧٣ ، وطرحت القضية على مجلس الامن، وقفت ثلاث دول كبرى ضد ادانة العدوان ، ووقفت فرنسا مع لبنان، شفقة عليه ، لا تاييدا له • وهذا يعني ان هذه الدول تدفع لبنان علنا الى اتخاذ موقف من المقاومة • ان عليه ان يحسم ، فاما ان يقبل

المقاومة ويخسر « العالم » ، او ان يكسب « العالم » ويخسر المقاومة· ولبنان السياحي التجاري العميل للرأسمالية العالمية ، لبنان سعيد عقل ، يفضل ان يكسب « العالم » ، ويخسر المقاومة ·

ج ـ لان دولة الاحتلال الصهيوني ، تقوم بضغط مكثف وواسع لدفع السلطة في لبنـــان الى ضرب المقاومـــة · لا تخفي الدوائر السياسية والعسكرية في دولة الاحتلال هذه الحقيقة · انها تريد ان تدفع لبنان الى ان يقوم بما قامت به السلطة في الاردن · وبهذا تدفع دولة الاحتلال الاوضاع في لبنان والبلاد العربيـــة الى تصعيـد الصراعات الداخلية ، والى تاليب القوى المضادة للثورة على قوى الثورة·ان ما تريده دولة الاحتلال من هذا كله، ليس تصفية المقاومة الفلسطينية فحسب ، ولا ضرب قوى حركة التحرر الوطني العربية فقط ، انها تريد بلورة اتجاه عميل ، يقف علنا ضد الحرب مع دولة الاحتلال ، ويعمل علنا على سحق قوى الثورة المتصاعدة ، ويتجـه نحو اقامة علاقة « سلام » مع دولة الاحتلال · ومثل هذا الاتجاه لا يمكن ان يخرج ويتبلور الا عبر الصدامات الداخليـــة والحروب الاهلية · ولقد تقرر صدام ايار صباح العاشر من نيسان . كما تقرر صدام ايلول في الاردن يوم العاشر من حزيران ·

ثانيا : عربيا ، ان الاتجاه الغالب هو اتجاه التسوية ، مهما جرى الحديث عن القتال · واتجاه التسوية مرتبط بسياسة داخلية لا تثـق بالجماهير ولا تعمل على تسليحها وتدريبها ، هذا عدا انها تخشى ان تصبح الجماهير قوة مدربة ومسلحة · واذا كان هذا هو الوضع عموما على الصعيد العربي ، فان الوضع الفلسطيني مختلف ،هناك جماهير تنظم وتدرب وتسلح نسبيا ، وان كان ذلك كله يعاني مـــن نقائص اساسية · وعلى الرغم من كل ما تعانيه الحركة الوطنيـــة الفلسطينية من نقائص وعيوب اساسية ، فانها ما زالت تقف عائقـا امام مبادرات التسوية ، وما زالت تلهب الجماهير العربية ، وتدفع

طلائعها الى طريق العمل المسلح،وهذا كله يهدد استراتيجية التسوية في المنطقة ·

ولهذا ليس غريبا ان نسمع اصواتا غير رجعية في هـذه الايام تنادي بأن تصبح المقاومة جزءا من المخططات العربية الرسميـة · كما انه ليس غريبا ان نجد من يطالبون باخضاع المقاومة وجماهيرها المسلحة الى التقاليد العسكرية النظامية ، وان نسمع من يطالب بالا يسلم السلاح « للمقاتل » الا اذا كان في مهمة ·

ان هذه الاصوات « الرسمية » تنادي علنا بانهاء المقاومـة ذات الطابع الشعبي ، وذات الارادة المستقلـة ، من اجل انهاء ظاهرة التسلح الشعبي ، وانهاء قوة اساسية هي المقاومة الفلسطينية ، مـا زالت خارجة على مخطط التسوية ·

ولبنان الرسمي جزء من الواقع العربي · ولقد وافق على اتفاق القاهرة ، عندما كانت مصر تخوض حرب استنزاف ، وعندما كانت الاردن معقلا لآلاف المقاتلين الخ · واليوم لا حـرب استنزاف ، ولا مقاومة في الاردن ، فلماذا لا يلغي لبنان اتفاقية عقـدت في ظروف مغايرة ·

ثالثا : دوليا ، تخوض الولايات المتحدة الامبركية حربا شرسـة ضد المقاومة ، وتسعى لتوحيد قوى الامبريالية كلها ضد مـا تسميه الارهاب الدولي · ولقد بدأت مرحلة جديدة من مراحل استراتيجيتها، بعد عملية الخرطوم · وتتفق الاستراتيجية الامبريالية في هذا المجال مع استراتيجية العدو الصهيوني،وتقوم هذه الاستراتيجية على أساس الهجوم : ضرب مواقع المقاومة في كل مكان ، وسحق قواها بمختلف الوسائل ·

واذا كانت الامبريالية الامبركية، تعتمد اساسا على قوات الاحتلال في هذه العملية ، فانها تعمل على ان تشرك القـوى المضادة للثورة

ايضا • لان اشراك هذه القوى يضمن تصعيد حملة التصفية، ويوفر قوى اوسع للمشاركة فيها • كما انه يعطي لها ابعادا جديدة •

اذا ادركنا هذا كله اتضح لنا ان الحوار بين السلطة والمقاومة مرهون بعوامل متعددة ، وان عدم فهم هذه العوامل يقود الى الضياع• ولكي لا نخدع الجماهير الفلسطينية او اللبنانية او العربية، علينا ان نوضح ان الحوار ممكن اذا كانت السلطة محتاجة اليه ، او غير قادرة على مباشرة تقيضه : الصدام • وتكون السلطة في وضع كهذا اذا توافرت العوامل التالية :

ا ـ زيادة قوة المقاومة • وهذا يعني :

١ ـ الارتفاع الكيفي بقدرتها القتالية •

ب ـ تعبئة اوسع الجماهير الفلسطينية وتنظيمها وتسليحها واعدادها للقتال الطويل المدى ، واعداد المخيمات لقتال من هذا القبيل •

ج ـ توثيق عرى الوحدة الوطنية الفلسطينية وبلورتها من خلال الاجهزة الكفؤة الفعالة •

د ـ تصعيد النضال السياسي والقتال المسلح ضد العدو في الارض المحتلة •

هـ ـ تصاعد النضال ، بكل اشكاله ، ضد النظام الاردني •

٢ ـ تهيؤ الجماهير الوطنية اللبنانية والقوى الوطنية اللبنانية لحماية المقاومة بالعمل السياسي الواسع النطاق ، وبالاستعداد العسكري الملائم •

٣ ـ اندفاع الحركة الوطنية العربية وحركة الجماهير العربية نحو القتال ضد العدو ، وتصاعد النضال ضد الحلول الاستسلامية وسياسات التسوية والتصفية •

وهذا ما يجب ان يناضل من اجله كل الوطنيين العرب ، في كل الساحات • لان هذا النضال وحده هو الذي يلجم الرجعية العربية ، ويحبط مؤامراتها ، وهذا وحده هو الذي يجبرها على سلوك سياسة الحوار ، لا سياسة الصدام • ولكن القضية لن تحسم اذا لم تتبلور ارادة القتال وسياسة القتال في المنطقة ، واذا لم تصبح قوة القتال هي القوة الاساسية • وحتى ذلك الحين سيبقى الحوار من خلال الصدام هو منطق السياسة في المنطقة • وتستطيع المقاومة ان تبقى اذا استطاعت ان تحاور بعد كل صدام من خلال محافظتها على نفسها وعلى مواقعها ، ومن خلال استعدادها لصدامات اكبر •

ان الرجعية في المنطقة تزداد عنفا ودموية ، وعلى المقاومة والقوى الوطنية العربية ان تزداد صلابة وفعالية واندفاعا ، وان تتفوق على القوى المضادة باتقانها فنون النضال والقتال وبتجنيدها اوسع الجماهير للمعركة •

ولن تستطيع المقاومة والقوى الوطنية ان تواجه القوى المضادة الا من خلال الجماهير المعبأة المنظمة المدربة المسلحة •

لقد توقف القتال ، وبدأت المحاورات السياسية ، ولكن الصدام المقبل ليس بعيدا، ولا خارج منطق الواقع في المنطقة ومنطق السياسة فيها • وعلينا ان نحاور بمرونة ، ولكن ان نستعد بسرعة وشجاعة وفعالية • واذا كان علينا ان نعمل للسلام وكان السلام سيبقى قائما ابدا ، فان علينا ان نستعد للصدام وكان الصدام حاصل غدا •

١٩٧٣/٥/٢٠

حول احداث ايار في لبنان

(مقالة نشرت في «دراسات عربية» السنة التاسعة ، العدد ١٠ آب ١٩٧٣) ٠

عندما قامت قوات الاحتلال الصهيوني بعمليتها الخاصة في بيروت ليلة ٩ـ١٠ نيسان كانت تستهدف ، فيما تستهدف ، تحريك السلطة في لبنان للقيام بعملية ضد الثورة الفلسطينية ٠ ولم يكن ممكنا ان تقوم قوات الاحتلال بعمليتها ، من دون ان يكون الهدف مزدوجا : اصابة الثورة الفلسطينية بضربة موجعة ودفع السلطة في لبنان الى اتخاذ خطوة حاسمة٠ ومع ان اغتيال ثلاثة من القادة تكفي هدفا بحد ذاته، الا انه يظل هدفا محدودا بالنسبة لاستراتيجية العدو الشاملة٠ وهذه الاستراتيجية هي استراتيجية السحق الشامل للثورة الفلسطينية ٠ وتحاول قوات الاحتلال الان ان تركز على تنفيذ هذا المخطط في الساحة اللبنانية، لانها ساحة اساسية من ساحتي الثورة الباقيتين : سورية ولبنان ، ولان في لبنان الرسمي نقاط ضعف اساسية تساعد على تنفيذ هذا المخطط ٠

ويبدو ان الذين خططوا لعملية نيسان كانوا يرمون الى ان تكون عملية فردان نقطة البدء في الصدام بين الثورة والسلطة ٠ ولذلك عمل المخططون على محاولة جر الثورة والسلطة الى الصدام ٠ ولكن هذا لم يحدث ٠ ويعود السبب الى ان الحادث نفسه لم يجر الى الصدام الفوري الواسع كما كان مرجوا، مع ان قوات الامن اللبنانية التي جاءت الى فردان جاءت وهي تؤكد ان الصدام صدام بين قوات الفدائيين وقوات السلطة ٠ وعندما جاءت قوة نجدة تابعة للثورة

اصلتها قوة من الفرقة ١٦ نارا حامية ، وسـقط قتلى وجرحى من الطرفين • وحين وصل قائد الكفاح المسلح المقدم ابو خالد حجـز وضرب واهين • وكان ممكنا ان يقود هذا كله الى الصدام ، ولكن الوعي وضبط الاعصاب اللذين جابهت بهما الثورة ما حدث ، حالا دون حصول الصدام • وجاءت الهبة الجماهيرية لتقف في عضد كل الذين كانوا يريدون ان يجعلوا من الغارة الغادرة طريقا الى الصدام•

ولكن الهبة الجماهيرية وانتفاض قطاعات واسعة من الجماهير اللبنانية ضد العدوان الذي قامت به قوات الاحتلال ، وضد استخذاء السلطة اللبنانية ، زاد من مخاوف العدو الصهيوني والولايات المتحدة الاميركية والدوائر الرجعية اللبنانية • واذا كان المقصود من الضربة ان تستخذي الجماهير وتحس بأن لا مجـال الا الاستسلام ، فان ما حدث نقيض ما هدفت اليه الضربة• وما كان يمكن ان تمر ردة الفعل هذه دون أن تقوم الدوائر المعنية بعملية مضادة •

فمن ذا الذي يقوم بهذه الضربة ؟

لقد قامت قوات الاحتلال باغتيال القادة الثلاثة، اما الباقي فلماذا لا تقوم به السلطة في لبنان ؟• وهذا ما حدث يوم ١٦ـ٩ـ٧٢ ، في ذلك الصباح هاجمت قوات الاحتلال مواقعنا في الجنوب ، واعلنت السلطة هنا في بيروت حالة الطوارىء ، وبينمـا كنا نقاوم قوات الاحتلال ، كانت اخبارنا ممنوعة في بيروت ، وكانت السلطة اللبنانية تقيم الحواجز في وجوهنا ، وتعلن حالة الطوارىء •

الا ان الازمة مرت ، وتجنب لبنان كارثة مؤكدة • وما جرى تجنبه في لبنان يوم ١٦ـ٩ ، لم يكن ممكنا تجنبه يوم ٢ـ٥ـ٧٣ ، ذلك ان القيادة اللبنانية قررت ، وارادت خوض معركة قوة ، كانت تعد لها من يوم ١٦ـ٩ـ٧٢ •

وجاء حادث اختطاف العسكريين اللبنانيين ليعطي اشارة البدء•

وكانت المناورة هذه المرة مناورة قوة ، كما لم تكن من قبل · وهي لم تتجاوز حوادث ايلول سنة ١٩٧٢ فحسب، بل تجاوزت حوادث اكتوبر (تشرين اول سنة ١٩٦٩) · واذا كان الجنوب قد شهد سنة ١٩٦٩ صراعا دامياً ، فان بيروت ظلت هادئة نسبيا ، ولم تجعجع الالة العسكرية في سماواتها · وما لم يحدث سنة ١٩٦٩ حدث هذه المرة· عرفت بيروت رائحة دخان البارود وهدير الدبابات والمدفعية والطائرات · وخاب ظن الذين تصوروا ان السلطة حريصة على ان تظل بيروت هادئة مطمئنة · واثبتت التجربة خطأ تقديرات الذين تصوروا ان اختلاف الوضع اللبناني عن الوضع في الاردن سيجعل امكانية ضرب الثورة في لبنان بالقوة المسلحة امرا مستحيلا · كما كشفت التجربة ان الوعد الذي قطعه «العهد» ، بأنه لن يسمح بأن تضرب الثورة في ظل حكمه ، لا يعني عدم امكانية التراجع عن الوعد ·

ولكن ما حدث كان لا بد من ان يحدث · واذا كانت كل«المراهنات» قد سقطت ، فلانها قامت على «حسابات» لا يجوز الاعتماد عليها ، لانها اخطأت فهم خصوصية الوضع في لبنان ، وخصائص الوضع العالمي في المرحلة الراهنة ·

لقد انطلقت «المراهنات» من المنطلقات التالية :

اولا : ان تركيب السلطة في لبنان لا يسمح بأن يحدث في لبنان ما حدث في الاردن · فلبنان يقوم على اساس التوازن الطائفي · وهذا التوازن لا يسمح بأن تقوم السلطة بضرب الثورة لان البلاد تنقسم «طائفيا» · وهذا «الوضع» يقيد الحاكمين ، لانه يقسمهم من جهة ، ولانه يضعهم امام انقسام البلاد من جهة ثانية ·

ثانيا : ان لبنان بلد خدمات ، وان الخدمات تتاثر كثيرا بالاحداث السياسية والعسكرية· وكما تتاثر الخدمات تتاثر الصناعة والزراعة والتجارة · ولما كان حكام لبنان هم ممثلي اصحاب المصالح ، فلهذا

سوف يأخذ هؤلاء الحكـــام بالحسبان دائما مصلحة الطبقة التـــي يمثلونها ٠

ثالثا : ان لبنان مضطر لمراعاة الدول العربية المجاورة ، بسبب خشيته من العزلة السياسية ، وبسبب حاجته الى الاسواق العربية٠

رابعا : ان جيش لبنان صغير الحجم ، قليل الامكانيات ، وانـــه معرض للانقسام وطنيا وطائفيا اذا انقسمت البلاد ٠

ولكن الذين راهنوا على هذه العوامـــل تجاهلوا عوامل اخرى مقابلة ٠ وهذه العوامل هي :

اولا : ان قوة الحسم في النظام والحكم اللبنانيين هي في ايـدي فئة وطيدة الامتيازات من وجهة نظر الاقطاع السياسي تحتكر تمثيل الطائفة المارونية ٠ وهذه الفئة والمصـــالح التي تمثلها هي الاكثر تخلفا من الناحية السياسية بسبب ما يلي : أ ـ عقدة العداء للعرب التي تحكمها بسبب ترسبات ودعايات ومصـــالح ٠ ب ـ الشعور بضرورة الارتباط بقوة اجنبية٠ جـ ـ المصالح والارتباطات الاقتصادية والكمبرادورية التي تمثلها ٠ د ـ المواقع والمكاسب التي كسبتها في السلطة ، وفي الحياة الاجتماعية نتيجة التدخل الاجنبي ، ومن ثـم التركيب الطائفي للدولة واحتـلال الطائفة المارونية مكان الصدارة فيهـــا ٠

ولما كان هذا هو وضع الطائفة ، فانها عادة تفـرز لقيادتها القادة الذين يمثلون تخلفها وعقدها وارتباطاتها ٠ وهؤلاء يحتلون المواقـع الهامة في السلطة ٠

ان هذا الوضع السياسي يفرز حقائق سياسية معينة ، اهمهـــا مواقف السلطة وارتباطاتها ونظرتها للامور ٠

ثانيا : ان تركيب السلطة في لبنان ايضا، بما يمثله من الطوائف،

وبالقيادات التي يفرزها ، رئاسة الوزراء ، رئاسة مجلس النواب ، الوزراء ، النواب (اغلبية) تركيب رجعـــي يمثل اصحاب المصالح المتحالفين ضد الشعب • وهذا التركيب تحكمه مصالحه المعاديـــة للجماهير ، وارتباطاته العربية والدولية المضادة لحركـــة التقدم • ولذلك فان هذه التركيبة مع خط الاستسلام وضد خط القتال ، ومـــع المهادنة واستمرار الامر الواقع وضد الانتفاضة والثورة• وهي اخذت تزداد خوفا وارتباكا نتيجة زيادة قوة الثورة الفلسطينية ، ونتيجة تصاعد حركة الجماهير • وحين قامت السلطة باطلاق النـــار على عمال غندور المضربين ، او قامت بضرب مسيرة مزارعي التبغ كانت تفعل ذلك دفاعـــا عن مصالحها ، وخوفا من حركـــة جماهيرها المتصاعدة •

ولقد خلق لها نمو قوة حركة المقاومة وتصاعد حركة الجمـــاهير اللبنانية احراجا كبيرا، تحس انها مطالبة بحله• وليس هنالك طريق للحل غير القمع • واذا كان القمـــع قد اتجه الى حركة الجماهيـــر اللبنانية مرة ، والى حركة الجماهير الفلسطينية اخرى ، فانه هذه المرة يتجه الى الثورة الفلسطينية نتيجـــة مجموعة من العوامـــل الداخلية والخارجية اهمها داخليا :

١ ـ كون قوى الثورة الفلسطينية هي القوى الاساسية المنظمـــة والمسلحة ، وضربها يقود الى اخمـــاد حركة الجماهير اللبنانية •

ب ـ كون قطاعات لبنانية ذات شان تعتبر الثورة الفلسطينية حركة « من الخارج » وهذا يجعل التوجه لضربها ايسر •

ثالثا : ان دولة الاحتلال الصهيوني تعمل ، ضمن خطة مدروسة لدفع لبنان الرسمي الى تصفية الثورة الفلسطينية ، وذلك عن طريق ضرب القرى والمدن والقيام بعمليات خاصـــة في المدن والمخيمات • وتصحب هذه العمليات تهديدات بالضرب والاحتلال الخ • وتكشف هذه العمليات تخاذل السلطة وتهافتهـــا • وبدلا من ان يكون الرد

التوجه نحو العدو ، تتجه البنادق الى الثورة الفلسطينية والجماهير اللبنانية ٠

وتستغل دولة الاحتلال هذه اللعبة بذكاء ٠ ولقد انتزعت من لبنان، بعد الهجوم على العرقوب في ايلول سنة ١٩٧٢ ، قرار ايقاف عمليات الثورة من جنوب لبنان ٠ وتحاول الان ، وبعد اغتيال القادة الثلاثة، نزع الاسلحة وتقليص حجم الثورة تمهيدا لضربها ٠

وقد صرح دافيد اليعازر بعد عمليـــة بيروت (عن اعتقاده ان السلطات اللبنانية « ستستنتج ما يتوجب عليها ان تستنتجه » وتقيد النشاط الفدائي داخل لبنان ، كما فعلت بالنسبة الى الحدود مـــع اسرائيل) (النهار ٢٠ـ٤ـ٧٣) ٠

ومنذ ذلك الحين ، والطائرات والزوارق تسرح وتمرح فوق لبنـان وعلى شواطئه ٠٠

وجاءت الاحداث الاخيرة ضمن المخطط ٠ ويرى المخططون في تل ابيب ان مثل هذه الصدامات ستقود الى انهاك قوى الثورة وتفتيتها٠ وفيما يتعلق بالاحداث الاخيرة فان ابا ايبان يرى انها « ستزيد من ضعف المخربين » (اذاعة العدو س ٣٠ـ٧ ، ١٤ـ٥) ٠

ان اتجاه ثقل ضغط دولـــة الاحتلال على لبنـــان ، في السنتين الاخيرتين ، يدفع الى المزيد والمزيد من اندفـــاع السلطة على طريق تصفية الثورة ٠

ولقد ساعد قوات الاحتلال على ممارسة هذا الضغط وقف حرب الاستنزاف على جبهة السويس ، وسقوط مواقع الثورة في الاردن ، وصمت الجبهات العربية ، واتجاه الجهد السياسي العربي الاساسي نحو البحث عن حل «سلمي» ٠

رابعا : ان الدبلوماسية الاميركية ناشطة في المنطقة ، وهي تقوم الان بهجوم مضاد من اجل :

١ ـ تكريس الانتصار الذي حققته قوات الاحتلال الصهيوني في حزيران سنة ١٩٦٧ ، عن طريق ابقاء دولة الاحتلال متفوقة عسكريا، وممارسة اشكال من الضغط والتآمر على الدول العربية لدفعها نحو مزيد من الاستسلام ٠

ب ـ العمل على اخماد الموجة المعادية للولايات المتحدة الاميركية، ومحاولة اقامة اوضاع جديدة خاضعة للسيطرة الاميركية ٠

ج ـ خلق اوضاع ملائمة لاستمرار تدفق النفط والسيطرة عليه ٠

ولقد عقد الدبلوماسيون الاميركيون مؤتمرا في طهران ناقشوا فيه : « الحرب العربية ـ الاسرائيلية ونشاط الفدائيين الفلسطينيين ضد الدبلوماسيين الاميركيين في المنطقة ، والنفط العربي والتنافس بين الغرب والشرق في « الشرق الاوسط » واعادة النظر في مشروع وزير الخارجية الاميركية السيد وليم روجرز السلمي لحل ازمة الشرق الاوسط » (النهار ٢٥ـ٤ـ٧٣) ٠

وتطرح الولايات المتحدة في هذه الايام ثلاث قضايا اساسية :

اولا : انهاء ما تسميه الارهاب الفلسطيني ، اي ضرب الثورة الفلسطينية ٠

ثانيا : المباشرة بالحل عن طريق الحلول الجزئية (بفتح قناة السويس مثلا) ٠

ثالثا : دخول الدول العربية ذات العلاقة في مفاوضات مباشرة مع العدو الصهيوني ٠

ولا يختلف موقف الولايات المتحدة في هذه المجالات عن موقف العدو الصهيوني ٠

خامسا : ان السياسة العربية الرسمية عموما ليست سياسة قتال٠

وهي تطرق الابواب بحثا عن حل «سلمي» · وتعمل المملكة العربية السعودية من اجل ضرب القوى الوطنية في المنطقة العربية ، وأحلال التوافق التام بين القيادات الرجعية العربية والولايات المتحدة الاميركية، وتكييف الظروف العربية مع اهداف الامبريالية الاميركية· ويساعد هذا الاتجاه انظمة ضعيفة ومرتبطة كالنظام في لبنان على « التحرك الجدي » ضد الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية·

ان الاتجاه الرسمي للسياسة العربية في هذه المرحلة اتجاه تصفية وتسوية ، وليس اتجاه قتال · ولذلك فان انظمة التصفية : الاردن ولبنان ، تتمم مهمة انظمة التسوية ·

ان هذه العوامل الخمسة التي تجاهلها « المراهنون » على استمرار هدوء الاوضاع في لبنان ، هي العوامل التي قررت المعركة وحسمت الحوار ، ولقد اثبتت ان الانظمة المرتبطة بالامبريالية تميل الى تصفية قوى الثورة،بمقدار ما تميل الى مهادنة العدو والاستخذاء له·

وتقوم الطبقات الحاكمة في بلدان التصفية بايثار مصالحها البعيدة المدى على مصالحها المرحلية · انها تجعل حكم الطبقة المستغلة وسيطرتها على المدى الطويل فوق مصالحها الموسمية · وماذا تعني بالنسبة لها خسارة ارباح اسبوع او شهر عمل او خسارة قسم من رأس المال الثابت ، اذا كانت تدافع عن مصالحها الاساسية وسيادتها التاريخية ·

اما بالنسبة لدولة الاحتلال الصهيوني فان ما يهمها هو استمرار الصراع الداخلي ، لانها تعتقد انها بذلك تضعف قوى الثورة، وتدمر قوى الوطن ، وتخلق الحزازات والعنعنات، وتصعد تفاقم التناقضات· وهي تكسب بذلك الانحراف باتجاه القوى عن الهدف الاساسي ، وتآكل القوى في معارك داخلية ·

اما بالنسبة للولايات المتحدة فان استراتيجيتها تقوم على اساس

فرض سيطرتها وسيطرة عملائها على العـــالم · وحيث تنهض قوى الجماهير ، وتبـــدا خوض معركتهـــا السياسية والمسلحة ، فان استراتيجيي الولايات المتحدة يدفعون عملاءهم الى خوض المعارك ، لانهم يريدونهم ان يتمرسوا بالقتل ، وان يدافعوا عن السلطة بالشدة اللازمة · ولانهم يعتقدون ان اعطاء فرصة للقوى الثورية يساعدهـا على النمو ويزيد من امكانيات انتصارها· ولذلك فان على قوى الثورة المضادة ان تضرب بعنف ، ان تعمل بسرعة ، ان تقاتل بشراسة ·

وهكذا دخل لبنان المعركة المســـلحة : محاولا ، ان يتخلص من «الازدواجية» · كان ايبان قبل ايـــام من بدء المعركة قد قال : « ان ما نريده هو ان نرى لبنان قد تخلص من الازدواجية التي يعاني منها» (العمل ، صوت العروبة ٢٧ـ٤ـ١٩٧٣) · ولكن ما الذي هدفـــت اليه الدوائر الحاكمة في لبنان ؟ هل هدفت الى انتصار عسكري يحقق لها ما تريد ، ام انها ارادت توجيه ضربة عسكرية ناجحة تتبعـــها «مفاوضات» ناجحة وتنازلات جديدة !

ان الدراسة المنطقية تشير الى ان الدوائر الحاكمة كانت تظن انها تستطيع تحقيق انتصار عسكري جزئي ، يفرض على قيـادة الثورة الدخول في مفاوضات مباشرة · ويعزز هـــذه القناعة ان الجيش اللبناني ليس قادرا من حيث العدد والعدة لان يخوض معركة قـــوة ضد الثورة الفلسطينية ، لينتصر فيهـــا انتصارا حاسما · وهذا لا يمنع ان تكون قيادة الجيش قد توصلت الى قناعة بان حالة الفدائيين المعنوية والعسكرية ليست حسنة ، وان معركة مفاجئة ضد مواقعهـم غير المستنفرة في بيروت ستقود الى هزيمة محققة · وكانت معلومات من هذا القبيل قد عممت على الجيش · كما ان بعض كبار المسؤولين العسكريين لم يجدوا كلمة يطلقونهـــا على الفدائيين في احاديثهم الخاصة مع السياسيين غير كلمة «مرتزقة» وباللغة الفرنسية احياناً·

ولكن الذي حصل هو ان الجيش قام باستعراض قوة حول المخيمات

صبيحة يوم ٢ـ٥ ، وقاد تصرفه الى اشتباك لم تكن الثورة قد هيأت له • واصيبت اليات الجيش وقواته التي تسللت بين البيوت بخسائر فادحة • وكان ان اعاد الكرة في اليوم التالي فخسر ايضا • وهنا استنفرت الثورة قواها ، واعطاها الهدوء الذي ساد فرصة لحشد القوى • ولكن الجيش اكمل تحشده ايضا ، ليقوم بعمليات القصف المدفعي والجوي وعمليات القنص الواسعة • الا ان عملياته التي جابهتها الثورة بالدفاع السلبي في بيروت والدفاع الايجابي في الجنوب لم تؤد الى اي نجاح • ولم يستطع الجيش ان يكسب معركة واحدة صغيرة او ان يضعف مواقع الثورة ويزعزع معنوياتها •

وظلت قيادة الثورة حريصة على الضغط من اجل ايقاف القتال ، ولكن القيادة اللبنانية كانت تريد نصرا عسكريا او معنويا يفتح امامها طريق المفاوضات وطريق التنازلات • ولكن هناك عوامل خمسة قادت الى ايقاف المعركة :

الاول : عجز الجيش عن تحقيق تقدم يذكر ومفاجاته بقوة الثورة والخسائر التي اصابته خلال القتال •

الثاني : تحرك الفئات الوطنية والرأي العام الوطني ضد همجية السلطة ، واتجاه القوى الوطنية نحو حمل السلاح •

الثالث : شعور قطاعات واسعة من اصحاب المصالح في لبنان ، والمثقفين والمتنورين بأن اي صدام سيشق لبنان • وبأن صداما يشق لبنان ليس مبررا ولا مقبولا •

الرابع : الاجراءات السورية الحازمة سياسيا واقتصاديا (١) •

الخامس : رد الفعل العربي السريع الذي دفع بممثلي الدول العربية الى التحرك فورا والحضور الى بيروت •

---

(١) وكان هذا التدخل الذي فرض فيه النظام السوري عدة اجراءات ، منها ابعاد اللاجئين السياسيين السوريين ، بداية سياسة جديدة ازاء لبنان والمقاومة ، لم تفهم جيدا في حينه •

الا ان توقف القتال لم ينه المعركة . ذلك ان الدوائر (الحاكمة) في لبنان اخذت تعمل في اتجاهات ثلاثة :

الاول : حشد المزيد من القوى العسكرية في بيروت وحولها واقامة المتاريس واحتلال البنايات ، استكمالا لعرض القوة العنجهي الذي بدأ في الاول من ايار .

الثاني : تعبئة الرأي العام اللبناني ضد الثورة تعبئـــة حاقدة ، والتركيز على اثارة الحقد والكراهية . ومن يسمع الاذاعة اللبنانية او يقرأ الصحف الموجهة يقشعر بدنه من موجة الحقد والكراهية .

الثالث : الضغط من اجل «تنازلات» سياسية هامة .

وتطرح الاوساط اللبنانية القائدة في اوساطها القضايا التالية :

١ ـ نقل المخيمات ، ومخيمات برج البراجنة وتل الزعتر وضبية خاصة ، الى اماكن تحددها السلطة ، لابعاد المخيمات عن المدن .

٢ ـ تحديد عدد الفدائيين الموجودين في لبنان، بما كانوا عليه عند عقد اتفاق القاهرة .

٣ ـ القبول بالفلسطينيين الذين كانوا موجودين في لبنان عند عقد اتفاق القاهرة ، وهم حسب الاحصاءات حوالي ١٧٠ الفا .

٤ ـ يحدد الجيش نوع الاسلحة في المخيمات ، كما يحدد معسكرات للتدريب خارج المخيمـــات ، على ان تسحب الاســـلحة الثقيلة من المخيمات (اي كـــل سلاح ما عدا المسدســـات والبنادق والبنادق الرشاشة) ويمنع حمل الاسلحة ، وتجمع الاسلحة في مراكز .

٥ ـ تقام مخافر على مداخل المخيمات .

وتبرر هذا كله من خلال التاكيد على ان الثورة يجب ان تخضـع للسيادة اللبنانية، وعلى ان الفلسطيني يجب ان يتساوى امام القانون

مع اللبناني • ويحاول منظرو العملية ان يقنعوا الجميع بان الدولة في لبنان لا تضـــمر شرا للثورة ، وانها حريصـــة على القضية الفلسطينية •

ولكن ماذا يبقى من الثورة اذا خضعت للسلطة ؟ لا يبقى منهـــا شيء • واذا ما قبلت الثورة بمطالب السلطة اللبنانيـة يكون عليها ان تسلم وتندثر • وما طلبته السلطة في لبنان ليس اقل مما طلبته السلطات في الاردن • وحين وافقت الثورة ان تقوم بعملية التكيف، تحت رعاية اللجنة العربية واشرافها ، اكلت السلطة الاردنية الاخضر واليابس ، وكتمت كل الانفاس حتى انفاس الاطفـــال الذين يغنون لفلسطين • والسلطة في لبنان ليست من طبيعـة مختلفة عن السلطة في الاردن • وما ترمي اليه ليس بعيدا عما استهدفته السلطة فـي الاردن • وهي تستخدم الاساليب ذاتها : القمع والتضليل ، ثم القمع والتضليل •

من هنا تاتي خطورة ما يسمى بالحل الجذري او الحل الجوهري او البداية الجديدة •

لقد طالب حزب الكتائب بحل جذري ، وقالت جريدة العمل (٥/١١) « ولان لبنان ، هو من يتحمل عواقب هذه الانفجارات المتتابعة ، فمن الطبيعي ان يرفض التسويات •• وان يصر على الحـل الجذري » • ولم تحدد «العمل» طبيعة الحل الجذري ، بل اكتفت بالقول انه «رفض للتسوية العشائرية •• » • وقالت الحياة (٦ـ٥ـ٧٣) انه « لا بـد من حل جوهري » ، والحل الجوهري في نظرهـا : « يجب ان يؤمن منع عوامل الاحتكاك ،وهذا يقتضي بين ما يقتضي،ابعاد المواقـــع العسكرية للمقاومة ، عن المدن والمرافق المدنية، بعد القوات العسكرية اللبنانية عنها • فان من المتعارف عليه في جميع الدول ان تكـــون المواقع العسكرية بعيدة عن المدن الاهلة بالسكان » •

وذهبت « لسان الحال » في البحث الصادق عن المخـــرج الى ان

السبب الاساسي للمعضلة هو ، اذن ، العمل الفدائي ككل ، وخطته الاساسية التي لا يعلم لبنان منها شيئا ، ولا يعرف من يضعها ومن يرتبها ومن ينفذها ، والتي يدفع لبنان ثمنها ... فان قصر في الدفاع قامت القيامة (١٠ نيسان) وان جابه العدو كانت الخسارة باهظة (١٦ ايلول) » واستطردت « لسان الحال » : « هذا كله من وجهة النظر الفلسطينية والعربية يقودنا ، اخويا ، وبكل رحابة صدر ورباطة جاش ، ليس فقط الى بحث موضوع اتفاق القاهرة ، بل الى بحث استراتيجية العمل الفدائي من اساسها ، على ضوء التجارب الفعلية منذ نشوئه .. » .

وتطرح مسودة المشروع الذي عرض على اللجنة النيابية المكلفة بدراسة قضية العلاقة بين الدولة والثورة مفهوما اخر للحل الجذري. ويقوم هذا المفهوم على ما يلي :

ـ ان القضية قضية قومية ، يجب ان تحشد لها كل القوى العربية، وان تتحمل مسؤوليتها كل القوى والطاقات وعليه فانه ، « لا يجوز لجماعة او جيش او دولة وحدها ان تبادر الى المعركة متفردة بالراي والقرار منفردة بالمواجهة والقتال » .

ثم يضيف المشروع :

٥ ـ انطلاقا من المبدأ الرابع (قومية المعركة) يتقرر بأن الهدف الكبير هو اخطر واكبر من ان ينهض به الشعب الفلسطيني وحده ، وان اصبح بمجموعه جيشا مسلحا . وان الاقدام على اية معركة فرعية او ثانوية ، يعني تمكين العدو من احراز انتصارات جديدة تزيد في عنفوانه ، وتزيد من خسائرنا المادية والمعنوية .

٦ ـ على ضوء هذه الحقائق يتحتم على الشعب الفلسطيني ، وعلى المناضلين البواسل بنوع خاص ان يعدوا انفسهم الاعداد العلمي

النظامي المدرك لمسؤولياته متفهمين متعاونين مع الدول العربية ، ولا سيما تلك التي يقيمون على ارضها ٠

وان هدر الطاقات في اشغال القوى والجيوش العربية في المعارك الداخلية ، وبنوع خاص ما كان منها بين الاشقاء ، انما هو جهالة تبلغ حد الخيانة ، لانه هو بعينه هدف العدو ٠

٧ ـ ان العمل النضالي الفلسطيني يجب ان تسوده انظمة الجيوش النظامية في القيادة المسؤولة ، وفي الانضباط والتقرير وتحديد المهمة وحصر السلطة ، وان تطبق انظمة الجيوش بمنتهى الصرامة والدقة، فتحصر وتختزن الاسلحة في مستودعاتها ، ولا يسلم المناضل سلاحه الا عندما توكل اليه المهمة وفقا للعرف والنظام العسكري ٠ كل ذلك دون المساس بالبلد المضيف وبالاتفاق مع السلطة العسكرية » ٠

ويستطرد المشروع :

« لذلك فان الشعب اللبناني الممثل بنوابه يطلب الى المسؤولين :

١ ـ المثابرة على رعاية الشعب الفلسطيني بكل ما تفرضه تقاليد الاخوة والضيافة الكريمة ٠

٢ ـ دعوة ممثلي الدول العربية ، وممثلي الشعب الفلسطيني ، لتحديد علاقة المناضلين الفلسطينيين بالشعوب العربية وبالدول العربية على الاساس المبين في البند السابع من هذا البيان » (الحياة ١١ـ٥) ٠

وكانت لجنة الدفاع النيابية في البرلمان اللبناني قد توصلت الى اتفاق مع وفد مجلس الامة الاتحادي حول سبع توصيات لا تخرج في جوهرها ، واحيانا في نصها عما ذكرنا ٠ (الانوار ٨ـ٥ـ٧٣) ٠

وواضح من التوصيات الى ماذا يتجه الحل الجذري ٠ انه باسم قومية المعركة يريد ان يلغي الثورة الفلسطينية ، ويكيف الوضع

الفلسطيني مع الاوضـــاع العربية الرسمية • ويتجاهل واضـــعو التوصيات هنا حقيقتين اساسيتين :

الاولى : ان الثورة تخون قضيتها اذا وافقت على ان تصبح جزءا من الاستراتيجية العربية الرسمية ، ما دامت هـذه الاستراتيجية لا تتجه الى القتال •

الثانية : ان التنسيق غيـــر وارد بين الذين يقـــاتلون والذين لا يقاتلون ، بين الذين يتصدون للعدو ، والذين يفتحـــون له الابواب والنوافذ •

وما دامت الدول العربيـــة لا تقاتل ، فليس مطلوبا من الشـــعب الفلسطيني ان يلقي السلاح • ان المطلوب منه ان يقاتل بمزيـــد من الحزم والعزم والبسالة ، وان يعبىء كل يوم مزيدا مـــن الجماهيـر ويدربها ويسلحها وينظمها • ولعل هذا ، من بين امور اخرى ، هـو الذي سيمنع هيمنة قوى الاستسلام على بلادنا العربيـة ، ويدل على طريق الخلاص • ان الذين يريدون جر الثورة الفلسطينية الى مواقعهم المستسلمة ، باسم قومية المعركة ، يحاولون تجاهل الحقائق الجديدة التي يعيشها الشعب الفلسطيني ، وينسون ان الثورة الفلسطينية ترى ان قومية المعركة تعني ان يرموا بكل قواهم في معركة التحرير •

اما حديث السيادة فهو حديث اخر • ما الذي تعنيه السيادة ؟ هل تعني السيادة ان تقمع الثورة الفلسطينية خدمة لاميركا ولدولـــة الاحتلال الصهيوني ؟ هل تعني قبول الاستسلام ومحـاربة المقاتلين ؟ ان كل سيادات الدول العربية، وبما في ذلك لبنان،لا تعني شيئا ما دام العدو يستطيع ان يخطف ويقتل ، ان يقصف ويحتل متى شـاء • عن اية سيادة نتحدث، ونحن نقف امام العدو وقفة الضعف والذل والمهانة! ان المعنى الوحيد للسيادة في هذه الحال ان نحمل البنادق ونقاتل ، مهما كان الثمن •

اما ان تعني السيادة انهاء الثورة وكبت الانفاس باسم القانون ، فليس له من معنى غير التمسك بالسيادة الوهمية والاستسلام الاكيد.

واذا كانت القضية قضية بنادق غير مرخصة ، ورجال لا يخضعون للقوانين القمعية ، فليس بنادق الثورة وحدها هي البنادق الموجودة في لبنان . هناك عصابات مسلحة في لبنان ، وهناك احزاب منظمة تملك من الاسلحة مثل ما تملكه الثورة ، وهناك اسلحة في كل بيت. فلماذا تصبح بنادق الثورة هي المشكلة ؟ ولماذا تطرح قضيتها ، ولا تطرح قضايا الاسلحة لدى الاحزاب المنظمة المسلحة ؟ السبب واضح: ان بنادق الثورة الفلسطينية تلعب دورا سياسيا وثوريا في هـــذه الحقبة التاريخية والمطلوب منع الثورة من القيام بهذا الدور .

ان تحرير فلسطين هوقضية عربية اساسية، ومن القضايا الاساسية في الثورة القومية والديمقراطية العربية، وعلى كل القوانين ان تسقط امام قضية التحرير .

لقد انتهت جولة قوة في لبنان ، وبدأت جولـة مناورات سياسية وضغوط عربية . وبما ان السلطة في لبنان تطرح قضية وجود الثورة من الاساس وتتمسك بموقفها ، فسوف تفرض الجولة الثانية .

متى وكيف ؟

ان هذا تحدده مجموعة من العوامل اهمها : ا ـ الوضع السياسي الداخلي وموقف الحركة الوطنية اللبنانية ب ـ الموقـــف الفلسطيني ومدى تماسكه وفعاليته وحزمه ومرونته . ج ـ الضغط الذي تقوم به قوات الاحتلال الصهيوني وحكومة الولايات المتحـــدة الاميركية. د ـ مخططات الرجعية العربية ومؤامراتها .

ولكن الاستراتيجية التصفوية ستستمر : صدام ـ ضغط سياسي ـ صدام ، مع تصعيد الصدام والضغط في كل مرة . وسوف تقوم دولة الاحتلال الصهيوني بضربات عسكرية لمواقع الثورة في الوقت ذاته .

ويقوم المخطط الرسمي اللبناني على الدعائم التالية :

اولا : على الصعيد اللبناني :

١ ـ محاولة اقناع القطاعات المؤيدة للقضية الفلسطينية من الشعب بان الدولة مع الشعب الفلسطيني والقضية الفلسطينية · وذلك من اجل حصر الخلاف في نقاط اخرى ، غير القضية الاساسية · (العمل ١٣ـ٥ـ٧٣) ·

ب ـ التركيز على ان ما تطالب بـــه السلطة لا يستهدف تصفية الثورة ، ولا يحول بينها وبين ممارسة مهماتها · (الحياة ٦ـ٥ـ٧٣)·

ج ـ التركيز على موضوع السيادة اللبنانية وضرورة المحافظـــة عليها ·

د ـ الاشارة المستمرة الى موضوع التجاوزات والاخطاء ومحاولة ابرازها على انها القضية الاساسية ·

هـ ـ اثارة موجـــة من الحقد والكراهية لدى الشـــعب والجيش باستغلال نتائج الحوادث والصـــدامات وتحريف الحقائق ونشـــر الشائعات والاضاليل ·

و ـ التركيز على موضوع الاسلحة الثقيلة ·

ويستهدف هذا كله اقناع المواطن اللبناني العادي بـــان ما تطلبه السلطة لا يتناول جوهر القضـــية ، ولا يمس الثورة واستمرارها ، وانما يتعلق بضمان سيادة لبنان،وعدم حصول اخطاء وتجاوزاتالخ· وبالتالي فان ما تطلبـــه السلطة لا يستدعي التوتـــر والقلق ، ولا يستوجب «التمرد» ·

ان هذا «التضليل» يتجه الى قطاعات واسعة من الشعب في لبنان، في محاولة لتحييدها ، او تخفيف مخاوفها · وهي محاولة ذكيـــة

ومدروسة ، تستحق كل اهتمام ·

ثانيا : على الصعيد الفلسطيني :

أ ـ محاولة اقناع الفلسطينيين عموما بان مطـــالب السلطة لا تستهدفهم ولا تستهدف ثورتهم ، انما تستهدف تنظيم العلاقة فقـــط بين السلطة والثورة ·

ب ـ السعي لشق صفوف الثورة بالحديث عن طرف عاقل وطرف «متطرف» ، ومحاولة ايهام الراي العام ، بان ياسر عرفات يريد ان يصل الى اتفاق ، ولكن الحركة الفلسطينية حركات ، وهناك من يمنع الوصول الى اتفاق ، او يرفض الخ · ولذلك فان « الاتفاق ممكـــن شرط ان يعزل عن مجموعة الكفـــاح المسلح هؤلاء الذيـــن ليس من مصلحتهم ، ولا من طبيعة تكوينهم الوصول الى هذه البداية» (الجديد) العدد ٣٣٥ ، السنة السابعة ١١ـ٥ـ٧٣) (العمل ٩ـ٥و١٣ـ٥) ·

ج ـ محاولة فرض تنازلات على القيادة الفلسطينية ، تضعف من قوتها ، وتهزها امام جماهيرها ·

ثالثا : على الصعيد العربي :

أ ـ محاولة ايهام الراي العام العربي بان المعركة ليست معركـــة تصفية المقاومة ، وبانها معركة سببتها تجاوزات اعضاء المنظمات ، هدفها ضبط الامور والمحافظة على السيادة اللبنانية ·

ب ـ محاولة احراج الدول العربية بالاعلان المستمر عن ان لبنان مستعد لاعطاء الثورة ما تعطيه الدول العربية الاخرى ·

ج ـ السعي لاستثمار الضغط العربي الرســـمي على الثورة في ابتزاز تنازلات سياسية ·

اما داخل دوائر السلطة فان القضية تتخـــذ منحى اوضح · ان

المطروح بوضوح هو الغاء اتفاق القاهرة • ويستند هذا التبرير الى عاملين :

الاول : كون اتفاق القاهرة قد افقد لبنان كثيرا من العطف الدولي، مع ان هذا العطف هو حماية لبنان الوحيدة في المحافظة على استقلاله•

الثاني : كون اتفاق القاهرة قد عقد حين كانت الجبهات العربية الثلاث مشتعلة • اما الان فان الظروف قد تغيرت، فقد صمتت المدافع وسحقت السلطة الاردنية قواعد الثورة في الاردن •

ولكن السلطة اثبتت عجزها في جولة ايـــــار • وعليها الان ان تستعد ، وان تنتظر ظروفا افضل • ان علينا ان نتوقع هذه الظروف، وان نتوقع مزيدا من المناورات والهجمات السياسية والعسكرية •

الاشتباكات في لبنان

(دراسة أعدت في منتصف صيف ١٩٧٥ ، ولم تنشر · وهي تغطي الفترة ـ ١٢/٤ـ٣/٧/٧٥) ·

لقد توقفت الاشتباكات في لبنان ، بعد ان تفجرت في ١٣ـ٤ـ١٩٧٥، واستمرت قرابة ثمانين يوما (١٣/٤ ـ ٣/٧) · وقد آن لنا ان نناقش هذه الاشتباكات ، لنحدد طبيعتها وخلفياتها واهدافها ، ولنرى آفاق تطور الوضع مستقبلا في لبنان ·

١ ـ مفكرة يومية للاشتباكات

انفجرت الاشتباكات اثر حادثة الحافلة يوم ١٣ـ٤ـ١٩٧٥ · فقد ارتكب حزب الكتائب عملية قتل جماعية بحق ركاب الحافلة التي مرت بعين الرمانة قبل ظهر ذلك اليوم ، وكان القتلى فلسطينيين ولبنانيين· اثارت الجريمة غضبا عميقا في الاوساط الفلسطينية واللبنانية والعربية عموما ، وقادت الى اشتباكات مع الكتائب في المناطق التي يسيطرون عليها ، واهمها الدكوانة وعين الرمانة ، وقامت وحدات من

المقاومة بالهجوم على عين الرمانة ، وبقصف عدد من مواقع حـزب الكتائب ومكاتبه ٠

وقد تلكأت السلطة في اتخاذ الاجراءات الحازمة بحق الفاعلين ، ورفض حزب الكتائب ان يسلم المجرمين في البدء ، ثم عـاد وسلم اثنين ، ما زالا محتجزين عند السلطة، التي لم تعلن شيئا عن التحقيق معهما حتى الان ٠ وهنـــاك شعور تؤكده معلومات متعـــددة بان المجرمين الفعليين ما زالوا طليقين ٠

وعلى اثر حادثة الحافلة عقدت القوى الوطنية والتقدمية اجتماعا، قررت فيه الدعوة الى حل حزب الكتائب وطرد وزيريه من الوزارة ، والتنادي الى عقد مؤتمر وطني يوم ١٥ نيسان (السفير ١٤ـ٤)٠ ثم عادت الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية، وقررت بدء اضراب مفتوح، وعقد مؤتمر شعبي ، وانشاء قيادة موحدة للاحزاب ، والتنسيق مـــع المقاومة في كل المجالات (السفير ١٥ـ٤) ٠

وعقد المؤتمر الشعبي الذي دعت اليه الاحزاب والقوى الوطنيـــة والتقدمية يوم ١٥ـ٤ـ١٩٧٥ وقرر :

١ ـ اعتبار قيادة حزب الكتائب مسؤولة عن المجزرة ٠

٢ ـ ازالة الحواجز الكتائبية وجميع المظاهر المسلحة ومداهمـــة مراكز الكتائب ٠

٣ ـ توقيف ومعاقبة المسؤولين عن المجزرة ٠

٤ ـ طرد وزيري الكتائب من الوزارة ٠

٥ ـ مقاطعة حزب الكتائب وطنيا وسياسيا ٠

٦ ـ حل حزب الكتائب ومصادرة امواله واسلحته ٠

٧ ـ دعوة القيادات الوطنية المسيحية الى ممارسة دورها في خدمة الوطن ٠

٨ ـ الدعوة الى اليقظة والحذر والاستعداد لجميع انواع النضال ٠

وكانت القوى الوطنية والتقدمية قد طالبت بتسليم المجرمين الى السلطة يوم ١٤ـ٤ ، فسلمت الكتائب الشخصين المذكورين سابقا يوم ١٥ـ٤ ٠ وبادر الرئيس الصلح الى الاعلان بأن المطلوبين اوقفوا ، وانه لا حاجة لاعلان حالة الطوارىء (السفير ١٥ـ٤) ٠

وبدأت ازمة الحكم تتفاقم ، فعمدت الكتائب والاحرار الى زيادة الدفع باتجاه سقوط الوزارة ، وجنبلاط باتجاه المحافظة عليها ٠

وتم الاتفاق يوم ١٥ـ٤ على وقف اطلاق النار ، واحلال قوات السلطة في مراكز التوتر ٠ ودعا الجميع يوم ١٦ـ٤ الى وقف اطلاق النار ، وتحقق هدوء نسبي ٠

وكان محمود رياض امين عام الجامعة العربية قد وصل يوم ١٤ـ٤، واجرى اتصالات مع ممثلي السلطة وقادة المقاومة ، في محاولة لوقف الصدامات٠ وكان الرئيس السادات قد بادر في اليوم عينه الى توجيه نداء بضبط النفس (الصحف ١٤ـ٤) ٠ كما ارسل رسالة الى الرئيس فرنجية يوم ١٥ـ٤ ، يحذر فيها من خطورة الموقف (السفير ١٦ـ٤)٠

واصدر تجمع المسيحيين الملتزمين بيانا يدعو الى الالتحام مع المقاومة الفلسطينية (السفير ١٦ـ٤) ٠ اما ريمون اده فقد اجتمع ببيار الجميل عند البطريرك خريش ، وتم الاتفاق على بذل الجهود للخروج من الوضع الدامي الذي يهدد لبنان بالخراب (السفير ١٧ـ٤)٠

وبعد ان هدأت الاحوال نسبيا، وتوقفت الاشتباكات روعت العاصمة اعمال القناصة من الكتائب التي ارتفع عدد ضحاياها يوم ١٧ـ٤ الى ٥٦ قتيلا وجريحا (السفير ١٨ـ٤ـ١٩٧٥) ٠ وما ان توقف القناصة حتى بدأت حرب الشائعات عن حوادث الخطف ، وعن متسللين ليبيين وعراقيين (السفير ١٦ـ٤ـ١٩٧٥) ٠

بدأ انفراج نسبي في الحياة العامة ، وبدأت ازمة الوزارة تزداد تعقيدا ، وبدأ الحديث عن حكومة انقاذ وطني (السفير ١٨ـ٤) ٠

استنفرت الكتائب في هذه المعركة قواها المسلحة ، واستنفر معها على استحياء حزب الاحرار ، وشارك الرئيس كميل شمعون في تعقيد الازمة الوزارية ٠ واستنكر ريمون اده الجريمة البشعة ، كما استنكرتها اوساط مارونية ومسيحية متعلمة ومثقفة ٠

ووقف في الجانب الاخر الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية والقيادات التقليدية الاسلامية ورجال الدين المسلمون (سنة وشيعة ودروز) ، كما وقف الفلسطينيون جميعا ٠

وتوقفت المعركة عسكريا ، بانتهاء الجولة الاولى ، لتبدأ سياسيا ، من خلال بقاء الوزارة او سقوطها اولا ، ومن خلال الحملات الشعبية التي كرست جهودها لعزل الكتائب ٠ وأكدت الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية ان قرار العزل سياسي وليس طائفيا ٠ وزاد من اهمية قرار العزل ان المقاومة الفلسطينية اعلنت ان لا لقاء مع حزب الكتائب (السفير ٢١ـ٤) ٠

واخذت المعركة السياسية ابعادا اخرى ، فبدا الحديث في الاوساط الوطنية عن ضرورة اجراء تعديلات اساسية في هيكل النظام ، بينما اخذت الكتائب تصر على الاستعانة بالجيش (السفير ٢٢ـ٤) ٠ وقامت الحركة الوطنية بالتعريض بوطنية الجيش ، من خلال اتهامه بمساعدة الكتائب (السفير ٢٢ـ٤) ٠

وقد اكد الرئيس فرنجية انه يرفض انزال الجيش ، بسبب عدم رغبته في احداث اي اشكال مع المقاومة (السفير ٣٠ـ٤) ٠

وتفاعلت قضية عزل الكتائب عربيا ، فاقر اجتماع الجبهة العربية المشاركة يوم ٢٥ـ٤ ما يلي :

١ ـ ادانة الدور الذي يمثله الكتائب ٠

٢ ـ الوقوف الحازم الى جـــانب المقاومة الفلسطينية والحركـــة الوطنية اللبنانية ٠

٣ ـ توفير مقومات الصمود اللبناني في وجه مخططات الصهيونية، وتكريس السياسة اللبنانية حيال القضية الفلسطينية ٠

٤ ـ دعم الموقف الحازم الذي اتخذته الحركة الوطنية اللبنانية حيال حزب الكتائب ٠

٥ ـ العمل على عزل الكتـــائب سياسيا في المجـــال العربي على الصعيدين الرسمي والشعبي ٠

٦ ـ مقاطعة الكتائب اللبنانية واعوانها وشركائها الضالعين في سياستها على الصعيد الاقتصادي والمالي (السفير ٢٦ـ٤) ٠

وسقط يوم الثاني من ايار طالب جامعي ســـوري يسكن في عين الرمانة برصاص حراس حزب الاحرار ٠ وانفجرت متفجرات وقنابل موقوتة في بيروت بعد ذلك (السفير ٦ـ٥) ٠

وما لبث وزيرا الكتائب والمير مجيد ارســـــلان المتعاون مع كميل شمعون ان استقالوا من الوزارة ، (السفير ٨ـ٥) فاعلن الصلح انه لن يستقيل الا في المجلس ، وبعد ان يفضح كل الامور ٠ اما جنبلاط فطرح قضية النظام (السفير ٩ـ٥) ٠٠

وطالب حزبا الكتائب والاحرار والرئيس كامل الاســعد باستقالة الحكومة ٠ قال شمعون : على الحكومة ان تستقيل ، وقبل ان يصـــل رئيس الحكومة الى المجلس بنصف ساعة يجب ان يستقيل : هـــــذه الحكومة اخفقت في اشاعة الامن في البلاد، واية حكومة تاتي وتتمكن من اشـــــاعة الاستقرار ستلاقي الترحيب ، واستبعد شمعون ، كما

استبعد كامل الاسعد رئيس مجلس النواب حصول ازمة حكم (النهار ١٠-٥) ٠

استقال عدد آخـــر من الوزراء ، فتقلصت الوزارة الى اربعة : الرئيس رشيد الصلح وعباس خلف وخالد جنبلاط وماجد حماده ، فاصبحت الحكومة بحكم المستقيلة ٠ وكان جنبلاط مصرا على الا تبدو الاستقالة خضوعا للكتائب التي بادرت بالاستقالة، اما الصلح فحرص على المحافظة على شعبيته في الاوساط الشعبية ٠ وعاد شمعون فاكد انه من الافضل ان لا يمثل الصلح امام النواب بل يستقيل ببساطة ، وتمنى على قادة المقاومة ان يبتعـــدوا عن القضايا المحلية (النهار ١٣-٥) ٠

اعلن رشيد الصلح استقالته امام مجلس النواب يوم ١٥-٥ بعد ان اتهم الكتائب بافتعال ازمة عين الرمانة ، وانتقد النظام اللبناني القائم ، وطالب بتعديلات اساسية في النظام ، منها اعادة النظر في قانون الجيش ، وقانون التجنس وفيما يلي نص المطالب :

اولا : تحقيق اصلاح سياسي ديمقراطي يؤمن توزيعا صحيحـــا للصلاحيات بين مختلف مراكز السلطة ، ويوفر امكانية قيام تمثيـل سياسي يعكس الارادة الشعبية الحقيقية ، من خلال تعديل ديمقراطي لقانون الانتخاب ٠

ثانيا : الالتزام بمقتضيات المعركة العربية المشتركة في مواجهـة العدو الصهيوني، وفي صميم ذلك الالتزام بمساندة القضية الفلسطينية ونضال الشعب الفلسطيني الشقيق بكل الاشكال والامكانيات ، ومهما بلغت التضحيات ، واقامة اكثر العلاقات توطدا ورسوخا مع المقاومة الفلسطينية ، على اساس التنسيق الكـــامل الذي يضمن المصلحة المشتركة ٠

ثالثا : تعديل قانون الجيش، واخضاعه للسلطة السياسية، واحلال

التوازن في صفوفه ، ومده بكل الامكانيات المادية والبشرية ليتمكن من القيام بدوره الوطني الاساسي ، وتجنب اقحامه في قضايا الامن الداخلي ، مع ما يتطلبه ذلك من تعزيز لقوى الامن الداخلي عـــدة وعـــددا ٠

رابعا : اقرار قانون التجنس بما يضع حدا لماساة عشرات الالوف من اللبنانيين المحرومين من الجنسية واخـــص بالذكر عرب وادي خالد ٠

خامسا : معالجة الوضع المالي والاقتصادي ، بمـــا يؤمن الموارد الكافية وفق سياسة ضريبية تطال المداخيل المرتفعة، للوفاء بمتطلبات الدفاع الوطني والمشاريع الانمائية ، والتقديمات الاجتماعية والصحية والتعليمية والثقافية وسواها ، والتي ينبغي ان يجـــري توسيعها وتعميمها لتشمل كل اللبنانيين في كل المناطق مع العمل على ضـــرب الاحتكار ، والسير نحو العدالة الاجتماعية بخطى اسرع ٠

وقد احدثت استقالته هزة في النظام ، ونـــال ببانه تاييدا شعبيا واسعا ٠ فعقد الشيخ بيار الجميـــل مؤتمرا صحفيا رد فيـــه على اتهامات الصلح للكتائب ، وعزز الرد «بالوثائق» ، واستنكر استغلال رئيس الحكومة لمجلس النواب من اجل خلق فتنة في البلاد ٠ كما ردت وزارة الدفاع على اتهامات الرئيس الصلح (النهار ١٦ـ٥) ٠

وما لبث الوضع ان اخذ في التدهور ٠ بدات الاشتباكات هذه المرة من جهة الدكوانة ـ تل الزعتر ـ واتهمت الكتائب المخيم بافتعـــال الفتنة وطالبت بنقله ٠ وقد حوصر المخيـــم وتعرض لقصف مستمر واطلاق نار دائم ، ولم تنج حتى سيارات الاسعاف الفلسطينية المرافقة لسيارات الصليب الاحمـــر من التعرض لاطلاق النـــار ٠ وكانت الاستشارات ما زالت مستمرة ، ولم تنجح الجهود الهادفة الى وقف اطلاق النار (النهار ٢١ـ٥) ٠

واضربت بيروت بمناسبة ذكـــرى اربعين مجزرة عين الرمانة ، وكان القتال ما زال مستمرا في الدكوانة · وقـــد امتد الى مناطق اخرى في بيروت ، واعلن الرئيس فرنجية يوم ٢١ـ٥ ان قرار التكليف سيعلن خلال ساعات · وما لبث التجار ان قرروا تعليق الاضراب ، واصبح الاسراع في تشكيل الحكومة مطلبا اجتماعيا (النهار ٢٣ـ٥)·

كان هنالك ضغط لانزال الجيش الى الحلبة ، وحـديث مستمر عن استيلاء الجيش على السلطة · واعلنت ، وســط الاضراب السائد وانفلات حبل الامن ، حكومة عسكرية دستورية يوم ٢٣ـ٥ · فلقـــد كلف رئيس الجمهورية العميد الركن المتقاعد نور الدين الرفاعـــي بتشكيل حكومة عسكرية ، فتم تاليفها واعلنت ، وضمت مدنيا واحدا، هو وزير الخارجية لوسيان دحداح · واشترك في الحكومة العمـاد اسكندر غانم قائد الجيش ، بالاضافة الى ستة آخرين ·

ولقد جاء تاليف الحكومة مفاجاة ، على الرغم من كثرة الحديث عن امكانية استيلاء الجيش على السلطة ·· وكانت المفاجاة الكبرى طريقة تاليفها ، والشرعية الدستورية التي اضفيت عليها ·

اعلن الرئيس كميل شمعون وبيار الجميل ترحيبهما باعلان الحكومة العسكرية ، واحتفلت المناطق التي تسيطر عليها الكتائب احتفالا كبيرا بميلادالحكمالعسكري ، واطلقت زخات الرصاص والقنابل المضيئة · ووقف بالمقابل جنبلاط والقوى الوطنية والتقدمية ومعظـــم القيادات التقليدية ورجال الدين ضـــد الحكم العسكري · وتداعى القـــادة التقليديون المسلمون وكمال جنبلاط الى اجتماع في دار الفتوى يوم ٢٤ـ٥ · بينما كان هنالك من يدعو الى التريث ·

اقر اجتماع دار الفتوى مطـــالبة نور الدين الرفاعي بالاستقالة ، وترشيح الرئيس رشيد كرامي لرئاسة مجلس الوزراء ، وعدم القبول بتكليف غيره · وقد جـــاء هذا الاجماع ضربة قاصمة للحكومـــة العسكرية ، لا سيـــما ان كل الاحزاب والقوى الوطنية والتقدميـــة

والشخصيات الوطنية ومعظم النواب كانوا ضد الحكومة العسكرية ٠ كما ان العميد ريمون اده وقف ضد الحكم العسكري (النهار ٢٥ـ٥)٠

وقد ادى هذا الاجتمـــاع الى خضوع شمعون والجميل لمطـــالب الاكثرية والقبول باستقالة الحكومـــة (النهار ٢٥ـ٥) ٠ واسفرت الاجتماعات عن الاتفاق على استقالة الحكومة العسكرية ، على ان تواصل تصريف الاعمال حتى تتالف حكومة مدنية ٠

وبدأ الحديث في :

١ ـ وقف اطلاق النار وسحب المسلحين وازالة الحواجز ٠

٢ ـ مصالحة الاقطاب وتجـــاوز الخصومات الشخصية ، تسهيلا لقيام حكومة اتحاد وطني (النهار ٢٦ـ٥) ٠

استمر القتال في مناطق متعددة من بيروت ، وابـــدى البطريرك خريش حرصه على وحدة لبنان والتعاون بين ابنـائه وحرصه على المقاومة (النهار ٢٦ـ٥) ٠

واستقالت الحكومة العسكرية يوم ٢٦ـ٥ (النهار ٢٧ـ٥) ٠

وعقد بيار الجميل في اليوم عينه مؤتمرا صحفيا اكد فيه ان لبنان كان « اجمل بلد في العالم ، بدأ يتشوه منذ ٤ او ٥ سنوات ، يعـــد تسلل سيل من الغرباء اليه الذين استفادوا من الوضـع الديمقراطي فيه ، ليفعلوا ما لم يستطيعوه في الدول العربية الاخرى » واشـــار الى ان سبب الاقتتال « ٠٠٠ الذين يتلطون وراء العمل الفدائي الذي نحن معه ونحترمه » ٠٠ واضاف الى ان هناك ٠٠٠ مناطق في لبنـان لا تستطيع الدولة ان تدخلها » ٠ وتعرض الجميل لتاليف الحكومـــة قائلا : « ٠٠٠ فليؤلفوا حكومة بدون كتـــائب اذا استطاعوا ٠٠٠ » كما انه عزا « وقوع الاشتباكات في الدكوانة ٠٠٠ الى وجود مخيـم تل الزعتر في المنطقة » (النهار ٢٧ـ٥ـ١٩٧٥) ٠

كلف رشيد كراعي يوم ٢٨ـ٥ بتاليف الوزارة (النهار ٢٩ـ٥) وما لبثت حركة الخطف والقتل ان نشطت فعاد الاضطراب (النهار ٣٠ـ٥) وبدات تعقيدات الوضع الوزاري تبـــرز . ثم ما لبثت ان ظهرت حركة توزيع الزهر (السفير ٤ـ٦) .

واصدر المؤتمر النسائي اللبناني الفلسطيني يـــوم ١٤ـ٦ بيانا ، اوصى فيه بعزل الكتائب ومناهضة اي حكم عسكري (المحرر ١٥ـ٦).

واصدر حزب الكتائب بيانا اشـــار فيه الى الوساطة المصرية ـ السورية مقدرا « ... المساعي الايجابية الاخوية التي تبذلها المراجع المصرية والسورية وكل اليوادر الايجابية التي تصدر من جانب الدول العربية الشقيقة ، خصوصا ما يقوم به عبد الحليم خدام في اطـار التعاون العربي والعلاقات المشتركة بين البلدين التوامين » . وابدى الحزب ... « ارتياحه الى اجواء التفهـــم التي سادت اللقاء .. » (النهار ١٨ـ٦ـ١٩٧٥) .

والتقى السيد ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير مع الرئيس كميل شمعون يوم ١٦ـ٦ (النهار ١٧ـ٦) وعبـــر الرئيس شمعون عن ارتياحه لروح التعاون البناء والتفاهم التي سادت الاجتماع ، واشار الى انه كان « من المهـــم في الاجتماع التشديد على وجوب عـــودة العلاقات بين اللبنانيين والفلسطينيين الى ما كانت عليه قبل حدوث اية حادثة من هذه الحوادث ، اي الى اجواء ١٩٤٨ ... » (النهار ١٧ـ٦) .

عاد عبد الحليم خدام ثانية الى لبنان للمساعدة على حل الازمة. وكان الهدف من الزيارة : « الاطلاع على تطورات الازمة والمساعدة على حسمها واطلاع فرنجية على نتائج مباحثـــات حسين والاسد ، وابلاغ الرئيس فرنجية اهتمام الاسد بالاعتداء الاسرائيلي الاخير على لبنان ... » . وقد التقى مع الزعماء السياسيين ، ومنهم الجميـــل وشمعون وساسين والبطريرك خريش (السفير ١٧ـ٦) .

التقى الاخ ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية مع الرئيس فرنجية يوم ٢٣ـ٦ـ٧٥ ، ووجه يوم ٢٥ـ٦ رسالة هامة الى اللبنانيين ، اكد فيها حرص المقاومة على ان لا تكون طرفا في الصراعات الداخلية ، وانها ضد الطائفية ٠

توسعت الاشتباكات ، بعد صدور البيان ، بين عين الرمانة والشياح ، واعتبر ذلك محاولة من الكتائب لاجهاض مساعي التهدئة (السفير ٢٥ـ٦) ٠ وامتدت الاشتباكات الى مواقع اخرى ، شملت معظم انحاء بيروت (النهار ٢٨ـ٦) ٠

كان مخاض الوزارة قد بلغ نهايته ، وان كان الضغط ما زال مستمرا من الكتائب وحلفائها على صيغة حكومة الاتحاد الوطني ٠ ولكن الضغوط المقابلة كانت ما زالت ترفض هذه الصيغة ٠ وقد اعلن الامام الصدر اعتصامه يوم ٢٧ـ٦ الى ان تنتهي المأساة ، وعقد اجتماع للشخصيات الاسلامية في اليوم عينه فتح بارقة أمل (النهار ٢٨ـ٦) ، وحاولت الكتائب وحلفاؤها ان تتم المصالحة قبل تشكيل الحكومة ، وذلك لينهي موضوع عزلة الكتائب ٠

بدا واضحا ان الحكومة في ج٠ ع٠ س٠ غير راضية عن تطور الاحداث ، وخاصة عن التدخل المصري ـ السعودي ، فانصل القصر بدمشق وطلب عودة وزير الخارجية عبد الحليم خدام (السفير ٢٩ـ٦) ٠

وكانت الصدامات ما زالت مستمرة في بيروت ، وقد تطورت في بعلبك ـ الهرمل ، وعزلت بعض القرى التي يوجد فيها كتائبيون في المنطقة (السفير ٣٠ـ٦) ٠

ويوم ٢٩ـ٦ اعلن كرامي عن الاتفاق على تشكيل الحكومة ، دون ان تصدر المراسيم التي ارجئت حتى يوجد «٠٠ اخراج يضمن ارضاء الكتائب ويطمئنها الى ان حكومة التهدئة ليست كسرا للتضامن الذي بينها وبين الشخصيات المارونية » (النهار ٣٠ـ٦) ٠

وقد وصل خدام مساء ٢٩ـ٦ ، واعلن تشكيل الحكومة يوم ٣٠ـ٦ بعد مصالحة كرامي شمعون (النهار ١ـ٧) ٠

وتكونت الوزارة كما هو معروف ٠

واجتمعت الوزارة ، في اليوم التالي ١ـ٧ مع وفد فلسطيني ، وتم الاتفاق على عدد من الاجراءات لضبط الامور ٠ وبدأت الامور تتجه نحو الهدوء ٠

★★★

٢ ـ خلفيات الاشتباكات واهدافها

ما حدث لم يكن مفاجأة ٠ كان من حيث الامكان منتظرا منذ ايار سنة ١٩٧٣ ٠ ذلك ان مهاجمة السلطة في ايار مراكز المقاومة الفلسطينية لم تؤد الى تحقيق المطلوب ، وهو :

١ ـ فرض تنازلات عسكرية على المقاومة ٠

٢ ـ دفعها باتجاه التنازلات السياسية ، والضعف السياسي ٠

وكان ذلك استمرارا لما حدث في الاردن سنة ١٩٧٠ ـ ١٩٧١ ٠ وقد كسبت المقاومة قوى جديدة ، خلال الصدام ، في اوساط الجماهير اللبنانية ٠

وجاءت حرب تشرين ، وبدأت تشيع في الاوساط الدبلوماسية امكانية حل سياسي ، فاتجهت السلطات اللبنانية ، ومعها الكتائب ، الى الدفع بهذا الاتجاه ٠ ولذلك فتحت الكتائب باب الحوار مع المقاومة ، وعقدت جلسات متعددة جرى فيها تبادل وجهات النظر ٠ دون الوصول الى اتفاق بسبب تراجع الكتائب عن البيان المشترك ٠

ولكن السنتين الماضيتين ايار ١٩٧٣ ـ ايار ١٩٧٥ ، حملتا معهما ما يلي :

١ ـ حرب تشرين وزيادة شعور الامة العربية بقدرتها على مواجهة العدو الصهيوني ٠

٢ ـ زيادة اثر الدول العربية في السياسة العالمية ، وزيادة عزلة دولة الاحتلال الصهيوني ٠

٣ ـ تدهور وضع الامبريالية الاميركية داخليا وخارجيا، وهزيمتها الساحقة في الشرق الاقصى ٠

٤ ـ تصاعد نشاط المقاومة الفلسطينية في الداخل، وتحسن وضعها السياسي في لبنان والبلاد العربية والعالم ٠

٥ ـ صمود المقاومة الفلسطينية امام المؤامرات والمناورات، وتعثر محاولات اشراك الفلسطينيين في التسوية الاميركية ٠

٦ ـ تنامي الحركة الشعبية اللبنانية ، وزيادة قدراتها النضالية والقتالية ٠

ولذلك كله كان لا بد ان تتحرك قوى الثورة المضادة لتحقيق ما يلي:

١ ـ على الصعيد الفلسطيني :

أ ـ فرض تنازلات عسكرية على المقاومة تضعفها عموما ، وتضعف وجودها العسكري في المدن وحولها خصوصا ٠

ب ـ دفعها نحو المأزق سياسيـــا ، لاجبارها على المشـــاركة في مناورات التسوية الاميركية ، والعودة الى الاردن خاصة ٠

٢ ـ على الصعيد اللبناني :

أ ـ عزل القوى الوطنية اللبنانية عن المقاومة ٠

ب ـ توجيه ضربات الى القوى الوطنية اللبنانية لاضعافها وضمان استقرار النظام ٠

٣ ـ على الصعيد العربي :

ارباك الدول العربية والضـــغط عليها لدفعها باتجاه الخضـــوع للسياسة الاميركية الصهيونية ٠

وقد افتتح الشيخ بيار الجميل المسلسل بمذكرته حول وجود العمل الفدائي في لبنان (النهار ٢١ـ٢ـ٧٥) ويمكن ان تلخص مذكـــرة الكتائب ، بأن لبنان يستطيع تدبر امره بنفسه، وبانه ليس هناك على لبنان خطر من «اسرائيل» ذلك ان اسرائيل حتى في ذروة قوتهـــا وتفوقها على لبنان وعلى العرب لم تقـــدم على تحقيق مطامعها في لبنان ، فلماذا الان ؟ ولذلك اذا غير لبنان من سياسته الدفاعية وقوي عسكريا ، فسيكون خاسرا وسيخسر الجنوب٠ وطالبت المذكرة باعادة المسؤولية في الحدود الى الدولة لتامين سلامـــة لبنان ، وباستفتاء شعبي حول كل هذه القضايا (النهار ٢١ـ٢ـ١٩٧٥) ٠

واحدثت مذكرة الشيخ بيار الجميل ردود فعـــل مختلفة ، فأعلن كمال جنبلاط «ان فتح باب الاستفتاء ليس في مصلحـــة صاحب الاقتراح، لان فريقا آخر قد يطالب باجراء استفتاء لمعرفة الفئة التي تشـــكل الاكثرية في البلاد » ٠ اما ريمون اده فقال :« ان الاستفتاء ديمقراطي لكنه غير عملي ٠ انا لست منزعجا من الوجود الفدائي ، بل اعتبـر ان الفلسطينيين باتوا من صميم الشعب اللبناني ، ووجودهم فـــوق الاراضي اللبنانية امر واقع ، ولكن ما يزعجني هو بعض الاعمـــال التي تصدر عن بعض الفئات التي تدعي الفداء ، والتي تشكل ذريعـة لاسرائيل للاعتداء على لبنان » ٠ وقال شفيق الوزان : نعتقـــد ان الاستفتاء قد حصل باستمرار حول الوجود الفلسطيني ، منذ ان كانت القضية الفدائية ٠ وتكرس دعمه في كلام رئيس الجمهورية لمصلحة القضية الفلسطينية وباسم العرب جميعا (النهار ٢١ـو٢٢ـ٢ـ٧٥) ٠

وما لبثت الاحداث ان تطورت في اوائل آذار · ذلك ان النائب السابق ، والزعيم الوطني معروف سعد قاد تظاهرة للصيادين في صيدا ، احتجاجا على ترخيص الدولة شركة بروتين لصيد الاسماك، فأطلق عليه الدرك النار فقتل ·

وقد أدى مقتل معروف سعد الى انتفاضة وطنية ، وقد عبرت مطالب الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية عن مطالب الرأي العام الوطني · وركزت هذه المطالب على ما يلي :

- تحقيق مطالب صيدا بشأن صيادي الاسماك والتعويض عن الاضرار ·
- وضع مشروع قانون جديد لتنظيم الجيش ·
- اجراء تحقيق جدي لمعرفة قاتل سعد ودوافعه ·

(البلاغ ١٠ـ٣ـ١٩٧٥)

ولكن السلطة لم تستجب ، واخرجت الكتائب وحلفاؤها مظاهرات دفاعا عن الجيش وقائده اسكندر غانم ، مما زاد التوتر في البلاد · وحين قطع اهالي صيدا الطريق احتجاجا على عدم اجابة مطالبهم ارسلت السلطة قوات بحجة فتح الطريق · دخلت القوات صيدا الساعة الخامسة مساء ، وكانت تتكون من حوالي كتيبة مدرعة ، ولكن ما ان بدا الظلام يخيم حتى ضربت قوات الجيش ، فلم يصبح عليها الصباح حتى كانت تستنجد للسماح لها بالخروج ، بعد ان تكبدت خسائر فادحة ·

وكان الهدف من ادخال قوات الجيش الى صيدا يتلخص في فرض سلطة الدولة على المدينة واخضاعها ، والاحتكاك بالفلسطينيين ، لتداخل المخيمات بالمدينة ولتمازج السكان ··· ولكن التعامل بقوة وسرعة مع القوات التي دخلت الشارع الرئيسي في المدينة ، والهيبة

الجماهيرية التي واجهت تحديات السلطة احبطت المخطط ٠

ولكن فشل المحاولة ، لم يردع السلطة ، فأخذت تدفع الامور باتجاه التأزم ، واخذت قوى السلطة (الكتائب الاحرار وحلفاؤهما) تدفع باتجاه سقوط وزارة السيد رشيد الصلح ، بينما كانت الجماهير والقوى الوطنية والتقدمية تضغط لتحقيق مطالبها ، التي طرحها رشيد الصلح ، فيما بعد ، في بيان استقالته في البرلمان ٠

وكانت المنطقة العربية تسير باتجاه التأزم ، ذلك لان مساعي كيسنجر وصلت الى مأزق ، وكانت الولايات المتحدة تريد ان توجه ضربات الى الطرف الفلسطيني ، لاضعاف دوره في معارضة ما يخطط له ، ولافساح الطريق امام بروز دور الاردن٠ كما ان الولايات المتحدة الاميركية كانت تريد ان تشعر السادات ، وهو مزمع على لقاء سالزبورغ ، ان المنطقة تتفجر تحت رجليه ، وان طريق التسوية هي طريق تصفية المقاومة الفلسطينية وقوى حركة التحرر الوطني العربية٠ اما النظام العميل في الاردن ، فكان يهدف الى توجيه ضربة الى المقاومة تهز وجودها في لبنان تمهيدا لتصفيتها ٠ واما دولة الاحتلال فكانت تريد ان يتفجر الوضع في لبنان لاستنزاف قوى المقاومة ولارباك مخططات الدول العربية ، ونقل الذعر والفزع والخراب الى داخل البلاد العربية ٠

***

٣ ـ المعركة سياسيا

حاولت القوى المشتركة في المؤامرة ان تتبع الخط التالي في عملها:

اولا : يقوم حزب الكتائب بتفجير الصدام ، ويخلق حالة من الاضطرابات والصدامات الدموية مع المقاومة والقوى الوطنية ٠

ثانيا : يبقى رئيس الجمهورية على «الحياد» شكليا ، كمـــا يبقى الجيش واجهزة السلطة الاخرى ٠

ثالثا : يضغط حزب الكتائب من اجل تدخل الجيش منقذا ، ويوفر المبررات لتدخله ٠

رابعا : يشن حزب الكتائب هجومه على « اليسار » المتطـــرف والمخرب والعميل ، ويعلن انه مع الفداء الحقيقي ٠

وكان الهدف من ذلك كله : مهاجمة المقاومة تحت ستار الدعايـة المضادة لليسار ، وابقاء السلطة «محايدة» شكليا ، من اجل ضـمان عدم استفزاز اوساط اسلامية ، وعدم استفزاز الدول العربية والراي العام العربي ، ولفسح الامكـانية امام تدخل عربي كما حـدث في الاردن ٠ كما ان هذا التكتيك كان يضمن مشـــاركة الجيش وقوى السلطة الاخرى ، باسم الكتائب وتدخل الجيش والسلطة بحجـــة الانقاذ ٠

ولذلك ظل رئيس الجمهورية يعتبر حكمـــا على الصعيد العربي ، والى حد ما على الصعيد اللبناني ، وعندما اعلنت الحكومة العسكرية اعلنت انها حكومة انقاذ ٠

وكانت الكتائب بالطبع تتحدث عن اليسار ، وتهاجم مخيم تـــل الزعتر ، وتشن الحملات على المخربين ، وتطالب باعادة السيادة الى الدولة ٠ وقد طالب الشيخ بيار الجميل بعد احداث عين الرمانة بان « يكون الفدائيون قـــوة تحت اشراف الجيش اللبنـــاني والسلطة اللبنانية » ، واعتبر ان الحل يكمن في ان تتم « ٠٠٠ السيطرة علـى العناصر المخربة في المقاومة » (الصياد ٤/٢٤ ـ ٥/١) ٠ كما اعلن في مؤتمر صحفي (النهار ٢٧ـ٥) ان سبب القتال يعود الى :

١ ـ « الذين يتلطون وراء العمل الفدائي ٠٠٠ » واضاف « الذي نحن معه ونحترمه » ٠

٢ ـ « ... هنـــاك مناطق في لبنان لا تستطيـــع الدولة ان تدخلها ... » .

٣ ـ « ... وقوع الاشتباكات في الدكوانة مردها الى وجود مخيم تل الزعتر في المنطقة ... » .

وظلت الكتائب تثير موضوع « ... شمول سلطة الدولة جميـــع الاراضي اللبنانية ... » (السفير ١٢ـ٦) . وعاد الشيخ بيـــار الجميل ، فأكد ان الصراع ليس بين الكتائب والمقـاومة الفلسطينية ، والصراع ليس طائفيا ، وهو ليس صراعا بين اليمين واليســار لان اليسار الحقيقي هو الكتائب ، واضاف ان « اليســار عندنا استغلال تمارسه جماعة تعودت تسخير نفسها للغيـــر ، وهي اشبه بطابور خامس . انه استعمار جديد يتستر وراء اليسار الاصيل » . واتهـم الشيخ بيار اليسار باثارة النعرات الدينية بسبب عجزه عن اثبـات كفاءته وفعاليته للمساهمة في تطوير المجتمع ، كي يلجأ الى الاستعانة بالوجود الفلسطيني (النهار ١٣ـ٦) .

وكانت الكتائب وحلفاؤها تحاول ان تعمم ان وجود اليسار وتدخل ليبيا هما سبب الازمة .

وكان المتآمرون يهدفون من ذلك كله الى :

١ ـ ذر الرماد في العيون لاخفاء افتعالهم الاضطرابات .

٢ ـ محاولة خداع الرأي العام اللبناني والعربي ، بأن المقاومـــة ليست الهدف .

٣ ـ محاولة خداع قيادة منظمة التحرير بأن الهجوم لا يستهـدف ، المنظمة ، بل القوى الخارجة عليها .

٤ ـ محاولة خداع اوساط واسعة من الرأي العام اللبناني بـــأن «المتآمرين ليسوا طائفيين» ، في الوقت الذي يرتكبون فيه جرائم طائفية .

وبالنسبة للسلطة فقد اتهمتها الحركة الوطنية بالتواطؤ ، فقالت انها تصرفت مع الكتائب ، وكأنها ليست سلطة ، نقيض ما فعلته في طرابلس وصيدا ، قبل ذلك · ومن ناحية اخرى فقد كان الجيش يقدم كل المساعدات للكتائبيين في عملهم · فهو يمدهم بالعناصر العسكرية، المجازة وغير المجازة ، ويوفر لهم الذخيرة ، ولا يضع اية عراقيل في طريق تحركاتهم · (كمال جنبلاط في حديثه مع صحيفة لوبينيون المغربية ١٨ تموز ٧٥) ·

وكان رئيس الجمهورية يهدف من وراء موقفه «المحايد» الى ضمان تدخل عربي لمصلحة السلطة ·

ويبدو ان المخطط كان يرمي الى تدخل عربي ، كما حدث ، في الاردن ، بحجم المقاومة ، تمهيدا لتصفيتها ·

وعلى صعيد القوى الوطنية : الجماهير الوطنية والاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية فقد استنفرت ، بعد حادث عين الرمانة مباشرة واعلنت موقفها الذي اشرنا اليه ، واستنفرت قواها السياسية والمسلحة استعدادا للطوارىء · وكانت ترى انه لا بد من ضرب الكتائب ضربات موجعة ، حتى تتعلم القوى المتآمرة درسا لا تنساه، وحتى تخنق الفتنة في المهد · وقد طالبت بعزل حزب الكتائب وحله وتجريده من اسلحته · كما طالبت بالتحقيق في مجزرة عين الرمانة، واعتقال المطلوبين · وتركز الهجوم السياسي ، فيما بعد على قضية عدم اشراك الكتائب في السلطة ، حتى تشكلت الوزارة بدون الكتائب · وقد نشطت القوى الوطنية (الجماهير والاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية) في عقد المؤتمرات الشعبية للتعبير عن سخط الرأي العام الشعبي واظهار مطالبه ، كما نشطت الاجتماعات المشتركة مع المقاومة ·

ولكن القوى الوطنية كانت تربط موقفها بموقف المقاومة ، سياسيا وعسكريا ، ولا تفعل ما يجعلها متقدمة عليها · كما ان جبهتها كانت

تعاني ضعفا اساسيا ، فالاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية وجـــدت نفسها في لقاء مع القيادات التقليدية السياسية والدينية عند اعلان الحكومة العسكرية خاصة · وهذه القيادات كانت، امام ضغط الرأي العام ، ضد ما يجري ، ولكنها لم تكن مستعـــــدة للصراع المسلح لسببين : اولهما يكمن في انها من اعمدة النظام ، وهي تتناقض مـع شركائها فيه، ما دام هؤلاء الشركاء من الزعماء الموارنة لا يحترمون حقوق الشراكة التقليدية ، وثانيهما : يكمن في ان القيادات التقليدية، ليست قيادات جماهيرية ، اذا ما استثنينا الامـــام الصدر ، وان الصراع المسلح يضعها جانبا ويبرز كمال جنبلاط والقيادات الوطنية والتقدمية الاخرى التي تلعب دورا في الصراع المسلح · ولذلك كانت القيادات التقليدية مع التهدئة والمصالحة · شـــرط ان تأتي هي الى السلطة ، وليست مع عزل الكتائب او تجريدها من السلاح الخ ··

ومن هنا كانت القوى الوطنية والتقدمية ، امام مأزق ، فامـــا ان تفرط الجبهة التي قامت في دار الافتاء عند قيام الحكم العسكري من اجل التشديد على مطالبها ، او ان تؤثر الجبهة على المطالب· وآثرت الجبهة على المطالب · فكانت النتيجة ان الزعماء التقليديين زعماء ما قبل سنة ١٩٥٨ ، اقتسموا السلطة ، ليبقـــوا الكتائب خارجا ، ولكنهم ابقوا القوى الوطنية ايضا خارجا ·

وهكذا نستطيع ان نقول بأن القوى التقليدية عادت الى السلطة · اما الكتائب فخسرت المعركة مؤقتا ، وخسرت المشاركة في السلطة ، لانها لم تستطع ان تفرض اي تنازل على المقاومة ، سياسيـا كان أو عسكريا ، كما انها لم تستطع فرض اي تراجع على القوى الوطنية في لبنان · الا ان الكتائب كسبت كونها برزت باعتبارها القوة الاساسية المسلحة في الاحياء المسيحية ·

اما القوى الوطنية اللبنانية جماهير واحزابـــا وقوى فقد خرجت اكثر قوة واتساعا وخبرة ، وتلاحما مع المقاومة، واثبتت استعدادها

للدفاع عن نفسها واحيائها بالسلاح وقدرتها على تحقيق ذلك · ولقد سقطت سلطة الدولة عن مناطق كاملة، منها الشياح والغبيري وحارة حريك وبرج حمود والنبعة والسلخ داخل بيروت ، مع ان هذه المناطق لم تكن حتى ايار سنة ١٩٧٣ مناطق سيطرة للقوى الوطنية المسلحة· ومنها مناطق واسعة خارج بيروت ·

وعلى صعيد المقاومة : حرصت المقاومة ، وبعد الاشتباكات الاولى خاصة ١٣ـ١٧ نيسان ١٩٧٥ على التهدئة · لم تكن مع توسيع الصدامات ، ولا مع استمرارها ·

وقد عملت لخنق الفتنة ومنع تحولها الى فتنة طائفية · وكانت المقاومة تنطلق في ذلك مما يلي :

١ ـ ان هناك مؤامرة على المقاومة ، وان تفجير الوضع في لبنان يرمي الى ضرب المقاومة اولا ·

٢ ـ ان المؤامرة امريكية ـ اسرائيلية يشارك فيها الاردن ، وانها قد تقود الى قبرصة لبنان ·

٣ ـ ان بعض الدول العربية لا يطمأن الى موقفها ·

ولذلك حرصت المقاومة على التهدئة وضبط النفس ، ولم تقم حتى ببعض الهجمات الفعالة ، خلال الاشتباكات، لتحجيم الكتائب سياسيا وعسكريا ، مع ان ذلك كان ضروريا وممكنا ، ولا يؤثر على مجرى الاحداث ·

ولقد ضغطت القوى المعادية ، من الكتائب واحلافها لدفع المنظمة نحو الانسلاخ عن القوى الوطنية اللبنانية ، وكان الهدف من ذلك شق منظمة التحرير اولا ، وفصم وحدتها مع الجماهير الوطنية والقوى الوطنية والتقدمية ثانيا · ولذلك اثيرت هذه القضية في اجتماع عرفات ـ فرنجية الذي صدر على اثره بيان ياسر عرفات ،

وجاء فيه ان الثورة الفلسطينية ليست طائفة ولا حزبا ولا رديفا لاحد في لبنان ٠

ومع ذلك فان تكتيك القوى المضادة لم ينجح ٠ ذلك انها لم تستطع دفع الخلافات داخل المنظمة الى صراعات دموية ، كما انها لم تستطع ان تفصم الوحدة بين الثورة الفلسطينية والقوى الوطنية٠ وحين وقع اختطاف الكولونيل مورغان ، كادت الامور ان تتطـور نحو الصدام المسلح داخل المنظمة بسبب :

١ ـ تدهور العلاقات داخل منظمة التحرير الذي اخذ يتفاقم منذ ما بعد حرب تشرين ٠

٢ ـ الضغط اللبناني على المنظمة بحجة ضبط العناصر غيـــر المنضبطة في المقاومة ٠

٣ ـ الضغط العربي والمصري خاصة على المنظمة لضرب جبهـة الرفض الفلسطينية ٠

مرت قضية اختطاف الكولونيل مورغان دون ان تحدث الصـــدع المطلوب ، وان كانت قد تركت مزيدا من الاثار السلبية في العلاقـات الفلسطينية ، وفي صورة المقاومة لدىالجماهير العربية عامة ٠

★★★

٤ ـ المعركة عسكريا

كانت المعركة من الناحية العسكرية معركة احياء، ومعركة ميليشيا٠ ذلك ان كل قوة من القوى المتصارعة اغلقت احياءها ، ثم اخـــذت تطلق النار او القذائف باتجاه الإحياء الإخرى٠ ولم يكن اطلاق النار ولا القذائف كثيفا او مركزا ٠ وقد استخدم الرفن العشـــوائي على

الآمنين والقنص · ولم يحدث اي هجوم يذكر ، ما عدا تحرك بعض المجموعات الوطنية باتجاه عين الرمانة ، او تحـــرك بعض دوريات المقاومة الى الدكوانة · وقامت من الطرف الاخر مجموعات بمحاولة التسلل الى المسلخ ·

خرج كل المسلحين الى الاحياء ، ووضعت المتاريس والحواجـــز دون نظام · وكانت في الاحياء الوطنية حواجز ومتاريس محلية ، وقد استعيـن في حـالات استثنائيـة بعناصـر من المقاومـة والقـــوى الوطنية ، اما في الاحياء التي سيطرت عليهـا الكتائب وحلفاؤها ، فقد استقدمت قوات من كسروان والمتـــن ، تزيد في عددها حسب التقديرات عن العناصر المحلية ·

استخدمت القوى الوطنية في المعركة الرشاشات الخفيفة والبنادق نصف الآلية والقديمة ، كما استخدمت الرشاشات المتوسطة والثقيلة ومدافع الهاون (٦٠،٨١،٨٢،١٢٠) ومدافع ٧٥ والصواريخ · ولم تستخدم مدافع الهاون ١٢٠ ، ومدافع ٧٥ والصواريخ الا قليلا · اما في الجهة المقابلة ، فقد استخدمت الرشاشات الخفيفة والبنادق الالية وتصف الالية المنوعة (كلاشنكوف ، ناتو ، جـ١٦، سيمنوف، فال الخ) كما استخدمت رشاشات ٥٠٠ بكثافة ، واستخدمت الهاونات ، على مختلف انواعها ، ومدافع مختلفة اخـــرى (مثل ب ١١ و ١٠٦) وصواريخ ٣ر٥ بوصة · لم تكن الرمـــاية مركزة في كل الحالات ، وكان المدنيون هدفا لكل انواع الرماية ·

وكانت الاشتباكات عبارة عن رمايات مختلفة على استحكامات من اكياس الرمل ، او على بنايات ، او على شوارع ، ولم تكن هنـــاك اشتباكات مواجهة ·

وكانت الاستحكامات تقام في اكثر الاحيان على مسافات تتراوح بين مائة ومائتين مترا عن النقطة الفاصلة بين حيين ، بحيث يتـرك هامش معقول · واقيمت في مناطق الكتائب استحكامات على اسطح

البنايات ، او شرفاتها ٠

وكانت اكثر مناطق الاحتكـــاك اشتعالا تل الزعتر ـ الدكوانـــة والشياح ـ عين الرمانة ٠

وكان هناك ثلاث مراحل للعمليات :

الاولى : محور عين الرمانة ـ الشياح : وقد قامت المقاومة والقوى الوطنية بمهاجمة عين الرمانة واقتحام بعض المناطق فيها ، بعـــد المجزرة ٠ وتركز القصف والهجمات على الجزء التابع للشياح مـن المنطقة المسماة عين الرمانة ٠

الثانية: محور تل الزعتر ـ الدكوانة: وقد قامت الكتائب بمحاصرة المخيم في محاولة لعزله واستسلامه ٠ دام الحصار اكثر من عشرة إيام ، وقصف المخيم بالهاونات ومدافع اخرى ، منها مدافع ملالات الدرك ، كما رمي بالرشاشات ، واعمال القنص ٠ وكانت الخطورة تكمن في ان المخيم ضيق مزدحم، بيوته من الطين والزينكو او الاسمنت الضعيف ، ولذلك كانت الرمايات مؤثرة ٠ ومع ذلك صـمد المخيم ، وقرت قوات الكتائب من رأس الدكوانة ، والدكوانة ، حتى الشـارع الذي يمر من امام النافعة والمدرسة والفندقية ٠

الثالثة : محور الشياح ـ عين الرمانة المسلخ ـ الاشرفية: تركزت الاشتباكات في هذين المحورين ، في المرحلة الثالثة والاخيرة ٠ وقد توقفت الاشتبـــاكات في جبهة تل الزعتر ـ الدكوانة ، واخـــذت الاشتباكات في البدء طابع تراشق متبادل ، ثم ما لبث شباب الشياح ان قاموا باغارات على اطراف عين الرمانة ٠ وجـــرت محاولة من الكتائب للتسلل الى المسلخ ، ولكنها احبطت ٠

وقد قصفت الاشرفية والسيوفي وعين الرمانة وسن الفيل بقذائف الهاون والصواريخ ، كما قصفت احياء تل الزعتر والشياح والنبعـة وبرج حمود والمسلخ ، وسقطت بعض القذائـــف على شارع حمد ،

وصبرا ، ولم يقصف مقر الكتائب في الصيفي الا بعد ان قصف مقر ياسر عرفات ٠

وكانت المناطق خارج بيروت كالتالي :

أ ـ الجنوب : اشتباكات صغيرة ومحدودة ٠

ب ـ الشوف : حدث اشتباك بين الدامور والناعمة حيث تسيطر قوى الاحرار والكتائب مع حارة الناعمة ٠

جـ ـ جبل لبنان : اشتباكات صغيرة ومحدودة جدا ٠

د ـ البقاع بعلبك ـ الهرمل : بعض الاشتباكات اهمها اقتحام بلدة القـــاع ٠

هـ ـ في الشمال : ساد طرابلس جو من الاضطراب بسبب اعمال النسف ٠

ولا بد لنا هنا من ان نشير الى اعمال الخطف والنسف ٠

أ ـ الخطف : بادرت الكتائب الى اعمـــال الخطف لتوتير الجو ، ولاثارة الاحقاد الطائفية ، وقد ادت اعمالها في هذا المجال الى بعض الاستجابات العفوية في الطرف المقابل ، فقام بعض الافـراد بأعمال خطف مقابلة ، ولكن محدودة ، وما لبثت المقاومة والقوى الوطنية ان وضعت لها حدا ٠ وكانت الكتائب تهدف من وراء ذلك الى استنفـار كل المسيحيين معها ، والى توفير الاسباب لاقناعهم بعدالة معركتها ٠

ب ـ النسف: قامت الكتائب باعمال النسف ضد الافراد من المذاهب الدينية او السياسية الاخرى ٠ فنسفت في عين الرمانة كل محـــلات الفلسطينيين او اللبنـــانيين الدروز والســـنة والشيعة والمسيحيين المعارضين للكتائب ، كما اقتحم عدد كبير من البيوت التي يقطنهـــا فلسطينيون او لبنانيون ينتمون الى مذاهـــب اخرى ، او يعارضون الكتائب ٠

ولم تنسف في الاحياء الوطنية محلات او اقتحمت بيوت ، ولكن حدث نسف بعض المحلات التجارية الكبرى في الحمراء والصنايع · ولم تعرف بعد هويات كل الذين قاموا بهذه الاعمال ·

ومن الملاحظ ان قسما كبيرا من عمليات الخطف والنسف التيجرت في الاحياء الوطنية او قربها قام بها افراد من خارج اطار المقاومة والقوى الوطنية المنظمة ·

★★★

٥ ـ ملاحظات عامة

لقد توقفت الاشتباكات المسلحة ، وعاد لبنان الى الهدوء ، ولكنه هدوء قلق ومؤقت · ان اية حادثة كافية لاشعال النار من جديد· كما ان توازن القوى الجديد الذي برز نتيجة المعركة،وعزز قدرات المقاومة والقوىالوطنية سوف يدفعالاطراف الاخرىالى التحرك فيمحاولةلتعديل ميزان القوى لمصلحتها · ولسوف تتحرك سياسيا باديء ذي بدء ، وستحاول ان تفرض على المقاومة بعض التنازلات عن طريق المطالبة بـ «ضبط» بعض اطراف المقاومة وبعض اجهزتها · وستوظف ضغطا عربيا لتحقيق هذه الغاية · وستستخدم بعض الاشتباكات المحدودة لتحقيق هذا الهدف· ولسوف تركز القوى المضادة على محاولة تمزيق المقاومة وعزلها عن القوى الوطنية، ومن ثم عن الدول العربية ايضا· ولكنها ستضرب عندما تحين الفرصة بشراسة اشد · وهي تستعد لذلك · انها تدرب ، تسلح ، تعبيء ، وتنتهز الفرص ·

وعلى المقاومة والقوى الوطنية ان تستعد لذلك كله ، وان تعمل من الان لمحاصرة القوى العميلة وعزلها عن جماهير المسيحيين، ولتجنيب لبنان فتنة طائفية · ولكنها يجب ان تستعد ايضا لهزيمة المخطط

الاميركي ـ الاسرائيلي الذي تنفذه الكتائب واساتذتها ٠

ان هذا يقتضي :

١ ـ وحدة الموقف الفلسطيني على برنامج موحد ، لمجابهة مشاريع التسوية الاميركية ـ الرجعية ، ولتصعيد القتال والنضال على كل الجبهات من اجل تحرير كل الاراضي الفلسطينية ، واحباط التسوية الاميركية وكل اشكال التسويات ٠

٢ ـ المحافظة على جبهة وطنية عريضة في لبنان تضم كل القوى المعادية للامبريالية الاميركية والاحتلال الصهيوني وعملائهما ٠

٣ ـ محافظة المقاومة الفلسطينية على اوثق العلاقات مع اوسع القطاعات الجماهيرية والقوى الوطنية في لبنان ، وترسيخ اسس التعاون والتفاعل ٠

٤ ـ بناء القوى السياسية والعسكرية القادرة على تحمل مسؤوليات التصدي للعدو الصهيوني وللقوى المضادة للثورة ٠

ان رواسب الطائفية لدى الموارنة والامتيازات الاقتصادية التي حصلوا عليها ، خلال المائة سنة الاخيرة ، وارتباطات زعاماتهم مع المتروبول الفرنسي اولا ، ثم مع الولايات المتحدة الاميركية ، تجعلهم على صدام مع الحركة الجماهيرية الوطنية والتقدمية في لبنان ، كما تجعلهم معادين لحركة المقاومة الفلسطينية وحركة الوحدة والتقدم في البلاد العربية ٠ ولذلك فانهم ، نتيجة ذلك كله ، سيعملون على ان يوظفوا كل قواهم في معاداة هذه الحركة لخدمة مصالحهم وارتباطاتهم ٠

وان اي تحليل لوضع الكتائب يجب ان ينطلق اساسا من تحليل وضع الطائفة المارونية ٠ ووضع الطائفة المارونية تتحكم به العوامل التالية :

١ ـ الدفاع عن السلطة التي سلمها اياهـا الاستعمار الفرنسي ، في محاولة لتحكيم طائفة بلبنان وخلق صراع طائفي فيه • وقد خلق وجود الطائفة في السلطة شعورا لدى جميع فئاتها بما فيهم كثير من الفقراء بان اية معارضة للسلطة تهديد لسلطة الطائفية •

٢ ـ الدفاع عن المصالح الاقتصادية التي امتلكتها الطائفة نتيجـة العلاقات مع الاستعمار لمصالح الطائفة ايضا •

٣ ـ الخضوع لتاثيرات التعبئة الطائفية والانعزالية المتحدرة من اواخر الحكم العثماني، ومن تعبئة الارساليات والدوائر الاستعمارية•

ان هذه العوامل جعلت اقساما هامة من الطائفة المارونيـة ، تحس بان حركة التحرر والتقدم موجهة ضدها ، وبانها معنية بالدفـاع عن الامبريالية ومرتبطة بها •

وقد ولد حزب الكتـــائب في هذه البيئة معبرا عن مصالحهـــا واوهامها • ولذلك جاء حزبا فاشستيا ، معاديا لكل مـا هو عربي ، مع الانعزال ضد الارتباط بالوطن العربي ، ومع بقاء الهياكل المتخلفة ضد حركة التقدم •

وحزب الكتائب يمثل الان قبضاي الطائفـة المارونيـة ، المهـددة بالتصدع نتيجة مجمل التطورات اللبنانيـــة والعربية والعالمية التي حدثت في السنوات العشرين الاخيرة • ويحاول الحزب ان يوحـــد الطائفة بالقوة ، وان يحافظ على سيطرتها السياسية والاقتصاديـــة بالارتباط طبعا بالامبريالية الاميركية، وبالتعاون مع الانظمة الرجعية العربية ، وخاصة الاردن والسعودية •

ولكن معسكر الخصم يتفتت ويضعف للاسباب التالية :

١ ـ ان حركة التقدم في الوطن العربي والعالم تجرف امامها كل الرواسب والقوى المتخلفة •

٢ ـ ان المجتمع المسيحي في لبنان يحمل في ثناياه عوامل تفتته . فمن جهة هناك التطور الاقتصادي الذي حدث في السنوات الاخيرة ، نتيجة تطور وسائل المواصلات بين البلاد العربية وسهولة انتقال الاشخاص والاموال والسلع ، وبسبب تحول لبنان الى مركز اعلامي وسياحي وتجاري . ومن جهة اخرى هناك انتشار العلم في اوساط واسعة ، وازدياد عدد المتعلمين وخريجي الجامعات والمهندسين والاطباء ، وانتشار الافكار الليبرالية والثورية . وهناك ايضا التناقضات التقليدية داخل المجتمع المسيحي والتناقضات بين الجديد والقديم .

٣ ـ ان الحركة الوطنية والتقدمية في البلاد العربية تنمو وتتقدم ، بينما تضعف القوى الرجعية والمتخلفة وتتساقط .

ولذلك فان هذه القوى الرجعية تربط وجودها ببقاء دولة الاحتلال الصهيوني والامبريالية الاميركية . وهذا ليس غريبا .

★★★

٦ ـ دروس التجربة

ان الاشتباكات التي حصلت غنية بالدروس والعبر . فلقد اكدت مجددا :

١ ـ ان نهوض الجماهير للدفاع عن حقوقها ومصالحها وكرامتها كفيل بان يحبط مناورات القوى المعادية ومؤامراتها .

٢ ـ ان الموقف الموحد لكل القوى الوطنية وتوحيد امكانيات الجماهير والقوى السياسية المختلفة كانت ضرورية ، وان وحدة الموقف هذه كانت من العوامل الرئيسية التي طوقت المؤامرة واسقطت الحكم العسكري ، وحالت دون نجاح المتآمرين .

٣ ـ ان لجوء الجماهير الى السلاح وخوضها المعركة المسلحة كان الرد المناسب على مؤامرة العملاء الدموية ٠

٤ ـ ان الجماهير اللبنانية المسلحة هي الدرع الواقيـــة للثورة الفلسطينية ، وان وقوف هذه الجماهير في وجه المؤامرة حال دون ان تحول المعركة الى معركة لبنانية ـ فلسطينية ٠

واذا كانت المعركة التي خاضتها القوى الوطنية قد اتخذت طابـــع الهجوم من الناحية السياسية ، فقد اتخذت طابعا دفاعيا سلبيا مـن الناحية العسكرية ، ولذلك سقط الحكم العسكري ، ومنع حزب الكتائب من المشاركة في الوزارة ، ولكن لم يضـــرب حزب الكتائب ضربات موجعة ، تضعف وجوده السياسي والعسكري في المناطق المسيحية ٠

وكان هذا ناتجا عن عدة عوامل٠ فمن جهة انشغلت القوى الوطنية بالهجوم السياسي ، كما كانت تشغل قبل ان تنتقـــل الى الصراعات المسلحة ٠ ومن جهة اخرى كانت قواها غير معـدة ، تدريبا وتنسيقا وتعبئة للعمليات الهجومية ٠ ومن جهة ثالثة كان موقف التهدئة الذي تتخذه الثورة الفلسطينية، ومصر وسورية بشكل عام يقف حائلا دون تصعيد المعركة ٠

الا ان اهم ما يلفت النظر هو عدم وجـــود التنسيق الذي يسمح بتوزيع القوى المتوافرة توزيعا سليما وقيادتها قيادة مناسبة ٠ لقـد نزلت القوى الوطنية ـ المنظمة والمستقلة الى الشـــوارع ، واقامت المتاريس دون اي تنسيـــق ، حتى ان بعض الشوارع كـــان يزدحم بالمسلحين المتمترسين في اماكن لا حاجة للتمركز فيها ، بينما خلت واجهات هامة من المقاتلين ٠

وقاد عدم وجود التنسيق الى تعدد الاوامر والتوجيهات ، وازعاج الجماهير بكثرة الحواجز ، وتنوع اوامرها ٠

كما ان عدم وجود ضوابط ـ كالاوامر المحددة مثلا ، والقـــادة

المحليين المعترف بهم ، قاد الى ارتكاب عدد من الاخطـــاء العسكرية والاخطاء بحق المواطنين • ولو كانت هنالـــك اوامر محددة مثلا ، وقادة في الاحياء معترف بهم ، لما حصلت بعض الاخطاء الخاصـــة بتوقيف بعض المارة من المسيحيين ، ولمنعت بعض التصرفات الاخرى الضارة •

ولقد حاولت الثورة الفلسطينية ان تتلافى ذلك فانشأت بعض أشكال التنسيق ، وعينت بعض القيادات في الاحياء ، وحاولت أن تعالـــج بعض الاخطاء ، ولكن ذلك كله جاء متأخرا ، وناقصا •

★★★

٧ ـ نظرة نحو المستقبل

يحس الجميع ان الاشتباكات ستنفجر مرة ثانية • وهذه حقيقـــة تؤكدها كل الوقائع ••• ولكن متى وكيف ؟ هـــذا ما لا يمكن التنبؤ به الان • الا انه يمكن القول ان القوى الرجعية المتآمرة ستعمل في الاتجاهات التالية :

١ ـ الاستعداد للجولات المقبلة بتوسيع التدريب ورفـع مستواه ، وبالحصول على المزيد من الاسلحة ، المختلفة الانواع •

٢ ـ العمل سياسيا على المحاور التالية :

أ ـ اثارة موضوع الفوضى الموجودة في لبنان والمطالبة بوضـع حد لها عن طريق فرض سلطة الدولة على كل لبنان ، والتنسيق بين المقاومة والدولة الخ •• في محاولة لابتزاز تنازلات من المقاومة •

ب ـ ملاحقة الوطنيين الذين يلعبون دورا سياسيا او عسكريا بين القواعد وفي صفوف الجماهير بحجج مختلفة ، ومحاولة ارهـــاب

الجماهير واخضاعها واضعاف معنويات المناضلين • ولهذا ستستمر الملاحقات والمطاردات •••

جـ ـ محاولة شق صفوف المقاومة باثارة موضوع جبهة الرفض واليسار المتطرف « والمخربين » ، ومطالبة المقاومة باتخاذ مواقف حاسمة ازاء الفئات المذكورة •

د ـ العمل لتفتيت صفوف القوى الوطنية باثارة الحساسيات فيما بينها ، وبتصعيد الخلافات بين الزعامات السياسية والاحزاب والقوى الوطنية •

هـ ـ السعي لكسب تأييد بعض الدول العربية ، وذلك من اجل اخفاء اهداف المتآمرين داخليا وخارجيا ، ولضمان وجود تأييد عربي يساعد على تصفية المقاومة ، كما حدث في الاردن ، بعد معركة ايلول سنة ١٩٧٠ •

و ـ افتعال صدامات صغيرة لابقاء الجو متوترا، ولابتزاز تنازلات تدريجية من المقاومة والقوى الوطنية اللبنانية •

ان هذا يقتضي :

١ ـ ان توحد المقاومة الفلسطينية موقفها ، وان تستعد لمواجهة الوضع المتفجر والمؤامرات الخبيثة، بقوى موحدة ، بعيدة عن التنافر والشك المتبادل والخشية من التصفيات الداخلية • ويجب ان تعبأ كل القوى الفلسطينية للصراع ، لان المعركة في لبنان حاسمة ، وهي معركة وجود المقاومة ، وعلى المقاومة ان تعمل لتبقى وتنمو •••

٢ ـ ان تستعد القوى الوطنية اللبنانية للمواجهة ببرنامج سياسي وعسكري ، يحشد اوسع القوى، ويوفر القوات القادرة على التصدي• وهذا يستدعي ان يجري العمل لعزل الكتائب والقوى المتآمرة في السلطة عن المسيحيين ، ولكسب او تحييد اوسع الاوساط المسيحية•

وهذا لن يكون الا اذا عرفت القوى الوطنية كيف تجعل المعركة معركة وطنية ، لا معركة طائفية ٠

ان معركة عزل الكتائب والمتآمرين وسحقهـــم يجب ان تستمر ، ويجب ان تحشد حولها اوسع القـــوى سياسيا ، وكل ما يمكن من القوى عسكريا ٠ وهذا يستدعي ان يضعف دور القيادات الطائفيـــة التقليدية الاسلامية والمسيحية في قيادة المعركة ، لان هـــذه القيادات تفكر طائفيا وتعمل طائفيا ، وان يزداد دور القوى الوطنية والتقدمية، دون ان يبدو من ذلك وكأن دور القيـــادات التقليدية انتهى ، وان التعاون معها غير مطلوب ٠٠٠ ان التعـــاون معها مطلوب ، ولكن ضمن اطار برنامج وطني تقدمي ٠

ولذلك يجب ان تستمر الحملة لعزل الكتائب والمتآمرين بالاصـــرار على عدم مشاركتهم في الوزارة ، وبالكشف عن جرائمهم والمطالبـــة بمحاكمة المسؤولين عن افتعال المجازر وتجريد الحزب من السلاح ٠

ويجب ان تدرك كل الاوساط المسيحية ان المعركـــة مع الكتائب والمتآمرين ليست معركة مع المسيحيين ، وان المسيحيين مطالبـــون بموقف يميزهم عن الكتائب ٠

حول الحرب في لبنان

(دراسة كتبت في اوائـــل ١٩٧٦
ونشـــرت في مجلة « دراســـات
عربية » العـــــدد ٥ ـ السنة ١٢
آذار ١٩٧٦) ٠

١ ـ مدخـــل

تحولت الازمة اللبنانية في الثالث عشر من نيسان سنة ١٩٧٥ الى حرب اهلية ٠ ولقد كتب كثيرون حول ما جرى ، ويجري ٠ وعلى الرغم من ذلك ، فهناك حاجة ماسة للكتابة ، ولكتابات اخرى ٠ لان التحليلات ما زالت متضاربة من جهة ، ولان الازمة اللبنانية لا تتجه نحو الحل ، ولهذا فان المستقبل ما زال يحمل الكثير من الاحتمالات الغامضة ٠ وعن هذه الاحتمالات سنتحدث في هذه المقالة ، لانها تتعلق بمستقبل القضية الفلسطينية ومستقبل لبنان والثورة العربية٠وسنحاول ان نكشف كيف تجري الرياح،وسنحاول أن نحدد كيف يجب ان تجري٠ وما ذلك الا لان خط جريانها الحالي يسير باتجاه تصفية قوى المقاومة الفلسطينية ، وضرب الحركة الوطنية اللبنانية ضمن اطار المخطط الامبريالي ـ الصهيوني ـ الرجعي لضرب حركة الثورة العربية ٠ وهذا ما يجب ان نكشفه ونبين مخاطره من جهة ، ونعمل على الوقوف في وجهه من جهة اخـرى لضمان مسيرة حركة الثـورة العربيـة قدما ، وهزيمة المخططات الامبريالية ـ الصهيونية ـ الرجعية ٠

٢ ـ طبيعة الصدام

لم يكن الصدام في لبنان مفاجئا ... فلقد جاء نتيجة طبيعية لمجموعة من العوامل • وأهم هذه العوامل :

اولا : كون الولايات المتحدة الاميركية تريد وفي هذا الوقت بالذات خوض معركتها في الشرق الاوسط لتصفية الثورة الفلسطينية، وضرب مواقع قوى حركة التحرير الوطني العربية وفرض واقع عربي جديد ، يساعدها على حل المشاكل التالية :

أ ـ تحسين موقفها في البلاد العربية وتعزيزه والانتقال الى الهجوم•

ب ـ فرض وقف ارتفاع اسعار النفط ، ومن ثم العمل على تخفيض الاسعار •

ج ـ وقف حدة الصراع العربي مع الاحتلال الصهيوني ، لان تفاقم هذا الصراع سيؤدي حتما الى تصاعد العداء ضد الولايات المتحدة الاميركية ومصالحها في المنطقة ، ومن ثم العمل على فرض تسوية ، اية تسوية ، تبقى بموجبها دولة الاحتلال الصهيوني قوية ، وترتبط الدول العربية بالسياسة الاميركية •

وبناء على ذلك ستكون الولايات المتحدة الاميركية قادرة على حل بعض مشاكلها الداخلية ، واعادة سيطرتها على دول المعسكر الامبريالي التي شقت عصا الطاعة بعد حرب تشرين •

وكان لذلك لا بد ان تنفجر المعركة في لبنان لتصفية المقاومة والقوى الوطنية اللبنانية ، لان ذلك يساعد على فرض تسوية اميركية للقضية الفلسطينية • اذ ان ضرب المقاومة في لبنان يتيح الفرصة امام تسوية اميركية ، او تسوية امر واقع ، لا تغير من جوهر الوضع الراهن القائم بعد حرب ١٩٦٧ شيئا • كما ان ضرب القوى الوطنية والتقدمية

اللبنانية يتيح فرض الهيمنة الرجعية على لبنان ، واسكات كل القوى المعادية للاحتلال الصهيوني والامبريالية الاميركية والمعارضة للتسوية، ويؤدي في الوقت عينه الى الحيلولة دون تحول لبنان الى بؤرة تخمر ثوري ٠

ثانيا : كون القوى الرجعية العميلة في لبنان ، التي تعمل ضمن المخطط الامبريالي ، تريد ان تغير واقع القوى والصراع في لبنان ٠ ان هذه القوى أحست بفقدان سلطتها الفعلية ، وقدرتها على القمع الشامل ، بنمو قوى سياسية ومسلحة لبنانية الى جانب المقاومة ، وبتزايد قوى المقاومة الفلسطينية ٠ وهذه القوى الرجعية العميلة تعلم جيدا انها عاجزة عن تحقيق اهدافها دون دعم دولي ، وخارج اطار جو عربي مناسب ٠٠

ولقد توافر الدعم الدولي بقرار الولايات المتحدة الاميركية خوض المعركة ٠ ان هذا القرار يعطي الرجعية المحلية الامكانية للتحرك ، ويوفر لها الغطاء السياسي والامكانيات المادية ٠

اما الجو العربي المناسب ، فقد جاءت به اتجاهات التسوية التي لحقت بحرب تشرين ، والتي عملت لها دوائر عربية متعددة على رأسها جمهورية مصر العربية والمملكة العربية السعودية ٠ وما دام مطلوبا على صعيد السياسة الاميركية أن يضرب الفلسطينيون،وما دام مطلوبا على صعيد سياسة التسوية العربية ان يفرض خط تسوية معين، فلماذا لا تستغل القوى الرجعية المحلية العميلة الفرصة وتضرب بشراسة ؟ اليس هذا ما فعله النظام الاردني بعد مبادرة روجرز ؟

وهكذا ، ان ما يجري هنا ليس بعيدا عما جرى هناك ، انه استمرار له ٠ ولقد عملت أشد القوى رجعية في الاردن ، ضمن المخطط الاميركي ـ الصهيوني ، لضرب المقاومة الفلسطينية والقوى الوطنية الفلسطينية ـ الاردنية ٠ وكانت السلطة الاردنية تلعب الدور الرئيسي

لانها قوية ، غير منقسمة ، بينما لعبت «المقاومة الشعبية» (١) دورا ثانويا ، لانها هزيلة التكوين والاعداد ، حديثة العهد • وتعمل اليوم اشد القوى رجعية في لبنان لضرب المقاومة الفلسطينية والقوى الوطنية اللبنانية • وتلعب السلطة اللبنانية دورا اقل اهمية من الدور الذي لعبته السلطة الاردنية ، لان السلطة هنا ضعيفة ومنقسمة ، ومع ذلك فانها تقدم كل ما تستطيعه لخدمة المخطط • اما الكتائب والاحرار وحراس الارز والرابطة المارونية ، فانهم يلعبون دورا اكثر اهمية من دور « المقاومة الشعبية » في الاردن ، لانهم احسن اعدادا وتكوينا ، واشد قوة •

لقد كان الطرف الفلسطيني في السلطة الاردنية ضعيفا جدا ، وكان دور الفلسطينيين في الحركة الوطنية اساسيا وكبيرا جدا • ولذلك لم يستطع الفلسطينيون ان يشقوا السلطة • اما هنا في لبنان فان الطرف المسلم في لبنان في السلطة ـ اذا جاز لنا التعبير ـ اقوى من الطرف الفلسطيني في السلطة الاردنية ، وان كان ، مع ذلك ضعيفا ، وان كان الطرف اللبناني الرجعي العميل ايضا لا يملك اداة قامعة ، كتلك التي امتلكها الطرف الاردني العميل • ويعود ذلك الى ضعف الجيش في لبنان من الناحية العددية والتسليحية ، والى ضعف تماسكه ، وقوة تأثير الانقسامات والصراعات السياسية فيه •

وعليه يمكن تحديد طبيعة الصراع في لبنان على الوجه التالي : صراع الاتجاه القومي العربي الذي تمثله المقاومة والقوى الوطنية والتقدمية اللبنانية مع القوى الرجعية العربية العميلة في لبنان وخارج لبنان • وهو صراع يقوم في جوهره على الموضوعة التالية : هل يستمر الصراع القومي ضد الاحتلال الصهيوني والامبريالية الاميركية أم يتوقف ؟ هل

---

(١) «المقاومة الشعبية» في الاردن تنظيم عسكري لجماعة السلطة وعملائها •

تنتصر القوى القومية المعادية للاحتلال الصهيوني والامبريالية الاميركية أم تنتصر القوى الرجعية العميلة العاملة ضمن المخطط الاميركي ؟ انه اذن صراع بين اتجاهين : اتجاه الثورة العربية واتجاه الرجعية العربية العميلة المتآمرة ·

ولذلك فهذا الصراع ليس صراعا لبنانيا محليا ، انه صراع «عربي» بأبعاده ، وان كانت المعركة تدور على أرض لبنان · ونعني «بعربي» ان هناك قوى عربية تلعب دورا اساسيا فيه · فمن ناحية لم يكن ممكنا للقوى الرجعية في لبنان ان ترفع عقيرتها بالتمرد لو لم يكن «الجو العربي» ملائما · وجو التسوية مع الولايات المتحدة الاميركية ودولة الاحتلال الصهيوني والرجعية العربية خير الاجواء · ثم أن الانظمة العربية ، وعلى رأسها النظامان الاردني والسعودي قد ساهمت مساهمة فعالة في اعداد الرجعية العميلة في لبنان عسكريا · وعندما قرر النظام المصري ان يتجه نحو الولايات المتحدة الاميركية ووثق علاقاته مع المملكة العربية السعودية ، اصبح بحاجة ماسة الى تحرك القوى الرجعية اللبنانية العميلة · ذلك ان تحرك هذه القوى يقود، حسب التقديرات الموضوعة، اما الى احتواء المقاومة عربيا او تصفيتها · وهذا وذاك يقودان الى تحقيق برنامج التسوية المصري ـ السعودي · ولذلك حاول النظام المصري ، عندما اندلع الصراع في لبنان، ان يحوله الى صراع داخل الجبهة الفلسطينية وبين المقاومة الفلسطينية والقوى الوطنية والتقدمية اللبنانية · وكان المخطط المصري ـ السعودي يقوم على توريط قيادة منظمة التحرير بضرب القوى الفلسطينية الرافضة والمسماة يسارية ، والخط ليس جديدا ، فلقد اتضح منذ اوائل سنة ١٩٧٠ في الاردن واستمر بعد ذلك ، الى ان جاءت احداث لبنان ، فكشف عن وجهه الصريح ·

ولكن القول بان الصراع ليس محليا فحسب ، لا يعني انه بلا جذور محلية · فلبنان احد الاقطار العربية التي انسلخت عن الامبراطورية العثمانية ، وهو يحمل في احشائه عدة تناقضات اهمها :

رواسب طائفية خلفتها عهود طويلة من السيادة العثمانية السنية الجاهلة ، التي اساءت الى كل الطوائف ـ حتى السنة ـ واذلتها وقمعتها · وعندما بدا التدخل الاجنبي في المنطقة وجد له ارضا خصبة وسط هذه الطوائف · واستطاع التدخل الاجنبي ، نتيجة عدد من العوامل ، ان ينمي في الطائفة المارونية خصوصا مشاعر العداء للعرب والاسلام ، ومشاعر الولاء للغرب سياسة وثقافة ·

وحين احتلت فرنسا لبنان عملت على جعل الطائفة المارونية قاعدة حكمها ، واداتها للسيطرة على لبنان ، فسلمتها قيادة البلد سياسيا ، وساعدتها على تعزيز قيادتها للبلد اقتصاديا · وهكذا اخذ وضعها السياسي والاقتصادي الذي أبرزه اتصالها مع الغرب خلال القرن التاسع عشر ينمو ويتعزز ·

وهكذا اخذ وضع الطوائف عموما يتكرس · وكانت تنمي هذا الوضع الطائفي العوامل التالية :

١ ـ حرص قيادات الطائفة المارونية ووجاهاتها على المحافظة على الامتيازات التي قدمها لها الاستعمار ، وحاجتها الى تعزيز وضعها بالدفاع عن الاستعمار الفرنسي والثقافة الفرنسية واتخاذ موقف معاد للحركة الوطنية · ولما كانت الحركة الوطنية تدعو للاستقلال وللوحدة العربية انصب حقد التكتلات السياسية المارونية الرجعية على الاستقلال والعروبة ·

٢ ـ حرص الاستعمار الفرنسي على تغذية الاحقاد المعادية للاستقلال وللتحرر الوطني والوحدة العربية ، وحاجته الى « قوى محلية » تصارع الى جانبه ·

٣ ـ تخلف معظم قطاعات الحركة الوطنية وعفويتها وعدم قدرتها على ان تتحرر من الاوهام السلفية والافكار التقليدية · ولذلك

ظلت رواسب النظرات العثمانية الى الملل قائمة · وزاد من تعقيد الامر أن القوى السياسية الناشئة ذات الطابع القومي ، كعصبة العمل القومي (١٩٣٩) وحزب البعث العربي (١٩٤٧) ظلت محصورة في اوساط محدودة من المثقفين · وكانت وجاهات الطائفة السنية وقياداتها ترد على « طائفية الموارنة » بطائفية مماثلة · وان كانت ذات اتجاه وطني معاد للاستعمار ·

ولذلك حين تم الاستقلال سنة ١٩٤٣ ، كان اشبه ما يكون بتعاقد بين الطوائف اقتسمت فيه السلطة · وكان معظم الموارنة مع بقاء الاحتلال ، او الاستقلال بلبنان الصغير ، ومعظم القوى الوطنية مع الانضمام الى سورية · وجاء الحل : تعاقد بين القيادات على استقلال لبنان عن فرنسا وعن سورية على الا يكون مقرا للاستعمار او ممرا ·

ولكن الذي حدث كان على النقيض من ذلك · فلبنان استقل مثل سورية ، ولكن سيطرة القيادات المارونية اخذت تتعزز ودور الطوائف الاخرى اخذ يضعف · وقاد هذا الى تعزيز دور الامبريالية في لبنان ، والى نمو الاتجاهات المعادية لمطامح الامة العربية في تحررها ووحدتها وتقدمها · وكانت القيادات التقليدية الاسلامية تلعب دور الرديف الضعيف للقوى الاخرى ·

وظل الامر هكذا الى سنة ١٩٥٨ حين استخدمت الولايات المتحدة الاميركية عملاءها من المسيحيين والمسلمين في فتح جبهة في لبنان ضد الحركة القومية العربية · وكانت الولايات المتحدة الاميركية آنذاك تبغي تعزيز مواقعها في المنطقة بعد اعلان وحدة مصر وسورية ، ثم انهيار حكم نوري السعيد في العراق ، الخ ··

ولقد تطوع شمعون آنذاك ، وقطاعات مارونية وبعض القوى الاخرى لخوض معركة الولايات المتحدة الاميركية في لبنان · وعلى

الرغم من ان الطرف الوطني كان يضم قطاعات مختلفة من طوائف مختلفة ، بما في ذلك الموارنة ، فان المعركة ظهرت بمظهر طائفي ، وعززت الحدود بين الطوائف في لبنان · لان الزعماء اجتمعوا عند انتهاء القتال وقرروا ان يعيدوا اقتسام السلطة من جديد ·

ومع ذلك ظلت القيادات الرجعية المارونية تمسك بتلابيب السلطة، وظلت تحكم لبنان فعلا · وظلت توجهه نحو مزيد من الارتباط بالامبريالية الاميركية والرجعية العربية ، واخذت تنمو في ظل هذا الوضع اتجاهات ، كانت موجودة من قبل كحزب الكتائب ، ذات طابع منظم ، اخذت تسعى الى الحلول محل القوى الرجعية التقليدية شبه العشائرية ، وتطرح برامج سياسة معادية للحركة القومية العربية معاداة منظمة ومدروسة · كما انها عبرت عن التزام ايديولوجي واضح بالدفاع عن البرجوازية وفلسفتها ومصالحها وعن الامبريالية الاميركية والرجعية العربية · ولقد رفعت صورة الملك فيصل في الاشرفية بعد حرب حزيران ، حين رفعت البسطة صورة ديغول · كما انها كانت في حرب فيتنام الى جانب القوات الاميركية المقاتلة ·

ومنذ سنة ١٩٥٨ وقطاعات الخدمات والاستيراد والتصدير واعادة التصنيع تنمو في لبنان · ولقد نما معها قطاع من الاقلية المترفة وقطاعات من الفلاحين الفقراء والعمال والمسحوقين والبرجوازية الصغيرة المحتاجة جدا الطامحة جدا · وادى هذا الى تنامي النقمة الشعبية واتساعها · وقاد الى حركات العمال (غندور) والفلاحين (مزارعي التبغ) والجماهير الشعبية (المظاهرات ضد الغلاء) ، ولم تستطع السلطة ممثلة الاحتكارات والوسطاء الكبار ان تحل اية مشكلة من الاشكالات القائمة ، ولا كانت راغبة في ذلك ، لانها كانت تمثل الطبقة المستفيدة جدا · ولذلك واجهت كل التحركات الشعبية بقساوة بالغة ، ولعل مواجهتها للعمال والفلاحين والطلاب افضل مثل على ذلك ·

وزاد من تعقيدات هذا الوضع ان المقاومة الفلسطينية حطت على ارض لبنان منذ سنة ١٩٦٥ ، وبدات العمل في مخيماته ومدنه وقراه • وبدات تثارها تبدو منذ نهاية سنة ١٩٦٧ وبداية ١٩٦٨ • وحين اخذت القواعد تنشا في الجنوب ، اخذت قواعد اخرى لبنانية وفلسطينية تنمو في مناطق اخرى • وبدات السلطة سلسلة مواجهاتها : ٦٨/١١/٢ ، نيسان واكتوبر ١٩٦٩ ، ايلول ١٩٧١ ، ايار ١٩٧٣ •

وكانت هذه المواجهات تبلور الوضع الجماهيري وتشق لبنان الى اثنين : لبنان الذي يؤيد المقاومة ويدافع عنها ، ولبنان الذي يعادي المقاومة ويحاربها • ولم تنشق الجماهير فحسب ، بل انشقت السلطة ايضا ، واضطرت القيادات التقليدية الاسلامية ان تقف في صف جماهيرها ، ولم يخرج منها سامي صلح اخر ، حتى الان • وكان لذلك سببان اساسيان :

اولهما : وهذا الاساسي ، لكونها محرومة فعلا من حقوق ممارستها السلطة الفعلية ، وترى نفسها مغبونة تماما ، فهي الشريك الذي لا يتمتع بكل فوائد الشركة •

وثانيهما : كون قاعدتها الجماهيرية ملتزمة بالدفاع عن المقاومة، وعن حقوق الشعب ، وهي لا تستطيع ان تنهي وجودها السياسي كما انهاه سامي الصلح •

ومع ان الصراع ليس صراعا طائفيا ، ليس صراعا بين طوائف دينية ، بل صراع سياسي ، يقف النظام في المملكة العربية السعودية والاردن مع الطرف المسيحي فيه ، فانه بدا وكانه صراع طائفي • ويعود السبب الى ان الطرف الرجعي الاساسي من طائفة واحدة • فلم تستطع القيادات المارونية المتاخرة ان تستقطب افرادا او جماعات من خارج الطائفة • وظاهرة سامي الصلح التي شهدتها احداث ١٩٥٨ لم تتكرر حتى الان ، هذا بالاضافة الى اسباب اخرى هامة • من هذه

الاسباب ان الحركة الوطنية لم تستطع ان توضح برنامجها لجماهير المسيحيين المضللين ، كما انها لم تستطع ان توضح لجماهيرها حقيقة الصراع ، وتظهر دور المسيحيين في الحركة الوطنية • وجاءت بعض الحوادث الغبية والبربرية التي ارتكبها افراد او جماعات في المناطق الواقعة تحت سيطرة القوى الوطنية ، كالخطف على الهوية او القتل على الهوية ، لتصم الحركة الوطنية كلها بالطائفية •

وعلى الرغم من ذلك ، فقد ظلت طبيعة الصراع واضحة : قوى تقاتل من اجل فلسطين والتقدم ومحاربة الامبريالية ، وقوى تقاتل المناضلين من اجل فلسطين ، ومن اجل التقدم والتحرر • وبغض النظر عن الهوية المذهبية لاغلبية المقاتلين في الطرف الاول ولكل المقاتلين في الطرف الثاني ، فان الصراع صراع بين القوى الوطنية والتقدمية من جهة والقوى الرجعية المتآمرة من جهة اخرى • وجاء التفاف القوى الوطنية والتقدمية حول المقاومة الفلسطينية ، ليزيد من اهتمام الرأي العام العربي بالمعركة ، وليؤكد الطابع القومي لها • وهكذا اكدت القوى الوطنية والتقدمية العربية وقوفها الى جانب المقاومة والطرف الوطني التقدمي ، كما وقفت الانظمة الرجعيةالعربية، بشكل او بآخر ، مع الطرف الرجعي العميل• وهذا ما حدث سنة١٩٥٨•

٣ ـ ذيسان موعد مناسب للصدام

كانت القوى الرجعية المتآمرة قد اعدت للصدام من قبل • ويمكن العودة بذلك الى ايار سنة ١٩٧٣ • ففي ذلك الحين توقعت القوى الرجعية المحلية والعربية ان تحسم معركة ايار وضع المقاومة الفلسطينية في لبنان • وكان الملك حسين قد اعد مشروع المملكة المتحدة ، والكل ينتظر تسوية على انقاض المقاومة • ولكن معركة ايار اعطت غير ما طلب منها • فمن جهة خرج الجيش ضعيفا ومضعضعا ،

وقد قلبت المعركة الوقائع ، فبدلا من ان تضعف المقاومة وتقوي القوى الرجعية المتآمرة ، حدث النقيض ٠

وجاءت حرب تشرين فخلقت جوا جديدا ٠ ذلك انها اشعرت الجميع بقدرة العرب على مواجهة قوات الاحتلال الصهيوني من جهة ، واوحت للقوى الرجعية باحتمال حدوث تسوية شاملة من جهة اخرى ٠ ومع ذلك ظلت الرجعية تستعد للمعركة ٠ ولما كان الجيش عاجزا عن معالجة الامر وحده ، لعدد من الاعتبارات اهمها قلة عدده وتكوينه وحرص السلطة على الظهور ، ولو جزئيا ، بمظهر المحايد ، امام الراي العام العربي ، كان لا بد ان تنمو قوى منظمة ومسلحة الى جانبه ٠ وهذا ما كان٠ القوى الرجعية المتآمرة تبني قواها المنظمة والمسلحة وكان للكتائب والاحرار تنظيمان مسلحان منذ سنة ١٩٥٨ ، فعملا على تطويرهما وتوسيعهما ٠

ثم ما لبثت الكتائب ان تنطحت للصدام : اشتباكات الدكوانة ـ تل الزعتر اوائل سنة ١٩٧٤ ، بيانات الكتائب حول الوجود الفلسطيني، ثم استشهاد معروف سعد ومظاهرات تأييد الجيش ، فجريمة الحافلة في عين الرمانة يوم ١٣/٤/١٩٧٥ ٠

وكان اعداد الكتائب والقوى الرجعية وبدء المناوشات مترافقا مع زيادة التدخل الاميركي في المنطقة الرامي الى فرض تسوية ، وتورط النظام المصري في عملية البحث عن حل امريكي للمسألة ٠ وكان هذا كله بالطبع يستهدف اخضاع المقاومة والقوى الوطنية والتقدمية وفرض هيمنة الولايات المتحدة الاميركية والقوى العربية الرجعية على المنطقة ، وضمان بقاء دولة الإحتلال الصهيوني قوية ومتفوقة ٠

ولذلك بدا الصدام في نيسان ، وبعد الاعلان المسرحي عن فشل مهمة كيسنجر : لان نجاح خطوات كيسنجر يحتاج الى اضعاف المقاومة والقوى الوطنية والتقدمية ٠ ولقد بدا هذا واضحا، عندما عاد كيسنجر

الى المنطقة في آب ، ووقع اتفاق فصل القوات الثاني في اوائل ايلول. وكانت المعركة في لبنان قد هدأت قليلا ، ثم ما لبثت أن تصاعدت .

وكشف الاتفاق بالطبع ان سياسة كيسنجر تتلخص فيوقف سياسة الحرب ضد دولة الاحتلال الصهيوني اولا . ووقف سياسة الحرب ضد دولة الاحتلال الصهيوني لا يعني أن تتوقف مصر او الاردن او سورية فحسب ، بل ان تتوقف المقاومة اساسا ، لانها هي التي تمثل ارادة القتال وسياسة الحرب ، وهي التي ما زالت غير ملتزمة بهدنة أو بوقف اطلاق نار . كما كشف الاتفاق وما دار حوله ، او ظهر من ورائه ، ان المرحلة السياسية الراهنة تستدعي تغييب المقاومة الفلسطينيـــة عسكريا وسياسيا .

ولذلك كان نيسان موعدا مناسبا لتبدأ القوى الرجعية صداماتها. ولم يكن مناسبا لنا . لماذا ؟ هناك عدة اسباب :

اولا : كانت القوى الرجعية مستعدة تدريبا وتسليحا وتخطيطا .

ثانيا : كان الجو العربي ملائما ، كما ذكرنا .

ثالثا : وكانت القوى الوطنية اللبنانية غير مستعدة .

رابعا : وكانت المقاومة الفلسطينية مبلبلة بين التسوية والرفض .

وقاد هذا الوضع الى تخبط المقاومة والقوى الوطنية والتقدمية اللبنانية في مواجهة الموقف . وتمثل التخبط فيما يلي :

اولا : لم تقدر المقاومة والاحزاب والقوى الوطنية والتقدميـــة تماما طبيعة الصدام . ومع انه كان يحكى عن المؤامرة الاميركية ، وعن تصفية المقاومة وضرب القوى الوطنية والتقدمية الا ان القـوى الوطنية المختلفة ، الفلسطينية واللبنانية ، لم تستطـع ان تستشـرف ابعاد المخطط الامبريالي ـ الصهيوني ـ الرجعي . لقد أحست بـــه

بعض القوى ، ونست بعض جوانبه قوى اخرى ، ولكن الجميع قصروا عن دراسته وتلمس ابعاده المختلفة ، ولم يولوه ما يستحق مـــن اهتمام ودراسة ٠

ثانيا : ولم تستطع المقاومة والقوى الوطنية والتقدمية اللبنانية أن تبادر الى موقف مدروس مما يجري ، ولذلك عالجـت الاحداث من خلال الانفعال وردود الافعال والردود الآنية ٠ ولم تواجه الاحـــداث بخطة ٠ وكان ذلك يعود الى ما يلي :

ا ـ تعدد التصورات في رؤية الاحداث ٠

ب ـ اختلاف الارتباطات الخارجية، وبالتالي اختلاف التوجيهات٠

جـ ـ عدم اكتمال تكوين الجبهة على الصعيد السياسي ، فلسطينيا ولبنانيا وفلسطينيا ـ لبنانيا ٠

د ـ نقص الاستعدادات العسكرية ، ولا سيما على صعيد القوى الوطنية والتقدمية اللبنانية ٠

وأدى ذلك كله الى مبادرة القوى الوطنية والتقدمية اللبنانيـــة بتحويل المعركة الى معركة سياسية ، وبطرح قضية عزل الكتائب في المرحلة الاولى ، بينما اكتفت المقاومة برد عفوي وعشوائي ٠ ولم يكن تحويل المعركة الى معركة سياسية ، والى معركة عزل الكتائب خطأ ٠ ولكن ذلك كان من غير الممكن أن يتحقق دون جبهة وطنية متماسكة ، ودون استقطاب أوسع الجماهير ٠ والجبهة ، بالمعنى الحقيقي لم تكن قائمة ، واوسع الجماهير كانت ضد الكتائب ، ولكنها لم تكن منظمة ، ولا مرتبطة بجبهة وطنية٠ اما بالنسبة للمقاومة فلم يكن الرد العشوائي كافيا ، ولا كان رادعا ، ولا كان يدل على الجدية اللازمة في معالجة الاحداث ٠ ولذلك مرت الفترة الاولى ووضع المقاومة والقوى الوطنية والتقدمية مشوش ومرتبك ٠

ولقد طرحت في هذه المرحلة بعض المطالب الوطنية (خطاب رشيد الصلح في البرلمان ١٩٧٥/٥/١٥) فاحدثت كثيرا من الاجماع في الاوساط الوطنية حولها · ولكنها لم تستطع ان تستقطب تاييد الاوساط المعارضة للكتائب والاحرار ، وبعض الاوساط المعتدلة في صفوف الموارنة خصوصا ، والمسيحيين عموما · وبدا لهم ان المطالب ما هي الا مطالب طائفية همها اضعاف سلطة الطائفة المارونية لمصلحة سيطرة طوائف أخرى · ولقد كانت كذلك ، ولكنها لم تكن مطالب طائفية ·

ثم ما لبثت الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية ان طرحت « برنامج الحركة الوطنية المرحلي للاصلاح السياسي والديمقراطي » ، فجاء اكثر تبلورا من « المطالب الوطنية » ، وان كان لم يخرج عن أطارها · وعلى الرغم من اعتدال البرنامج ، فقد استمرت المعركة · وكان السبب بالطبع ناتجا عن ان القوى الرجعية المتآمرة لم تكن تريد حوارا ، ولا كانت مستعدة للتحول عن معركتها الاساسية : معركة ضرب الثورة الفلسطينية والقوى الوطنية والتقدمية · ولذلك اندفعت تقاتل ، وهي تستهدف :

ا ـ توسيع الصدام المسلح ·

ب ـ اعادة المعركة الى وضعها الاول : صدام مع الفلسطينيين ·

ج ـ فرض تدخل عربي لمصلحتها ، والا فتدخل خارجي ·

ولذلك افشلت القوى الرجعية المتآمرة لجنة الحوار ، التي كونت بجهود السيد عبد الحليم خدام والوفد المرافق له ، وما ذلك الا لانها لا تريد حوارا حول الاصلاح ، بل تريد دفع الامور باتجاه حل مشكلة الوجود الفلسطيني ·

ولقد استطاعت الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية ان توسع

طرح المشكلة وان تعمقه، لانها طرحت مسالة طبيعة النظام وتكوينه عند طرح مسالة الوجود الفلسطيني · وكانت محقة في ذلك لسببين: أولهما: لكونها بمثل هذا الطرح مست جوهر المشكلة · فالمشكلة ليست مشكلة وجود الفلسطينيين ، بل مشكلة « وطنية النظام » وموقفه من القضية الفلسطينية والقضايا العربية · المشكلة تكمن في ان النظام لا يأخذ موقفا صحيحا من القضية الفلسطينية · وثانيهما : لكونها بطرح قضية طبيعة النظام وموقفه من القضية الفلسطينية والقضايا العربية والقضايا المعيشية للجماهير استقطبت تأييدا جماهيريا اوسع ضد النظام ، والتفافا اوسع حول المقاومة ، وقادت الى شق الطبقة الحاكمة والجيش بعدئذ ، مما عطل فعالية النظام كله ·

وكان واضحا ، منذ البدء ، ان هناك خطين : خط المقاومة والقوى الوطنية والتقدمية وخط القوى الرجعية المتآمرة · وكان الخط الاول يقوم على ما يلي :

١) الدعوة الى التهدئة والعمل على وقف اطلاق النار ·

٢) الدعوة للحوار ومحاولة توفير الاجواء اللازمة له ·

٣) اثارة المطالب الوطنية وموضوعات الاصلاح السياسي من خلال الحوار ·

ولم يكن اي من المقاومة او الطرف الوطني حريصا على استمرار الصدامات او توسيعها · وكانت وراء ذلك اسباب تتلخص فيما يلي :

اولا : كانت المقاومة تريد تجنب الصدام في لبنان ، لانها تعلم جيدا ان امكانيات الحسم فيه غير واردة ، وذلك لسببين : يعود أولهما الى توافر امكانيات تدخل عربي واجنبي ، ومن ذلك امكانية تدخل قوات الاحتلال الصهيوني · وهو ما لم تكن المقاومة تريده · وهي

تعلم أن اي تدخل يزيد الامر تعقيداً ، وسيفرض على المقاومة وضعا جديداً ، لا يستطيع احدا ان يعرف عواقبه ، ويعود ثانيهما : الى ان المقاومة في لبنان امتدت وانتشرت ، وقواها تتسع وجماهيرها تتسع ، وهي تعلم ان الصدامات ستقود الى توتير الاجواء وسفك الدماء ووضع العراقيل امام نمو المقاومة الطبيعي • هذا بالاضافة الى ان المقاومة كانت تعلم ان اية حرب اهلية ستغرق لبنان بالدماء ، وستشغل المقاومة، دون ان تكون النتائج معلومة ومرضية • ولم تكن المقاومة ايضـــا مشغولة بموضوع التغيير السياسي أو الاصلاح السياسي في لبنان ، ولا مهتمة بامره ، ولا كان في برنامجها •

ثانيا : ولم تكن القوى الوطنية والتقدمية مستعدة لسياســـة اشتباك • لقد نبهتها احداث ايار ١٩٧٣ الى اهمية التدريب والتسليح، ولكنها لم تهتم بالموضوع جيداً • وعلى الرغم من بعض الاستعدادات التي قامت بها ، فانها اهملت الامر ، ولم تعد الى التفكير فيه الا في اوائل صيف سنة ١٩٧٥ ، اي بعد بدء الاشتباكات • ومارست القوى الوطنية والتقدمية سياسة المطالب والمعارضة الديمقراطية اساسا • كانت تطالب وتعارض وتنتقد وتتظاهر الخ ، ولكنها لم تكن تستعد للقتال فعلا• ولذلك نستطيع ان نقول بان الاحداث فاجاتها غير مستعدة وغير مهياة •

هذا ، بالاضافة الى ان القوى الوطنية والتقدميـة ، ليـس في برنامجها طرح مسالة الوصول الى السلطة بالعنف الثوري ، لقد كانت تسعى الى احداث اصلاحات ديمقراطية بالنضالات الديمقراطيـــة والحوارات الديمقراطية •

ومن هنا جاء شعار العزل مطلبا ، تطالب القـوى الوطنيـــة والتقدمية بتطبيقه ، كما طالبت بمحاكمة قتلة معروف سعد ، او مطلقي النار على عمال غندور • وكان واضحا ان هـذا الشـعار الحـق ،

ليس جوهر الازمة ، كما حاولت فئات مختلفة ان تقول ، من الكتائب الى « المنظرين » الذين ارادوا تحميل عبء المشكلة للحركة الوطنيـة والتقدمية ، واتهامها بالتفجير والتصعيد الخ ·

كان خط المقاومة والقوى الوطنية والتقدمية ، اذن ، خط تهدئة وحوار ، وظل كذلك الى ان بدات القوى الرجعية المتآمرة سياسة عزل المخيمات واقتحامها ، ولكن المقاومة التي اخذ جزء منها قرار القتال بعد بدء القوى الرجعية سياسة الحصار والعزل والتصفية ، لم تستعد لذلك من قبل · وقد ادى عدم استعدادها الى ثغرات كبيرة ، ليس هذا موضع الحديث عنها · كما ان المقاومة والقوى الوطنية والتقدمية لم تستطع ان توحد قواها بعد بدء القوى الرجعية المتآمرة سياسة العزل والتصفية ، وان تنتهج سياسة قتالية موحدة ، تمكنها من تحقيق نتائج افضل · ولقد كانت تستطيع ذلك ·

اما الخط الاخر ، خط القوى الرجعية المتآمرة فقد كان يقوم على ما يلي :

١ ـ المناورة بالحديث عن السلام والحوار ، الخ ·

٢ ـ انتهاج سياسة العدوان والاستفزاز والتعبئة الطائفية ·

٣ ـ حشد القوى السياسية والعسكرية لتحقيق انتصارات ·

ولم تكن القوى الرجعية العميلة تخفي ذلك · ولذلك كانت تخرق كل اتفاق ، وتنهي كل هدنة ، وتصرم كل حوار · وكان هدفها واضحا: دفع الامور الى التازم وفرض تدخل عربي لمصلحتها ، او تدخـــل خارجي ·

ولقد ظلت تمارس هذه السياسة ، حتى جاءت وساطة الجمهورية العربية السورية ، فهل ستوقف القوى الرجعية المتآمرة مؤامراتها ؟

٤ ـ الوساطة السورية وآفاقها :

ان القوى الرجعية المتآمرة لن توقف مؤامراتها قبل أن تحقق اهدافها او تهزم · وهي اذا كانت قد توقفت الان ، فليس لان المعركة انتهت ، ان المعركة لم تنته · بل لانها تريد ان تعد لجولة مقبلة قريبة، ولانها تريد أن تعطي للوساطة السورية بعض وقت ، فاما أن تحقق القوى المتآمرة بعض اهدافها ، او تفشل ، فتعود للصدام · وتراهن القوى الرجعية المتآمرة على امكانية نشوء تناقضات بين المقاومة والقوى الوطنية والتقدمية من جهة وسورية من جهة أخرى · ونشوء مثل هذه التناقضات سيشق المقاومة والقوى الوطنية والتقدمية والصف الوطني والاسلامي ، وسيضعف المقاومة والقوى الوطنية والتقدمية وجبهة القوة الوطنية جميعا · ولا شك ان نشوء مثل هذه التناقضات ممكن · وهو ما يجب ان نعمل لمنعه بكل قوة ·

والقوى الرجعية المتآمرة التي اوقفت الصدامات مؤقتا ، تستعد اليوم بكل ما أوتيت من قوة · أن برامج التدريب والتسليح تنفذ بسرعة · والتعبئة « الطائفية الرجعية التآمرية » تزكم الانوف · وهي تنتظر ان تدب الخلافات في معسكرنا · وتراهن على اكثر من خلاف · فهي اولا تحاول ان تكسب القيادات التقليدية الاسلامية الى صفها · وتستخدم من اجل ذلك بعض الاغراءات والضغوط · ذلك انها تعلن رياء انها مستعدة للاصلاح ، ومستعدة لبعض التنازلات التي ترضي القيادات التقليدية الاسلامية · وهي تستخدم الضغط « العربي » والسعودي خاصة على هذه القيادات لاقناعها بأن المعركة القائمة معركة ضد الشيوعية الدولية · ثم انها تخوفها من ذهاب سلطتها وسقوطها نتيجة بروز قوى عديدة جديدة ، وتطالبها بالنزول الى الميدان للدفاع عن مواقعها · وهي ثانيا ، تحاول ان تزيد من عزلة المقاومة والقوى الوطنية والتقدمية عن الدول العربية· واذا كان هناك خلاف بين المقاومة والقوى الوطنية والتقدمية ومصر فلماذا لا يصبح هناك خلاف مماثل مع

سورية ؟ وهذا ما يجري عليه العمل الان ٠

ان تطور خلافات المقاومة مع الدول العربية سيؤدي الى شق المقاومة والصف الوطني ، لان لكل دولة عربية تاثيرها في لبنان ، ولان هذه التاثيرات قابلة للانعكاس على المقاومة والقوى الوطنية والتقدمية٠ ولكن سورية اكثر البلاد العربية قدرة على التاثير في لبنان ، وذلك بسبب الجوار من جهة ، ولتكامل وجود المقاومة في القطرين الشقيقين من جهة اخرى ٠

وعلى كل حال فان الوساطة السورية تستطيع ان تبقى وساطة ٠ واذا بقيت كذلك وهدفها التوسط لوقف اطلاق النار وللمساعدة على ايجاد مخارج تسهل الخروج من عقد الازمة ، فانها ستفوت على القوى الرجعية المتآمرة فرص الاستفادة من اية خلافات يراد لها ان تحصل بين سورية من جهة والمقاومة والقوى الوطنية والتقدمية منجهة اخرى٠

ولكن التدخل السوري لن يقف هنا ، لسببين :

اولهما : لان النظام السوري يعتبر لبنان خلفيته الامنية ، وهو بحاجة للسيطرة عليه ، لمنع تاثير الرياح الثورية في سورية ٠

وثانيهما : لان النظام السوري يتقرب من السياسة الاميركية ويسعى للتسوية ، وهذا يحتاج الى اخضاع الثورة الفلسطينية ، واستخدام الوجود في لبنان ورقة من اوراق اللعبة ٠ ولذلك فان طبيعة التدخل السوري سوف تتغير ، ولسوف تاتي ضمن سياق يجعلها ضد الثورة الفلسطينية والقوى الوطنية والتقدمية اللبنانية (١) ٠

---

(١) افكار حذفتها المجلة عند نشر المقال ، لان المقال نشر بعد الهجوم على جريدتي المحرر وبيروت مباشرة ٠

٥ ـ نظرات نحو المستقبل :

ان المعركة توقفت ولم تنته · واذا كنا مطالبين بالمحافظة على وقف اطلاق النار · فاننا مطالبون ايضا ان نستعد · وان نستعد بسرعة · ذلك ان الخصم يستعد ويخطط · والمعركة القائمة هنا ليست منفصلة عن المعركة مع العدو الصهيوني والامبريالية الاميركية والقوى الرجعية المتآمرة ، ولكي نستعد جيدا لا بد من ان ندرس التجربة الماضية جيدا · والتجربة الماضية تطرح ما يلي :

اولا : ان سياسة المواجهة لم تكن مدروسة ولا فعالة · ولذلك لم تجر الاستعدادات المناسبة ، ولا اتخذت الاجراءات اللازمة · ويبدو ان الذين ايقظتهم ضربة ايار ، لم يتذكروها جيدا فيما بعد ، ولا كانوا يرون في الآفاق معالم ازمة عارمة قادمة · وعندما كانت تصريحات القوى الرجعية العميلة المتآمرة تطلق جزافا كانت المقاومة والقوى الوطنية والتقدمية لا تنظر الى ذلك بكثير اهتمام · وجاءت حادثة معروف سعد فلم تغير من الامر شيئا · ولم ينه السبات الطويل الا فاجعة الحافلة في عين الرمانة يوم ١٣/٤/١٩٧٥ ·

ومع ذلك فهذه الحادثة لم تغير من الامر شيئا كثيرا · ذلك ان الرد كان مئات من القذائف وعددا من المناوشات الصغيرة · وظنوا ان الامر انتهى · ولكن القوى الرجعية المتآمرة كانت قد خططت وبدأت تنفذ · ومضت المقاومة والقوى الوطنية والتقدمية تلهث وراءها عدة تسعة اشهر ، باحثة عن الحوار والحل ، وغير مهتمة كما يجب بالعمل العسكري ·

وزاد الطين بلة ان الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية اخذت تبحث عن مخيمات التدريب والاسلحة بعد بدء القتال ·

ولذلك كانت السياسة التي اتبعتها معظم قوى المقاومة والحركة

الوطنية والتقدمية متناقضة ، فهي من جهة تتحدث عن ضرورة الحسم والضرب : وهي عمليا تتجه الى الحوار والتهدئة وتعمل من اجلهما ، ولا تعد للمعارك العسكرية • وعندما بدأت المعارك الجدية في الشهر الاخير لم تجد حركة التحرير الوطني الفلسطيني « فتح » من يقاتل معها الا القليل ، ولاسباب مختلفة •

ثانيا : ان الجبهة الوطنية الفلسطينية لم تكن متراصة • وكانت عقلية الشرذمة تتحكم بها من جهة ، كما كانت تراكمات السنوات الثلاث الماضية من الشك والتناحر تعصف بقلبها وبأطرافها ، ولذلك لم يكن ممكنا الاتفاق حقا على طبيعة المرحلة وطبيعة العمل المطلوب ، كما لم تكن ممكنة ممارسة تنسيق قتالي فعال • وهذا لا ينفي ان تكون قد تحققت انجازات في التعاون عن طريق القواعد او الكوادر ، ولكن هذا لم يكن كافيا ، وما زال غير كاف • وكان المطلوب : اتفاق على الموقف السياسي وتنسيق عسكري • وهذا لم يحدث حتى الان •

ثالثا : ان جبهة القوى والاحزاب الوطنية والتقدمية اللبنانية لم تكن متراصة ايضا • وكانت هناك قوى مختلفة ومحاور مختلفة داخلها تحد من قدرتها علىاتخاذ القرار ، ومن التنسيق العسكري ، وتخلق داخلها ازدواجية وتناقضا • فهي كلها مع وقف اطلاق النار ، ومنها من لا يتقيد به ، وكلها ضد الخطف ومنها من لا يتقيد بذلك ، وكلها ضد السرقة والنهب ومنها من يأمر به ، وكلها مع التعاون والتنسيق، والقليل من بينها من يلتزم بذلك •

رابعا : ان الجبهة الفلسطينية ـ اللبنانية لم تكن متراصة ايضا ، لتعدد البرامج والقيادات ولاختلاف الدوافع والمؤثرات • لقد كانت كل التناقضات السياسية والايديولوجية العربية ، وكل الصراعات بين الدول العربية ، تطرح نفسها في صفوف المقاومة والقوى الوطنية والتقدمية ، وتعكس نفسها على علاقاتها • هذا بالاضافة الى عقلية

الشرذمة ، وروح الاستهتار بموضوعات الجبهة الوطنية ، والحرص على الاستفادة الشخصية او الحزبية وتاثير « الروح الانتخابية » والاستعراضية الخ · وزاد من تعقيد الامر ان بعض الحلفاء الاساسيين تناحروا في المدة الاخيرة من الصراع ، فادى ذلك الى بلبلة كبيرة ·

خامسا : ان مستوى التدريب العسكري والروح المعنوية عموما ، لم يكونا بالمستوى المطلوب · وسبب ذلك ان جمهرة المسلحين غير الحزبيين ولا المنظمين في القوى الاساسية لم تكن مقاتلة ولا معبأة ولا منظمة ، وكانت تتحمس للتراشق ولا تتحمس للقتال · ولم تكن الميليشيا عموما ، على الرغم من شجاعة كثير من افرادها وكوادرها ، مدربة ومكونة تدريبا وتكوينا يجعلانها قادرة على اداء مهماتها · ولذلك كان الانضباط لدى قسم كبير من هذه القوى مفقودا · وكانت القدرة القتالية محدودة جدا معظم الاحيان ·

وامام هذا كله لم تكن الجماهير تعرف خطا للمقاومة والقوى الوطنية والتقدمية تلتزم به · اهي مع التهدئة والحوار فعلا ، أم مع سياسة المواجهة العسكرية ؟ اهي مع الحوار السياسي والصراع الديمقراطي ام مع القتال ؟ ثم ان الجماهير الشعبية في المناطق الوطنية كانت مع توجيه ضربات للقوى الرجعية المتآمرة ، ولم تكن تدرك من سياسة التهدئة والحوار الا انها سياسة مساومة واستخذاء ·

كما ان المنظمات الفلسطينية لم تستطع ، خلال تسعة اشهر من القتال ، أن توحد جبهتها · وعلى الرغم من الاجتماعات اليومية في بعض الظروف والقرارات الاجماعية احيانا ، ظلت علاقاتها هي هي ، وعجزت عن الارتفاع الى مستوى التنسيق المطلوب ، سياسيا وعسكريا ·

وما ينطبق على المقاومة ، ينطبق على القوى الوطنية والتقدمية التي ظلت خاضعة لتقاليد علاقاتها السابقة · ولم تغير منها الاحداث شيئا ·

وقاد هذا كله الى بروز عدد من الظواهر الخطرة التي لم تستطع المقاومة او القوى الوطنية والتقدمية معالجتها · من هذه الظواهر مثلا ظاهرة الخطف على التذكرة في المناطق التي تسيطر عليها المقاومة والقوى الوطنية والتقدمية · وكانت جهات متخلفة ومشبوهة في المقاومة والاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية ومن القبضايات والزعران وعملاء المكتب الثاني تقوم بعمليات خطف ، واحيانا قتل على الهوية · ومع أن ذلك كان ردود أفعال على عمليات مماثلة قامت بها القوى الرجعية العميلة ، فان المقاومة والقوى الوطنية والتقدمية لم تستطع ضبطه تماما ، ولا استطاعت التعبئة ضد هذه الاعمال كما يجب · وظلت قطاعات من الراي العام الشعبي الوطني تقبله وتبرره · كما ان المقاومة والقوى الوطنية والتقدمية لم تتخذ اية اجراءات رادعة بحق هؤلاء ·

وتاتي ، الى جانب ذلك ، ظاهرة السلب والنهب ، التي عمت وطغت ، والتي لم تستطع المقاومة والقوى الوطنية والتقدمية ان تعالجها ، بل ان بعضها قد ساهم فيها (١) · والكل يعرف بذلك · ومع ذلك لم تعالج المسالة معالجة جدية · مع ان مثل هذه الظاهرة لا تهدد عناصرها وكوادرها بالفساد · واذا لم تتم معالجة هذا الامر بسرعة فان الفساد سيستشري والظاهرة ستزداد انتشارا ، وستزداد مخاطرها السياسية والاجتماعية ·

ولذلك فان امام المقاومة والقوى الوطنية والتقدمية اللبنانية مهمات كبيرة وصعبة في المرحلة المقبلة ، عليها ان تواجهها وان تحلها ، وعلى راس هذه المهمات ما يلي :

.....

(١) وللمزيد من الايضاح اشترك فيها كثيرون ، حتى من القيادات وقاوم كثير منهم اية معالجة جادة لها ·

١ ـ ان تحدد برنامجها ، وان تحدد ما تريد · ان المقاومة الفلسطينية تقاتل من اجل فلسطين ، ولكن ضمن اطار النضال العربي العام ضد الاحتلال الصهيوني والامبريالية الاميركية والقوى الرجعية العربية المتآمرة · وصحيح ان الاولوية يجب ان تعطى لقضية التحرير، ولكن ضمن اطار النضال العربي العام ، لا خارجه ولا فوقه ولا دونه· وهذا يلزم المقاومة العربية ان تجعل برنامجها جزءا من برنامج الثورة العربية القومية الديمقراطية (تحرير فلسطين والارض العربية المحتلة ، انهاء كل اشكال السيطرة الاجنبية على ارض الوطن العربي، تحقيق الوحدة العربية الشاملة ، اقامة الديمقراطية الشعبية ، تحقيق التقدم الاقتصادي والاجتماعي) · وبهذا تصبح الثورة الفلسطينية ، لا طليعة القتال لتحرير فلسطين فحسب ، بل طليعة قومية عربية ، تقاتل من اجل الثورة القومية الديمقراطية العربية ايضا ·

اما القوى الوطنية والتقدمية اللبنانية ، شانها شان كل القوى الوطنية والتقدمية العربية الاخرى ، فانها مطالبة ان تناضل لتحرير فلسطين ضمن اطار البرنامج عينه · وهذا الذي يجعل تحرير فلسطين داخل اطار الصراع السياسي والاجتماعي والاقتصادي في لبنان ، وبالتالي الوطن العربي ، لا خارجه · وضمن اطار حركة الثورة العربية ، لا ضمن اطار تسويات الواقع العربي وتناقضاته ·

ان هذا كله يجعل النضال لتحرير فلسطين جزء من حركة الثورة العربية ، ويربطه بالنضال القطري من اجل الاستقلال والوحدة والتقدم والديمقراطية · وبذلك يضع النضال لتحرير فلسطين ضمن اطاره الصحيح ·

ان هذا ضروري مبدئي على صعيد البرنامج · اما على صعيد المرحلة الحالية فالمطلوب ان تبقى الثورة الفلسطينية ، وان تبقى ثورة ، وان تعزز مواقعها · وهذا يعني ان تبقى مستقلة ، وان تبقى

خارج اطار التسويات ، وان تحافظ على قدراتها في الصراع ٠

اما المطلوب على الصعيد اللبناني ، فهو يتلخص في محافظة القوى الوطنية اللبنانية على المواقع التي اكتسبتها واضعاف السلطة ومواقع القوى الرجعية المتآمرة ، والدفع باتجاه التغيير في بنية السلطة وموازين القوى داخلها ٠ ان تركيب السلطة يعكس موازين القوى في الاربعينات ٠ ولا يجوز ان يبقى كما هو ما دامت تغييرات كبرى قد حدثت على صعيد تطور صراع القوى الداخلي في لبنان ٠

وهذا التغيير يجب ان يحدث لمصلحة الجماهير الشعبية اللبنانية، ولمصلحة تطور النضال وتصاعده ضد العدو الصهيوني والامبريالية الاميركية والقوى الرجعية العربية المتآمرة ٠ وحدوث ذلك ضروري لاستمرار بقاء الثورة الفلسطينية وتصاعد نضالها واسقاط مناورات اخضاعها لبرنامج التسوية ٠

ومن هنا لا بد ان يستمر النضال لاضعاف القوى الرجعية المتآمرة ، وضربها وتجريدها من سلاحها ٠ وهذا هو الذي يضمن بقاء الثورة الفلسطينية والمحافظة على وحدة لبنان وعروبته ، لا وقف القتال فقط ٠

واذا لم يكن من المهمات الآنية اسقاط السلطة ، لان القوى الوطنية والتقدمية لم تستعد لذلك ، ولان الظروف العربية غير مناسبة ، فان هذا لا يعني القبول بالوضع القائم وعدم النضال لتحقيق انجازات ذات طابع وطني وديمقراطي ٠

واذا كانت المصالح القطرية تخضع للمصلحة القومية العليا ، فان هذا لا يعني ان اضعاف الرجعية في لبنان ليس له علاقة بالمصلحة القومية ، ولا يعني ان النضال لتحرير فلسطين يقتضي وقف كل نضال آخر ٠ ان الصراع الدائر في لبنان من صميم الصراع

القومي ، واضعاف القوى الرجعية المتآمرة في لبنان من الاهداف القومية العربية ، ولخدمة القضايا الاساسية للثورة العربية وعلى راسها تحرير فلسطين ·

٢ ـ ان توحد صفوفها في جبهة متراصة ، جبهة فلسطينية وجبهة لبنانية وجبهة فلسطينية ـ لبنانية · ان حالة التسيب والشرذمة القائمة لا تؤدي الى الانتصارات ·

والقوى التي تظن انها تستطيع كسب الانتصارات بحالة كالحالة القائمة ابعد ما تكون عن الصواب · انه من الضروري ان تتحد القوى الوطنية الفلسطينية الان في جبهة متراصة ، في سبيل الدفاع عن بقاء الثورة والقضية ، وفي سبيل تحقيق المزيد من الانتصارات السياسية والعسكرية · وهذا يتطلب ان يعاد النظر في الموقف من التسوية ، ومن العلاقة مع الانظمة · فلا بد من الاتفاق على ان تبقى الثورة الفلسطينية خارج اطار التسويات ، وان تظل خارج اطار هيمنة الدول العربية · والاتفاق على ذلك يحل معظم الاشكالات القائمة ، ويعطي القوى الفلسطينية المتحدة المزيد من القوة · ولكن ذلك لا يجوز ان يمنع التعاون الان في سبيل المحافظة على الوجود ، وتثبيت استقلاله ·

وعلى الصعيد اللبناني لا بد من ان تتحد القوى الوطنية والتقدمية في جبهة متراصة · وهذا يقتضي ان تلتقي القوى والاحزاب الوطنية والتقدمية على برنامج ، وضمن اطار محدد ، وان توحد الجماهير الواسعة على هذا البرنامج · لان هذا وحده هو الذي يضمن انتهاء حالة الشرذمة والبلبلة ، ووحدة الجماهير · كما انه يوحد القوى السياسية والعسكرية الوطنية في مواجهة الاعداء ·

ولا بد هنا من الاشارة الى ضرورة العمل على تجاوز بعض « المظاهر الطائفية » التي لصقت بالعمل الوطني · وما ذلك الا لان العمل الوطني ليس طائفيا في الحقيقة ، وان كانت بعض الرواسب

والمظاهر الطائفية ما زالت عالقة به · وتجاوز هذه «الظواهر الطائفية» ضروري لتوسيع قاعدة العمل الجماهيري الوطني ، ولعزل القوى الرجعية العميلة التي تتستر بالطائفية · ولكن تجاوز هذه الظواهر والرواسب يحتاج الى موقف وطني واع يلتزم بالثورة العربية ، ولا يلتزم بسواها ، ويدين كل النعرات والممارسات الطائفية · ويتطلب ادانة ما برز من ظواهر طائفية في العمل الوطني والبحث عن جذوره لاستئصالها والتنبيه الى مخاطره ·

المطلوب اذن جبهة اوسع الجماهير العربية في لبنان،وليس جبهة اوسع الجماهير الاسلامية · ولا يجوز ان يمنع وجود سيطرة رجعية على المناطق ذات الاغلبية المسيحية من التخطيط لعمل جاد في هذه الاوساط ، يستهدف كسب اوسع القوى وضرب القوى الرجعية العميلة المتآمرة · ولكي ننجح في ذلك لا بد من العمل على منع ردود الافعال التي تحدث ضد بعض المسيحيين المقيمين في الاحياء التي انحسر عنها ظل السلطة ·

والجبهة الفلسطينية الموحدة لا بد لها من تحالف وثيق مع الجبهة اللبنانية الموحدة ، يقوم اساسا على اعتبار المعركة مع العدو الصهيوني والامبريالية الاميركية والقوى الرجعية العربية المتآمرة واحدة· · وبهذا لا تصبح المعركة معركة فلسطين وفلسطين اولا ، خارج اطار صراع الجماهير العربية من اجل مصالحها ومطامحها بل من صميم هذا الصراع ·

٣ ـ ان يجري النضال لاقامة جبهة عربية واسعة تضم كل القوى المعادية للاحتلال الصهيوني والامبريالية الاميركية والرجعية العربية المتآمرة · ان اقامة هذه الجبهة اصبحت ضرورة ماسة · ولا نستطيع حماية الثورة في لبنان الا بجبهة كهذه · وتزداد اهمية هذه الجبهة بمقدار ازدياد اتجاه بعض الانظمة العربية نحو سياسة التسوية المثلثة

الاتجاهات : مع الاحتلال الصهيوني والامبريالية الاميركية والرجعية العربية المتآمرة · ولا بد من هذه الجبهة ايضا لوقف الهجمة الامبريالية الرجعية على مواقع جماهيرنا التي اكتسبتها بالدم والعرق خلال العشرين سنة الماضية· وعلى القوى الوطنية والتقدمية الفلسطينية ـ اللبنانية ان تساهم في بناء هذه الجبهة ، لانها ببناء هذه الجبهة تكسر حلقات الحصار المضروبة والتي ستضرب حول قوى الثورة ·

٤ ـ ان يتم الاتفاق على قيادة عسكرية واحدة ، تملك كل صلاحيات القيادة العسكرية في جبهة متحدة ، وذلك لتوحيد القوى من جهة وللاشراف على تدريبها وتطويرها من جهة اخرى ، ولقيادتها خلال القتال · ان هذه مهمة ملحة وضرورية جدا ، ولا يمكن قيادة حرب ، بدونها · وتزداد اهمية هذه الحقيقة بمقدار اتساع الهجوم الرجعي وزيادة شراسته ·

٦ ـ خاتمة

ان المعركة توقفت ، ولكنها لم تنته بعد · ولذلك فالهدوء الحالي ليس الا هدنة · والقوى الرجعية العميلة تستعد تدريبا وتسليحا وكان المعركة ستحدث غدا · ولذلك فان علينا ، ان نستعد وكان المعركة ستقع غدا ايضا · والمعركة التي نخوضها في لبنان تدور في اطار صراع الامة العربية من اجل تحرير اراضيها وتحقيق وحدتها وتقدمها · وما تعمل له القوى الرجعية المتآمرة في لبنان وخارج لبنان ، ليس الا محاولات تفتيت قوى الامة العربية واشغالها في معارك استنزافية للحيلولة دون جماهيرها والمضي قدما في تحقيق اهدافها · وعلينا ان ندرك هذه الحقيقة · ومثل هذه المناورات والمؤامرات ستتسع وتزداد في ظل سياسة التسوية المثلثة الرؤوس : مع الاحتلال الصهيوني

والامبريالية الاميركية والقوى الرجعية العربية المتآمرة ، وستسقط ، او تخفت في ظل سياسة القتال ضد العدو : الاحتلال الصهيوني والامبريالية الاميركية والقوى الرجعية العربية المتآمرة • فلنوحد نضالنا ، ولنطور قوانا ولنحافظ على استقلالنا ، ولنوسع المعركة على صعيد الوطن العربي كله ، لانها معركة الوطن العربي كله والوطنيين العرب كلهم من اجل فلسطين والوحدة والتقدم وانهاء كل اشكال السيطرة الاجنبية والتخلف الاقتصادي والاجتماعي •

واذا كنا نخوض المعركة اليوم في لبنان اساسا ، فقد خضناها بالامس في الاردن ، وسنخوضها غدا هنا ، وفي مواقع اخرى • ولكن علينا ان نتعلم كيف ننتصر ، وكيف نهزم اعداءنا ، واذا كنا قد خسرنا معركة الاردن فلا يجوز ان نخسر معركة لبنان •

هـامش

★ والان وقد توقف القتال ، مؤقتا ، واعلنت رسالة الرئيس فرنجية نصوص اتفاق ، فلا بد من تاكيد مجموعة من الحقائق • وهذه الحقائق :

اولا : ان الذين كانوا ينادون بوقف الاقتتال من البدء ، منذ نيسان ، ويدعون بان عدم توقفه ناتج عن تصعيد متبادل اخطأوا في الامور التالية :

ا ـ لم يفرقوا بين موقفين : الموقف الوطني والتقدمي والموقف الرجعي المتآمر • واسقطوا ادانتهم الموقف الرجعي على الموقف الوطني التقدمي • وادانوا الموقف الدفاعي العادل اكثر مما ادانوا الموقف الرجعي العدواني •

ب ـ اتخذوا موقفا عدائيا من المطالب الوطنية ـ الجماهيرية ،

واعتبروا ان هذه المطالب سبب التصعيد الرئيسي، وانها سبب استمرار القتال ، لانه كان يكفي توجيه رد سريع على مجزرة نيسان ، ثم الجلوس الى الكتائب والتفاوض • وكان هذا الموقف يتجاهل حقيقتين: اولاهما ، ان الهجمة الرجعية المتآمرة لم يكن هدفها ارتكاب مجزرة نيسان فقط ، قتل عشرين او ثلاثين والتوقف • لقد كان هدف مجزرة نيسان بدء معركة ، ولم يكن ممكنا ، ضمن الظروف القائمة انذاك ، اقناع الرجعية المتآمرة بالعدول عن تنفيذ المخطط • ولو كان هذا ممكنا لكان تفادي كل المعارك التي يفرضها الخصم في كل مكان وزمان ممكنا ، ولكان الذين لا يحسنون تفادي المعارك هم الحمقى والمجانين فقط • وثانيهما : ان المقاومة والقوى الوطنية والتقدمية بذلت جهودا مضنية على الرغم من طرح المطالب الوطنية وبعض التصرفات والمواقف الهامشية ، من اجل وقف الاقتتال • ومع ذلك كان الطرف الاخر ، يقنص ويخطف ويقتل ، يحشد ويحاصر ويقرر تطهير مواقع : حارة الغوارنة ، سبنيه ، ضبيه ، المسلخ •

ج ـ شنوا حملة على القوى اليسارية واتهموها بالتصعيد ، والعمل ضمن مخططات اجنبية ، وصوروا الصراع على ارض لبنان على انه صراع بين الدولتين العظميين ، وكانوا في ذلك يلتقون مع الكتائب والاحرار والمملكة العربية السعودية وجمهورية مصر العربية الخ ، وكان ذلك يشق الصف الوطني والتقدمي ، ويشيع دعاوى القوى الرجعية العميلة في الاوساط الوطنية، ويبرر ويزكي الدعاوى الرجعية، هذا في الوقت الذي كانت فيه القوى اليسارية (الحزب الشيوعي ، منظمة العمل ، الخ) ضمن معسكر الجبهة الوطنية والتقدمية ، على الرغم من الخلافات السياسية والايديولوجية بين هذه القوى والقوى الوطنية الاخرى • وكان ما يقوله اولئك يلتقي نصا وروحا مع مقالات احسان عبد القدوس وجريدة « العمل » الكتائبية •

ثانيا : ان الرد بالمطالب الوطنية على الهجمة الرجعية المتآمرة لم

يكن معزولا عن الصراع ضد الاحتلال الصهيوني والامبريالية الاميركية والقوى الرجعية العربية المتآمرة • فالقوى الرجعية المارونية المتآمرة تنفذ المخطط الامبريالي في ضرب المقاومة والقوى الوطنية والتقدمية • وهي التي تحكم على الرغم من أن حكمها لا يستند الى ميزان قوى لمصلحتها في الشارع ، وفي لبنان وفي المنطقة العربية • ومع ذلك فان هذه القوى المتآمرة لا تريد ان تحتفظ بالوضع القائم فقط ، بل تريد ان تسحق القوى الاخرى بالقوة ، وان تفرض سيطرتها الكاملة على لبنان، ضمن المخطط الاميركي ـ الاسرائيلي ـ الرجعي العربي لسحق القوى الوطنية والتقدمية في البلاد العربية ، وتثبيت مواقع السيطرة الصهيونية الرجعية وتوسيع مواقع السيطرة الاميركية •

ولهذا طرحت القوى الوطنية والتقدمية موضوع اجراء تغييرات في السلطة ، لانها تريد أن تضعف نفوذ القيادة الرجعية المارونية المتآمرة في السلطة وتزيد من قوة القوى الوطنية والتقدمية المتحالفة• وهذا من صلب الصراع ، وليس بعيدا عنه • وطرحه ليس افتئاتا ولا عدوانا ، ولا حماقة • انه موضوع جدي وصحيح ومن صميم المعركة مع الاحتلال الصهيوني والامبريالية الاميركية والرجعية العربية المتآمرة • ولذلك فان هذا الصراع حقق ما يلي :

أ ـ وسع اطار المعركة ضد القوى الرجعية المتآمرة ، فبدلا من ان تكون معركة الرجعية المارونية المتآمرة ضد المقاومة ، اصبحت معركة الجماهير الوطنية اللبنانية (من مسيحيين ومسلمين) والقيادات التقليدية الاسلامية (ممثلة البرجوازية الاسلامية الكبيرة) ضد الرجعية المارونية المتآمرة •

ب ـ غيّر طبيعة المعركة ، فبدلا من ان تكون معركة اعادة النظر اساسا في الوجود الفلسطيني ، اصبحت معركة اعادة النظر في تكوين السلطة اللبنانية لمصلحة القوى الشعبية والبرجوازية الاسلامية

الوطنية ، اي لمصلحة الموقف المعادي للاحتلال الصهيوني والامبريالية الاميركية والرجعية العربية المتآمرة ·

ج ـ اظهر الوجه العربي الشعبي للبنان · فلبنان ليس الجميل وشمعون واحزابهما واضرابهما ··· ولبنان ليس منعزلا عن الصراع ضد الاحتلال الصهيوني والامبريالية الاميركية والقوى الرجعيةالعربية المتآمرة · ان لبنان في صميم الصراع ، ومع التقدم ضد التخلف ، ومع استمرار الصراع ضد التسوية · ومع الثورة الفلسطينية ضد اتفاقية سيناء ·

وكان هذا كله ضروريا ولازما في هذه المرحلة ، بعد اتفاقية سيناء ، وخلال العمل لتنفيذها ·

وكان معنى ان « تلفلف » قضية المجزرة ، وان يكتفي برد سريع فقط ، ثم تعود الامور الى مجاريها ان يحدث ما يلي :

ا ـ الدخول في مساومة حول الوجود الفلسطيني ، وتقديم التنازلات ·

ب ـ اتاحة الفرصة للسياسة المصرية وللسياسات العربية المماثلة لمحاصرة الثورة الفلسطينية وفرض خط اتفاقية سيناء بلا عناء ·

ج ـ الدخول في تصفية القوى الوطنية العربية في كل ارجاء الوطن العربي ، بدءا من لبنان ·

ولقد كان هذا كله ضمن خطة السادات لتنفيذ مخططه في المنطقة العربية · وكان الهجوم على طرح شعار العزل والمطالب الوطنية والتشهير بالخطف على الذكرة وسياسة التصعيد اليسارية ومحاولة ابراز دور القيادات التقليدية على حساب سائر القوى الوطنية ـ سياسة هدفها التشكيك بالخط الوطني في هذه المرحلة ، وتزكيةسياسة الرئيس السادات وفرضها ·

ونامل ان يكون الذين طرحوا هذه الافكار قد ادركوا اي خطأ ارتكبوا بحق قضيتهم وشعبهم وثورتهم ·

ثالثا : ان الاتفاق الجديد لا ينهي موضوع الصراع ، لانه لم يحسم موضوع السلطة لمصلحة القوى الجماهيرية المعادية للاحتلال الصهيوني والولايات المتحدة الاميركية والقوى الرجعية المتآمرة · ولان القوى الرجعية المتآمرة ستبقى تثير الصراع ، لانها تنفذ مخططا يستهدف ضرب المقاومة والقوى الوطنية ·

كما ان الاتفاق الجديد لا يعكس موازين القوى الحقيقية في الصراع ، ذلك ان المقاومة والقوى الشعبية استطاعت ان تحبط القوى الرجعية المتآمرة وان تصمد وان تبرز قوية · ومع ذلك فالتعديلات التي حصلت ، او لنقل سجلت ، ليست الا تعديلات هامشية ·

ان الجماهير الوطنية التي كانت تقاتل لم تكن تهمها طائفة رئيس الجمهورية او رئيس الوزراء ولا صلاحياتهما ، انما كان يهمها الموقف من قضية فلسطين والصراع ضد الامبريالية الاميركية والقوى الرجعية العربية المتآمرة · ولذلك سوف تشعر بخيبة الامل الكبيرة ، وهي ترى مضمون الاتفاق الجديد · لانها لا تعتقد ان توسيع صلاحيات هذا او ذاك سوف يحل المشكلة · ولن تحل المشكلة حتى يعكس رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء والسلطة عموما خط الجماهير · وهذا ما لا يحدث الان · وجوهر القضية يتعلق بخط الرئيس وسياسته لا بمذهبه وطائفته ، وبخط السلطة لا بمذهب القائمين عليها · والى ان يحدث مثل هذا التغيير سيبقى الصراع دائرا داخل لبنان وفي سائر البلاد العربية ·

معارك لبنان والحقائق التي اكدتها

(دراسة كتبت في اواخر صيف ١٩٧٦ ،
ولم تنشر لتعذر نشرهـا في حينـه) ٠

حقائق اثبتتها المعركة في لبنان :

اثبتت تجربة الحرب الاهلية في لبنان الحقائق التالية :

اولا ـ ان الوضع العربي بحصيلة سياساته ما زال الى جانـب سياسة الامر الواقع ، بشأن القضية الفلسطينية ، وان قرابة ثلاثـة عقود من التطور والنضال العربي (١٩٤٧ ـ ١٩٧٦) لم تغير شيئا جوهريا ، في السياسة العربية العامة ازاء الاحتلال الصهيوني والثورة الفلسطينية ٠

وهذا يعني ان الوضع العربي العام ما زال بعجزه الداخلـي وارتباطاته الخارجية ابعد عن ان يكون مع التحرير والثورة ٠ انه مع سياسة الامر الواقع الصهيونية ـ الامبريالية ٠ اي انه ما زال يرمي بثقله باتجاه تثبيت الامر الواقع ، لا باتجاه تغييره ٠

ولهذا استطاعت الرجعية الاردنية سنة ١٩٧٠ ـ ١٩٧١ ان تجتث جذور الثورة الفلسطينية من الاردن ، ولهذا ايضا تستشرس القـوى الرجعية المتآمرة في لبنان اليوم ٠ ولهذا يأتي النظام السوري بكـل قواه لنصرة القوى الرجعية المتآمرة ولسحق الثورة والقوى الوطنية ، دون ان يلقى اي موقف فعال رسمي او شعبي في الوطن العربي كله ٠

الانظمة عموما ، ما زالت حصيلة سياستها مع سحق الثورة ،

واذا كانت هناك قوى تعارض ذلك ، فمعارضتها ما زالت اضعف من ان تغير اتجاه سير الاحداث ٠

ان الواقع العربي الذي عجز عن منع قيام دولة الاحتلال الصهيوني سنة ١٩٤٨ ، ما زال عاجزا عن دحر الاحتلال ، وما زال فوق ذلك ، عاجزا عن احتمال وجود ثورة فلسطينية ٠

ولذلك جرد المناضلون الفلسطينيون من سلاحهم سنة ١٩٤٩ ـ بالقليل من الجهد ، ودون اراقة دماء استسلم المقاتلون الفلسطينيون آنذاك ، وتسلمت الانظمة العربية القضية الفلسطينية ، بما في ذلك سحق ارادة القتال والنضال لدى الفلسطينيين والجماهير العربية ٠ واليوم تقوم الرجعية اللبنانية المتآمرة بالتحالف مع النظام السوري بعملية اخضاع شاملة للثورة الفلسطينية والشعب الفلسطيني على مرأى من الوطن العربي ومسمع ٠ وكان النظام الاردني سنة ١٩٧٠ ـ ١٩٧١ قد قام بحملات مماثلة ٠

وهكذا تكون المهمة المطروحة الان ، كما كانت سنة ١٩٤٩ ، وكما كانت مطروحة منذ ذلك الحين هي تجريد العربي الفلسطيني من قدرته القتالية ، اخضاعه ، عدم تمكينه من تغيير الواقع القائم ، واجباره على أن يعود لاجئا مشردا لا يملك من حطام الدنيا غير الخضوع للسياسة الدولية المرسومة : بقاء دولة الاحتلال الصهيوني وخضوع الفلسطينيين ، وابقاء القضية الفلسطينية في ايدي الدول العربية ٠

وهذا لا يعني أن اية تطورات لم تحدث على الصعيد العربي الرسمي منذ سنة ١٩٤٩ ٠ فلقد حدثت تطورات ، ومن هذه التطورات حرب تشرين ، ودرجة الكفاءة النسبية التي ظهرت فيها سياسيا وعسكريا وديبلوماسيا ، ولكن حرب تشرين التي هزت دولة العدو والامبريالية الاميركية لم تمنع خروج النظامين المصري والسوري علنا بسياسة الانفتاح على الولايات المتحدة الاميركية والتعاون معها ،

وسياسة قمع الثورة الفلسطينية علنا وتصفيتها ومهادنة العـــــدو الصهيوني ٠

ولا بد من التاكيد هنا على ان السياسة التي ينفذها النظـــام السوري ، هي ايضا في الجوهر سياسة النظام المصري والسياســـة الرسمية السعودية ، على الرغم من كل الخلافات الظاهرة والحقيقية٠ كما انها سياسة معظم الانظمة العربية ٠

وهذا ما حدث في الاردن سنة ١٩٧٠ ـ ١٩٧١ ، وما حدث سنة ١٩٤٨ ـ ١٩٤٩ ٠ والنظام السوري الذي تدخل في ايلول سنة ١٩٧٠ باسم الدفاع عن الثورة الفلسطينية ، تدخل فـي تمـوز سنة ١٩٧١ لمصلحة النظام الاردني ، ولكن بحجة الدفاع عن الثـورة ايضـا ٠ والنظام المصري الذي يعلي صوته دفاعا عن الشعب الفلسطيني والثورة الفلسطينية اليوم ، هو صاحب الافكار التي طرحها حافظ الاسد فـي خطابه (٢٠ تموز ١٩٧٦) وهـو صاحـب البرنامـج الـذي ينفذه حافظ اسد ٠

والخلاف ليس على الجوهر ، الخلاف على التكتيك ،

والخلاف ليس مبدئيا ، انه خلاف على الادوار ٠

والواقع الرسمي العربي بحصيلة سياساته ما زال لمصلحـة بقاء الاحتلال الصهيوني ، والنفوذ الامبريالي الاميركي ، وضد وجود ثورة فلسطينية حتى لو كانت تطرح تسوية فلسطينية للقضية فلسطين ٠ والواقع العربي ما زال يريد ان يحل القضية الفلسطينية لا ان يحـرر فلسطين ٠ والحرب اذا استخدمت فلهذا الهدف فقط ٠

من الضروري والضروري جدا ان نرى ذلك ٠٠٠

ثانيا : ان القوى الرجعية العربية المحلية في لبنان او في الاردن ٠٠ الخ غير معنية بتحرير فلسطين ، لانها معنية اساسا :

أ ـ بالدفاع عن بقائها في السلطة وتنمية مصالحها الاقتصادية.

ب ـ بضمان السيطرة على جماهيرها .

جـ ـ بالمحافظة على علاقاتها مع القوى الامبريالية . لانها من ضمانات بقائها في السلطة ، وضمانات تنمية مصالحها .

ولذلك فهذه القوى ليست مع قيام ثورة فلسطينية . لان قيام مثل هذه الثورة سيقود حتما الى نمو قوى مسلحة فلسطينية ومحلية عربية تربك وجود السلطة القائمة ، ثم تضعفها شيئا فشيئا ، ثم تسقطها حتى لو لم يكن ذلك في البرنامج اساسا. وقيام مثل هذه الثورة ايضا يهدد سياسة الامر الواقع ويهدد مصالح الامبريالية الاميركية .

واذا ما سمحت بعض الظروف بنمو قوى الثورة هنا او هناك ، فان الرجعية المحلية لا تلبث ان تهب لتضرب بعنف . وهي تعرف ان الامبريالية الاميركية معها ، وان القوى الرجعية العربية عموما والحاكمة خصوصا معها ، تكلمت او لم تتكلم ، اتخذت موقفا علنيا مؤيدا او لم تتخذ .

وهذه القوى لا ترى في دولة الاحتلال الصهيوني عدوا لها من الناحية الفعلية . ذلك انها مستعدة أن تجند كل قواها وطاقاتها لضرب الثورة ، وان تدخل في حروب طويلة ودموية ، وان تقدم تضحيات باهظة . ولكنها غير مستعدة لانتهاج سياسة صدام مع الاحتلال الصهيوني ، ولا تكلف نفسها عبء تشغيل اجهزتها وقواها لمؤازرة القوى المعادية للاحتلال الصهيوني ، ولا تكلف نفسها عبء تشغيل جهاز واحد فعال ضد مخابرات العدو .

وهي ،فوق ذلك ، تتخذ كل الاجراءات الملائمة ، لجعل العلاقة مع العدو الصهيوني طبيعية . ومن ذلك ، مثلا ، منع النشاطات المعادية

للعدو ، فتح الحدود وتسهيل مرور الاشخاص والبضائع الخ ...

ان هذه القوى ضد الثورة الفلسطينية اساسا ، وضدها لانها ضد الثورة العربية عموما ، وسيظل شغلها الشاغل المحافظة على الوضع الراهن : بقاء الاحتلال الصهيوني، ونفوذ الامبريالية الاميركية، وبقاء الاوضاع القائمة ، وضرب قوى الثورة . واذا ما راوغت احيانا، وتبرعت ، او شاركت في نشاط مؤيد للثورة الفلسطينية ، فان ذلك لا يغير موقفها وموقعها العام : انها ضد الثورة الفلسطينية خصوصا ، وضد الثورة عموما .

وهي دائما تدرس موازين القوى واتجاهات الصراع ، فاذا وجدت الموازين لغير مصلحتها هادنت وراوغت ، وقدمت بعض التغطيات ، فاذا ما حانت الفرصة ضربت بشراسة ليس لها حدود .

وهذه حقيقة اخرى يجب ان تدركها جيدا قوى الثورة الفلسطينية والعربية ، وكل الجماهير العربية .

القوى الرجعية العربية ضد الثورة الفلسطينية اساسا ، لانها ضد الثورة العربية كليا ، فاذا ما هادنت او زاوغت فلانها في موقع ضعف ، فاذا ما تاكدت ان الظروف مؤاتية ضربت بقسوة وحزم . وفلسطين لا تعني بالنسبة لها شيئا ، وما تطرحه من رومانس تاريخي ليس الا رياء . ان مصالحها وعروشها وانظمتها هي كل شيء بالنسبة لها ، وهي الهها وعبادتها . ومن خلال هذه المصالح تنظر الى دينها وتاريخها وعلاقاتها . ومن لا يرى ذلك يخدع جماهيره ونفسه ، ويكون في ضلال مبين .

ثالثا : ان الامبريالية الاميركية ما زالت مصممة على فرض سيطرتها الكاملة على الوطن العربي ، وما زالت قادرة على التدخل وترتيب الامور على الرغم من المقاومة التي تلقاها .

ودلت احداث لبنان ، كما دلت احداث الاردن ، ان الامبريالية الاميركية حريصة على ما يلي فيما يتعلق بالمنطقة العربية :

آ – ابقاء دولة الاحتلال الصهيوني قوة فعالة ، وقادرة على مواجهة الدول العربية مجتمعة سياسيا وعسكريا .

ب – تصفية المقاومة الفلسطينية .

جـ – تثبيت الانظمة الرجعية المرتبطة بها والقوى العميلة ، وتحويلها الى قوى عسكرية قوية وضاربة .

د – استنزاف القوى الوطنية العربية في معارك داخلية وخارجية متعددة .

هـ – انتزاع تنازلات وطنية وطبقية على حساب مكاسب الجماهير خلال السنوات العشرين الماضية .

و – المحافظة على المصالح الاقتصادية الاميركية ، وعلى راسها النفط .

ز – تقليص حجم الوجود السوفياتي في المنطقة وضرب القوى المتحالفة او المتعاونة معه .

ان الغول الاميركي ، الذي فشل خلال السنوات العشرين الماضية (٥٠ – ٧٠) في ان يدخل المنطقة العربية دخولا جديا ، حين كان الاستعماران الفرنسي والبريطاني ينهاران ، استطاع ان يدخل ظافرا في منتصف السبعينات ، والى قلب الوطن العربي : مصر وسورية . واستطاع ان يدفع مصر وسورية تحديدا باتجاه ضرب الثورة الفلسطينية ومهادنة الاحتلال وتنفيذ المخططات الاميركية . ولقد كان هذا نجاحا كبيرا .

وما زالت الامبريالية تسعى الى الاهداف المذكورة اعلاه ، من خلال سياسة الاستنزاف والتفتيت والاحباط التي تتبعها ٠

وتنبع اهمية ما يجري مما يلي :

١ ـ ان الامبريالية الاميركية توفر غطاء سياسيا كافيا لعملائها في لبنان عن طريق تقرير خط معظم الانظمة العربية ٠ وهذا ما فعلته في الاردن سنة ١٩٧٠ ـ ١٩٧١ ٠ ففي الاردن خاض العملاء معركتهم بقواهم العسكرية وحدها ، وببعثرة القوى العربية المعارضة او لجمها والحد من فعاليتها ٠

٢ ـ ان الامبريالية الاميركية ، وفرت للقوى الرجعية في لبنان غطاء عسكريا الى جانب الغطاء السياسي ٠ وكان هذا الغطاء القوة العسكرية التي رمى بها النظام السوري ٠ وهذا يعني ان القوى الرجعية التقليدية وحدها ما عادت قادرة على المواجهة ، وانها باتت بحاجة الى ما هو اكثر من الغطاء السياسي : وهو القوة العسكرية ٠ ولذلك دفعت الولايات المتحدة الاميركية بحلفائها الجدد : حكام مصر اولا ، ثم حكام سورية ، الذين عملت خلال السنوات الماضية على خلق الاجواء للتفاهم معهم ٠ ودخول القوى الرجعية الجديدة ميدان المعركة سياسيا وعسكريا اضاف طابعا جديدا للمعركة ، وجعل امكانيات الاميركيين على الصراع اكبر وافعل ٠

ان هذا الوضع يوفر ضمانات اكبر لحماية القوى المرتبطة تقليديا بهم ، ومواقعهم التقليدية ، ويتيح لهم فرصة اكبر لتجنيد قوى جديدة، فتية ، غير مستهلكة ، وذات قاعدة اوسع ، تخضع تحركاتها لمخططاتهم ٠

ولهذا فان العدو الاميركي ، الذي يتدهور وضعه عالميا ، وعلى الصعيد الاستراتيجي ، يتقدم عندنا ، يحمي مواقعه المتداعية ، ويعزز

مواقع جديدة له ، ويوجه ضربات قوية الى قوى الثورة العربية ٠

وهذا العدو يزداد شراسة في بلادنا ، لانه يدافع عن اكثر مواقعه اهمية وخطورة ، ولانه يقاتل دون آخر المواقع التي تعبده ـ اذا ما انتزعت منه ـ قوة عالمية محصورة في الاميركتين ، ليس لها مواطىء اقدام قوية في اسيا ـ وافريقيا ، كما يحرمها من ثروات هذه المنطقة واسواقها ٠

ان الولايات المتحدة الاميركية تقاتل بلادنا ، وفي بلادنا ، من خلال :

أ ـ تطوير القوة العسكرية للاحتلال الصهيوني ٠

ب ـ تطوير القوة العسكرية للقوى الرجعية المحلية ، وتوفير الغطاء السياسي والعسكري لها على الصعيد العربي ٠

وهذا يجنبها مخاطر ارسال الجيوش مباشرة ، ولكنه يجعلها متورطة كليا ، انها هي التي تخوض الحرب ، تتخذ قرارها وقرارات تمويلها وتحدد استراتيجيتها وتكتيكها ، والعملاء والشركاء ينفذون المخططات ٠ انها فياتنام اخرى تصنعها ولكن ، وحتى الان ، دون جيوش اميركية٠ انها تخلق الدول العميلة والقوى السياسية والعسكرية ، وتمول وتخطط لسياسة القتل والتدمير الخ ٠٠٠ الخ ولكنها تفعل ذلك من خلال عملائها وشركائها ما دامت قادرة على ذلك ٠ ولذلك فالشعب يصبح شعوبا والامة امما والدين مذاهب والخلافات المذهبية عوامل صراع سياسي ، والخلافات الايديولوجية تناحرا دمويا، والبلد المستقر ساحة للتباكات والطوائف الدينية المنحلة مجتمعات وشعوبا الخ ٠٠٠ ومن كورية وفياتنام ولاووس وكمبوديا الى الاردن وقبرص ولبنان وغيرها وغيرها تجارب تستحق كل اهتمام ، تدل دلالة قاطعة ان الولايات المتحدة الاميركية ما زالت العدو الاول والاكبر للشعوب ، وما زالت تلعب بمصائر الشعوب واقدارها على الرغم من

كل الانتصارات التي حققتها الشعوب ، وعلى الرغم من بروز كل القوى الجديدة على الصعيد العالمي ·

ولذلك لا بد من ان يزداد جلاء هذه الحقيقة ، لا لبث اليأس والاحباط في النفوس، بل ليزداد النضال ضدها، ولتحشد القوى حشدا مناسبا ، ولتعبأ بطريقة مناسبة · وذلك ليكون ممكنا توجيه الضربات الى الولايات المتحدة الاميركية ومواقعها وعملائها في بلادنا ، بما يجعل تدهورها العام عاما في كل مكان وسريعا في كل مكان ، ومؤكدا في كل مكان ·

ولا بد من تاكيد هذه الحقيقة ايضا ليكشف زيف الدعوات الى مصادقة الولايات المتحدة او تحييدها ، او اعتبار عملائها وحلفائها الجدد قوى وطنية ·

رابعا : ان دولة الاحتلال الصهيوني ترمي بكل ثقلها لضرب المقاومة الفلسطينية وسحق ارادة القتال العربية · وهي تلجأ في سبيل ذلك الى سياسة مثلثة الرؤوس :

أ ـ ضرب المقاومة الفلسطينية داخل الارض المحتلة، وشل نشاطها وسحق خلاياها ، والعمل المتواصل لانفضاض الناس من حولها ·

ب ـ اثارة التناقضات العربية من حولها خارج الارض المحتلة ، وممارسة الضغوط السياسية والعسكرية لمحاصرتها وخلق الاجواء المناسبة للصدامات ·

ج ـ الاستعداد المستمر لضرب ارادة القتال العربية ، سياسيا وعسكريا ·

ولذلك تعمل دولة الاحتلال الصهيوني لجعل بقاء المقاومة

الفلسطينية في الاراضي العربية مستحيلا • وهي تمارس الضغط العسكري لوقف نشاطات المقاومة من الحدود ، فتستثير بذلك صراعات داخلية • ثم تمارس ضغوطا سياسية لاثارة العداء ضد المقاومة ولاستثمار القوى الرجعية المحلية ، وهي تتعاون مع الولايات المتحدة الاميركية في ذلك كله •

وهكذا تتنوع الضربات وتتناسق : حروب كبرى ضد الجيوش العربية (حرب السويس ، حرب حزيران) وحروب اهلية (حرب الاردن ، حرب لبنان) وتدخلات عربية ضد المقاومة (التدخل السوري)، والهدف واحد : تصفية المقاومة الفلسطينية وضرب ارادة القتال العربية •

وتراهن دولة الاحتلال الصهيوني على انها تستطيع من خلال ذلك ان تبقى ، وان تبقى قوية ومسيطرة خلال العقد الآتي (الثمانينات) •

ولقد اثبتت الوقائع والاحداث ما يلي :

١ ــ ان القوى الرجعية شبه الاقطاعية ــ الكمبرادورية مثل النظام الاردني او الكتائب والاحرار مستعدة لتنفيذ هذا المخطط ، وانها ترى في ذلك ضمانة لبقائها وبقاء مصالحها •

ب ــ ان ممثلي القوى المهيمنة على الحكم في القاهرة ودمشق لا يعملون لخلق ظروف القتال المناسبة ، ويعملون لخلق ظروف التسوية، وهذا يخدم مخططات دولة الاحتلال الصهيوني والامبريالية الاميركية •

ان دولة الاحتلال الصهيوني تخوض صراعا من اجل تثبيت السيطرة على فلسطين والاراضي العربية المحتلة ، وفي سبيل تفتيت الامة العربية وتحويلها الى طوائف ومذاهب وقبائل • وهي ترى ان ذلك ، بالاضافة الى بناء قوتها العسكرية الضاربة المتفوقة ، طريقها الى البقاء والاستمرار والازدهار •

وتستغل دولة الاحتلال الصهيوني الصراعات الداخلية التي تناهم في خلقها ، لتخلق اشكالا من التقارب مع الانظمة والقوى الرجعية ، ولتقيم اشكالا من الجسور المفتوحة ، ولتجعل الحصار المفروض على دولة الاحتلال الصهيوني يسقط، والجهود المواجهة ضدها تتضاءل وتتلاشى في حروب استنزاف مضنية ٠

لقد اثبتت هذه السياسة فعاليتها منذ سنة ١٩٥٠ ، اي منذ عقدت اتفاقيات الهدنة ٠ ففي البدء ، لعبت الانظمة العربية دور قمع القوى الوطنية العربية ، ومنها القوى الوطنية الفلسطينية ٠ وعندما بدأت مجموعات الفدائيين تتحرك ، واعلن عبد الناصر كسر طوق احتكار السلاح وتاميم القناة كانت حرب السويس ٠

وحين عادت العمليات الفدائية ، واطلق النظام في سورية شعار حرب التحرير الشعبية ، واصبح النظام في مصر قويا ، وحاول ان يستعيد السيطرة على خليج العقبة ، وجهت قوات الاحتلال ضربتها الثانية (حرب ١٩٦٧) ٠

ثم حين انطلقت المقاومة واتسعت بدأت دولة الاحتلال الصهيوني سياسة الغارات على جنوب لبنان وغور الاردن ٠ ما لبثت ان ساهمت في دفع الامور باتجاه التفجير من الداخل ٠

والان تدفع دولة الاحتلال الصهيوني باتجاه تصفية المقاومة الفلسطينية وارادة القتال العربية وفرض سياسة قمع شاملة ضد ارادة القتال العربية عموما ٠

ان دولة الاحتلال الصهيوني لا تدخر جهدا أو وقتا لا تستغله لسحق ارادتنا القتالية وتفتيت وجودنا القومي ٠ وهذا ما اكدته الوقائع والاحداث ، وما يجب ان يعطى الاهتمام الكافي ، حتى لا تظل الارض

تميد من تحت اقدامنا ، والمعارك تفتعل لنا ، والقوى الرجعية والعملية تتألب علينا ·

خامسا : ان الحركة الوطنية العربية بكل فصائلها واتجاهاتها ما زالت ضعيفة أمام هذه المؤامرات الواسعة الخطيرة · ويبدو ضعفها واضحا في كل المجالات · ولكنه اشد ما يكون وضوحا في مجالين :

الاول : مجال وحدتها ووحدة برنامجها ، فهي ما زالت اشتاتا وما زالت بلا برنامجها الموحد · وعلى الرغم من اليقظة التي شهدتها الامة العربية فانها لم تشهد حركتها الواحدة ، او جبهتها الواحدة ، ولا برنامج نضالها الواحد على صعيد الوطن العربي كله · ولذلك فان الخلافات ما زالت كبيرة وكبيرة جدا : بين اتجاه وطني وآخر ، وحزب واخر · والحركات الوطنية في كل قطر ، حتى لو كانت تعلن أهدافا قومية ، باتت حركات مقيدة بحدود اقطارها ، وبسياسات أقطارها الى حد بعيد · وباتت الصراعات داخل كل قطر صراعات داخل دول تبدو مستقلة وقائمة بذاتها ·

الثاني : مجال قوتها وجماهيريتها · فهي محدودة من حيث الانتشار التنظيمي والجماهيري · وهي هشة من حيث التكوين والقدرة القتالية · ولذلك استطاعت الانظمة الرجعية ، القديمة والجديدة ، ان تكبت انفاسها ، وأن تشلها الى حد بعيد · والوضع الان ، من هذه الزاوية وفي الجوهر ، في المملكة العربية السعودية كالوضع في الاردن او سورية او مصر او المغرب ، القوى الوطنية مطاردة ومقموعة · والاخطر من ذلك أنها مفككة ، وغير قادرة على الاضطلاع بمهمات المرحلة الاساسية وعلى رأسها الكفاح المسلح ·

ان هذا الوضع يعطي القوى الرجعية الفرص الكافية لبناء نفسها ، والدفاع عن مصالحها ، وممارسة القمع المتزايد على القوى الوطنية،

كما ان هذا الوضع يحمل الشعب اعباء كبيرة والاما شديدة ، لان سياسة التجزئة والاستغلال والاضطهاد مستمرة ، ولان الاحتلال والسيطرة المباشرة وغير المباشرة ما زالت مستمرة ايضا ٠

لقد كانت الحركة الوطنية العربية العفوية في مرحلة هجوم خلال الخمسينات والستينات ، على الرغم من النبذبات والتراجعات الجزئية ، وكان الاتجاه القومي واضحا وقويا فيها خصوصا من خلال عبد الناصر٠ ولكنها اخذت تتراجع بعد ذلك، فخسرت نهضتها العفوية، ثم اخذت تخسر مواقعها ٠ وأحسن دليل على ذلك وضع سورية ومصر منذ سنة ١٩٧٠ ٠

وفي الوقت الذي كانت الثورة الفلسطينية فيه تخوض اعنف معاركها مع الرجعية العربية واتجاهات التسوية والاستسلام (١٩٦٩ ـ ١٩٧٦) كان دور الحركة الوطنية العربية يضعف ويتضاءل ، ما عدا بعض المشاركات المحدودة ٠

ولذلك،وفي الوقت الذي كانت القوى الرجعية القديمة والجديدة، تبني قواها العسكرية وتنظم صفوفها ، وتعد نفسها للمعارك ، كانت القوى الوطنية تبدي عجزها وتفككها امام الضربات المتتالية ٠

ولقد زاد تعاون القوى الرجعية ، وتنسيقها فيما بينها (مصر ـ المملكة العربيةالسعودية ـ السودان ـ سورية ـ امارات الخليج ـ لبنان ـ الاردن الخ) على الرغم من كل تناقضاتها وخلافاتها ٠٠ بينما لم تستطع القوى الوطنية ان تنجز اي قدر من التعاون والتنسيق ٠

ولذلك فان الحركة الوطنية والثورية والديمقراطية تحتاج الى دراسة الاوضاع الجديدة والمهمات الجديدة ، واعادة بناء قواها ورسم برنامجها على هذا الاساس ٠

ان الخروج من الضعف والقصور والتراجع الى النهوض والقدرة

والقوة يحتاج الى تغييرات جذرية وشاملة · ولا سبيل غيـــر هـــذا السبيل ·

سادسا : ان المقاومة الفلسطينية التي خاضت اعنـف المعـارك في السنوات الماضية (٦٨ ـ ٧٦) تعيش مازقا خانقا · ذلك انها بنت مراهناتها على التالي :

أ ـ التوازنات القطرية ، بأن تكون قوة في قطر ، مـع بقـــاء الاوضاع القائمة فيه ، مستفيدة من كل التناقضات والثغرات ·

ب ـ التوازنات العربية ، بأن تكون ضمن الواقع العربي بحماية تناقضاته ·

ج ـ التوازنات الدولية ، بأن تدخل المجتمع الدولي من خـــلال الديبلوماسية والاستفادة من محاور القوى العالمية ·

ولذلك لم تطرح المقاومة نفسها قوة تغيير ، ثورة على الصعيـد العربي ، ولم تطرح برنامجا لتحرير فلسطين من خلال ثورة قومية ديمقراطية عربية ، فتعيش وتستمر بحماية قـوى الثورة العربيـــة وجماهيرها ·ولذلك ظلت المقاومة الفلسطينية ، تقاتل العدو الصهيوني، دون أن تتحول الى حركة عربية ثورية · وفي الوقت الذي استنهضت فيه الجماهير الفلسطينية للقتال ، لم تستطع ان تستثير في الجماهير العربية الا الحماسة والتضامن الانفعالي ·

ولان المقاومة انطلقت من هذا المنطلق ، ابدت استعدادها لقبول التسوية السياسية فيالحظة التي بدا في الافق انها ممكنة· ولقد قادها ذلك الى الاقتراب من الواقع الرسمي العربي ، ثم الى دخول حلبة صراعاته لانها ، ومذ قبلت فكرة التسوية، باتت منافسا، ورقما اضافيا في معادلة تضيق بارقامها الاساسية ·

ولهذا فان المقاومة اليوم تدخل دوامة البدائل الامريكية : حـــل مصري سعودي ، أو سوري اردني ، أو تسوية وطنية · وهذا يعنـي انها تهرب من تسوية الى تسوية ·

وفي هذا الوقت بعينه تتكالب القوى المختلفة عليها :

١ ـ الامبريالية الامريكية ـ لانها تريد تسوية أمر واقع تلغـي الدور الذي ادخلته المقاومة على الواقع العربي ، وتعيد الامور الـى نطاق العمل الدبيلوماسي ·

ب ـ الاحتلال الصهيوني ، من اجل انهاء الثورة وضرب جذورها في الارض المحتلة واقرار سلام الامر الواقع ·

ج ـ القوى الرجعية التقليدية من اجل ضمان بقـاء انظمتهـا ومواقعها ومصالحها ·

د ـ القوى الرجعية الجديدة من اجـل ضمان حل اشكالاتهـا الداخلية والخارجية (علاقاتها مع جماهيرها وعلاقاتها معالامبريالية)

ان هذا كله جعل المقاومة تدخل مازقها الخطر · انها محاصرة ، ورقعة الحصار تزداد ضيقا ، والقوى المعادية تتكاثر وتتسع ، بسبب انضمام الرجعية الى الرجعية القديمة واندفاعها على طريق تصفيـة المقاومة· وآفاق الخروج منالمازق تبدو أضيقمنها سنة١٩٧٠ ·فالمقاومة سنة ١٩٧٠ التجاتالى جبال لبنان ووسعت قواعدها فيه واكتسبتتأييدا عالميا واسعا ، ولكنها في الوقت عينه كانت تجابـه اوضاعا جديدة ، فمن جهة عجزت عن تطوير اوضاعها الذاتيةالتطوير المناسب للظروف الجديدة (التنظيم والجبهة المتحدة وجيش الشعب) · ومن جهة ثانية لم تستطع ان تصبح القوة الطليعية للثورة الديمقراطية الشعبيةالعربية والجماهير · وتفرغت الولايات المتحدة الامريكية بعد فياتنام للسيطرة

على الوضع في الشرق الاوسط ·

ان هذا كله يتطلب التفكير الجدي والعلمي للخروج مـــن المازق خروجا ثوريا ، لا كما حدث بعد ايلول ، اي بمحاولة الاحتيال على المازق وقبول التسوية السياسية ومعارضة التسوية لاميركية بالتسوية الوطنية ·

ما العمل ؟

وبعد ذلك كله ما العمل ؟ وهل هناك مخرج من المازق ؟

نعم ··· نعم ··· والمخرج هو الاصرار على استمرار القتـال والبحث عن السبل الكفيلة باستمراره وهي موجودة ، وممكنة· ان هذا القرار هو اساس الحل · ولا حل سواه · أما الحلول الاخرى فاشكال من الهروب ، وبحث عن الماء في السراب · وهذا يقتضي ان نؤكد على الحقائق التالية (١) :

١ ـ انتحرير فلسطينمرتبط بمسيرة الثورةالقومية الديمقراطيةالشعبية العربية ، على الواقع الرسمي العربي وبناه ومؤسساته · الواقع القائم يميل نحو التسوية والتصفية ، ولذلك يكرس كل جهوده لضرب قوى الثورة ، ولا يكرس الا اقل من القليل لمواجهة العدو الصهيوني · ولذلك بات العدو الصهيوني ، بعد جوالي ربع قرن من قيام دولة الاحتلال الصهيوني اقرب الى دمشق والقاهرة منه عند قيام دولة الاحتلال·ولذلك ما زال الاحتلال قائما ، وما زلنا عاجزين عن مواجهته جديا أو دحره ; وهذا يعني ان تحرير فلسطين من مهمة قوى الثورة القومية الديمقراطية

(١) ان ترتيب هذه الحقائق لا علاقة له بترتيب الاعداء الاساسيين·

الشعبية العربية ، اصلا واساسا • اما الانظمة الرجعية والرجعيـــة الجديدة (مصر ـ سورية) فمعطلة ومؤخرة ومشغولة بسحق ارادة الجماهير • وهي تختلف او تأتلف ، ولكنها في الاساس لا تعتبر قضية التحرير قضيتها الاساسية ، وليست مستعدة لان تنضم الى جبهـــة الجماهير وقواها الوطنية لمواجهة العدو الصهيوني ـ الاميـركـي ـ الرجعي • وان اضطرت في بعض الفترات لمصادمته،او لابراز تناقضها معالولايات المتحدة الاميركية ،بسبب تعنت سياسة الاحتلال وعدوانيتها، وبسبب تحول التناقضات غير العدائية بينها وبين الامبرياليـــــة الاميركية الى تناقضات عدائية ، نتيجة الموقف الاميركي المنحاز تماما للاحتلال الصهيوني •

وهذا يتطلب منا ان نناضل لنجعل قضية التحرير قضية قـــوى الثورة العربية ، ونخرجها من ايدي الانظمة الرجعية القديمة والجديدة وسياساتها وارتباطاتها ، واختلافها وائتلافها • ولكن هذا لا ينفي ان يكون القتال من اجل تحرير فلسطين من العوامل الاساسية في تنمية الثورة الديمقراطية الشعبية وتصعيدها •

٢ ـ ان الصراع مع القوى الرجعية العربية التقليدية من المهمات الاساسية للثورة الديمقراطية الشعبية العربية ، وهو صراع مترافق مع الصراع مع دولة الاحتلال ، ويجب ان يتم خلال المعركة مع الاحتلال الصهيوني والامبريالية الاميركية ، لان هذه القوى معادية كليا ، عدو اساسي ، ولان محاربتها واسقاطها والتخلص منها يساعدنـــا على مواصلة الصراع مع العدو الصهيوني وتصعيده وحسمه بالنصر •

ان مهادنتها او المراهنة على امكانية تحييدها استراتيجيا ، او اشراكها اشراكا فعالا وجديا في المعركة يقود الى عدم اتخاذ الخطوات الجدية لمحاربتها ، وبالتالي يعطيها الفرصة للمناورة ، ولاختيار الوقت المناسب للانقضاض • وان كان هذا لا يمنع مهادنة بعضها لمحاربـــة بعضها الاخر ، والتعاون مع بعضها ضد بعضها الاخر ، او مهادنتها

مرحليا عنداحتدام الصراع ضد الاحتلال الصهيوني والامبريالية الاميركية ، اذا اقتضت ظروف القتال ذلك ، وذلك كله من اجل تطوير حركة الثورة العربية وتصعيدها ٠

ولذلك يجب ان يكون واضحا بلا لبس ، ان هذه القوى قوى معادية ، عدو اساسي وانها ليست من جبهة قوى تحرير فلسطين ٠ وان الحرب معها شرسة كالحرب مع الاحتلال الصهيوني ، ضرورية كالحرب مع الامبريالية الاميركية ، من الناحية المبدئية والاستراتيجية ٠ أما من حيث التكتيك فقضية اخرى مختلفة ٠

٣ ـ ان الصراع مع الامبريالية الاميركية صراع مع عدو اساسي يقاتلنا ، ولا يدعم عدونا فحسب ، انه يخوض المعارك ضدنا ، ويخطط لضرب ثورتنا وارادة التحرير والوحدة والتقدم ، وينظم القوى لانجاز هذه المهمات ٠ وعليه فالامبريالية الاميركية ليست حليفا لقوة معادية ، انهاتلعب الدور الاساسي الان في الصراع ، وذلك من خلال امداد عدونا الصهيوني بكل وسائل قوته السياسية والعسكرية وامداد القوى الرجعية بمساندة مماثلة ٠ وهي لا تكتفي بذلك بل تخطط وتعمل مباشرة لتحقيق سيطرتها على بلادنا ٠ وهي الطرف الاقوى والقائد في معسكر الاعداء الاساسيين ٠

وهي فوق هذا وذاك تملك مواقع وثروات هامة في بلادنا ، ولها قوى مجندة تعمل لخدمة مصالحها ٠

٤ ـ ان العدو الصهيوني الذي اغتصب قطعة من أرض الوطن (فلسطين وسيناء والجولان) والذي يعمل لتفتيت شعبنا وقتل ارادة التحرير والتقدم والوحدة لدينا عدو شرس ، لا بد من حشد كل القوى الوطنية لمواجهته ، وبكل سرعة ممكنة ٠ ولا بد من تطوير هذه القوى ،

بحيث تكون قادرة على المواجهة الحقيقية وتحقيق النصر • وهذا يتطلب حشدا وتعبئة واستعدادا من مستوى المواجهة ، وارادة وتنظيما من مستوى تحقيق النصر• وما حدث حتى الان، على الصعيد الشعبي، لا يحقق الا اقل القليل من المطلوب •

٥ ـ ان قوى الثورة العربية مطالبة بأن تتحد وتبلور برنامجها السياسي والعسكري لانهاء الاحتلال وتحقيق برنامج الثورة القومية الديمقراطية الشعبية •

وهذا يتطلب قيام التنظيم الثوري والجبهة القومية المتحدة وجيش الشعب العربي • ان هذا وحده هو الذي يقودنا على طريق الخلاص، ولا أمل بدونه •

٦ ـ ان المقاومة الفلسطينية مطالبة بأن تصبح جزءا من الثورة القومية الديمقراطية العربية • وبذلك فقط تخرج من مازقها•ولن تخرج بغير ذلك •••

ملاحظات وتوقعات :

ان المعركة في لبنان مستمرة ، لان القوى المعادية لم تحقق كل اهدافها بعد • وستبقى مستمرة ما دامت هناك قوى تقاتل وترفض الاستسلام•

والهدف ان تخضع المقاومة ، وذلك بأن يوجه لها المزيد من الضربات ، وان تضرب قواعدها الجماهيرية المسلحة ، لتبقى بعد ذلك بقاياها اداة طيعة في أيدي الانظمة ، واداة قمع ضد الجماهير الفلسطينية •

والنظام السوري مصمم على تحقيق هذا الهدف بالتعاون مع جبهة الكفور • والنظام السوري سوف يظل يناور مستخدما الضربة

العسكرية المباشرة مرة ، والضربة السياسية مرة ، وقوة حليفتـــه جبهة الكفور مرارا حتى ينجز اهدافه ٠

ولن يوقفه عن الاستمرار الا :

أ ـ اتخاذ كل الخطوات لاجبار النظام السوري على التراجع ٠

ب ـ والاستعداد الكافي للصمود والقتال في المناطق التـــي

أ ـ حشد كل القوى الوطنية للقتال ،
تخضع لسيطرة القوى الوطنية والمقاومة ٠

هل نستطيع القيام بذلك ؟ طبعا ٠٠٠ ولكن هذا يتطلب :

ب ـ التصميم على المقاومة وتقديم التضحيات اللازمة ٠

ولكن القوى الان غير محشودة جيدا ، والصفوف غير مرصوصة، فعلى الصعيد الفلسطيني ما زلنا بعيدين عن ان تحـقق الجبهـــة الوطنية الفلسطينية التي تجمع كل القوى الوطنية الفلسطينية ، ضمن اطار مركزي يحشدها ويعبئها وينظمها ويقودها فعلا ٠ وعلى الصعيد اللبناني لم تتحقق الجبهة الوطنية بعد ٠ وعلى الصعيد الفلسطيني ـ اللبناني ما زالت الجبهة غير موحدة على أسس مدروسة ، وما زالت تخضع للعديد من الاعتبارات الذاتية حينا ، العابرة حينا آخر ٠ وما زالت العلاقات الفلسطينية اللبنانية تتاثر كثيرا برياح السياسة العربية٠ وهذا يستلزم :

أ ـ برنامجا جديدا واطارا جديدا لجبهةوطنية فلسطينية، يخرجهامن اطار التسوية وبدائلها ، ويوفر لها عوامل القوة في التنظيم والتعبئة والحشد والقتال ٠ ويخرجها ايضا من اطار الارتباط بالانظمة العربية وتوازناتها وسياساتها ، ويجعلها مرتبطة بالثورة العربية والجماهير العربية ٠ ويلزمها على صعيد لبنان ببرنامج ثورة قومية ديمقراطية

شعبية تتضمن:تحرير لبنان من السيطرة الاجنبيةغير المباشرة،واسقاط سلطة تحالف شبه الاقطاع والكمبرادور ، واقامة سلطة ديمقراطية شعبية لتحالف الطبقات والفئات الكادحة والوطنية والديمقراطية ·

ب ـ برنامجا جديدا واطارا جديدا لجبهة فلسطينية ـ لبنانية ، ملتزمة ببرنامج القتال ضد الاحتلال الصهيوني والامبريالية ـالاميركية والقوى الرجعية اللبنانية والعربية المعادية لخط التحريـــر والوحدة والديمقراطية الشعبية · ان هذه الجبهة ضرورية ، لتعزيـز النضال الفلسطيني ـ اللبناني ولزيادة فعاليته ، ولحماية مكتسبات الجماهير الفلسطينية ـ اللبنانية ، وضمان استمرار القتال لانتصارها ·

ان الوضع الحالي ينذر بعواقب وخيمة · واستمرار هذا الوضع سيقود الى مزيد من التدمير السياسي والعسكري ، والى انهيـــار جبهتنا خلال الاشهر الستة المقبلة ، أو السنة المقبلة ، ان لم يحدث تغير جوهري في سياسة دمشق· وهذا يستلزم على الصعيد السياسي قرارين اولهما يتعلق بالنضال في لبنان لهزيمة القوى الرجعية المتمثلة بجبهة الكفور ، وثانيهما : يتعلق بالنضال لهزيمة النظام السوري ، وما لم يتخذ هذان القراران يبقى الجو السياسي مختلطا ، وتبقى البلبلة سائدة ، وتبرر كل المساومات والتراجعات ·

ويجب ان تلتقي هذه الجبهة على النقاط التالية :

1 ـ النضال لتحرير فلسطين : استمـرار الثـورة الفلسطينية وحمايتها،وتطوير النضال العربي ضد الاحتلال الصهيوني والامبريالية الاميركية والقوى الرجعية العربية ·

ب ـ النضال ضد الاحتلال السوري للبنان والعمل على اجبار القوات السورية على الانسحاب بكل الوسائل ·

ج ـ النضال والقتال لهزيمة جبهة الكفور باعتباراها تمثل رجعية متآمرة معادية لطامح الشعب في لبنان ولطامح الجماهير العربية ·

د ـ النضال لبناء لبنان عربي ديمقراطي ، يقوم على العلم وحقوق المواطنية المتساوية ، وفرض سلطة تحالف الطبقات والفئات الكادحة والوطنية والديمقرطية ·

ان هذا يتضمن ضرورة قيام جبهة وطنية لبنانية لكل القـــوى الوطنية والثورية والديمقراطية ·

ومن الضروري اتخاذ خطوات حاسمة وسريعة لنجابه التدهور السياسي والعسكري ونمنع حدوث الانهيار · ان هذا يتطلب ، اضافة الى ما سبق :

١ ـ التعبئة الشاملة واستثارة الحماسة لتجنيد كل طاقات الشعب والاستفادة من كل امكانياته ، ولا نرى التجنيد الاجباري حلا ··· ان التعبئة الوطنية والثورية ضرورية ، لتصليب معنويات المناضليـــن والمقاتلين ، ولتزويد المواطنين بامكانيات الصبر والاحتمال والمشاركة الفعلية · وهذا علاج هجرة السكان والمناضلين · وهذه وسيلة كسب المزيد والمزيد من المقاتلين يوميا · نحن بحاجة الى التعبئة الشاملـــة واليومية والمبدعة ·

٢ ـ العمل على وقف كل الممارسات التي تقوم بها عصابـــات اللصوص والدكاكين السياسية والفئات المدسوسة، والافراد المدسوسون او المتخلفون ضد جماهير الشعب · لان هذه الممارسات تفقد الجماهير ثقتها بثورتها ، وتخلق الجو المناسب لانتشار الاشاعات المعاديـــة والافكار السامة · ويحتاج وقف هذه الممارسات الى السياسة الحكيمة والممارسة الصحيحة والحزم الشديد ·

٣ ـ العمل على وقف الممارسات الطائفية بحزم والتعبئة ضدها

بكل الوسائل الممكنة ، ومعاقبة الذين يخطفون على الهوية ، او يقتلون على الهوية ، او ينهبون المتاجر والبيوت ويفرضون الاتاوات على ابناء الطوائف المسيحية ، ردا على ما تقوم به جبهة الكفور ٠

٤ ـ تحديد خط سياسي صحيح ، فيما يتلعق بالعملاء والسرقات والمصادرات والمحافظة على ارواح الناس وارزاقهم ، حتى لا يظل ذلك خاضعا لامزجة الجهلة والمهووسين واللصوص والعملاء والغافلين ٠

وهذا يتطلب مرحليا :

١ ـ النضال لدحر الهجمة الامبريالية ـ الرجيعة ٠

٢ ـ النضال لهزيمة الغزو السوري باعتباره احتلالا ٠

٣ ـ النضال للمحافظةعلى وحدة لبنان وعروبته٠ وهذا يستتبع:

أ ـ حماية المقاومة الفلسطينية ب ـ اعداد قوى الجماهير اللبنانية لمحاربة العدو الصهيوني ج ـ محاربة سياسة الجسور المفتوحة د ـ اقامة اوثق العلاقات مع اجزاء الوطن العربي الاخرى ٠

٤ ـ انتهاج سياسة تربوية وثقافية تعبيء الاجيال بروح وطنية ديمقراطية عربية ٠

٥ ـ المحافظة على مكاسب الجماهير في ميدان الحريات الديمقراطية والنقابية ٠

٦ ـ انتهاج سياسة علمانية ومحاربة كل الامتيازات والظواهر الطائفية ٠

ان ذلك كله ضروري واساسي ، ومع ذلك مر عام ونصف عام ، ونحن نعاني ما نعاني دون ان تلتفت القيادات او تهتم ، ودون ان تقف الكوادر والقواعد وقفة شجاعة ، ولا يجوز لها ان لا تقف ٠

الازمة والسياسة المصرية ـ السورية

ان ما يجري في لبنان يتم ضمن اطار سياسة التسوية التي تنتهجها الولايات المتحدة الاميركية ، والتي تنفذها دولة الاحتلال الصهيوني من جهة ومصر وسورية من جهة اخرى · وهذه السياسة التي ذكرنا دوافعها واهدافها فيما سبق هي التي تحرك الاحداث في لبنان وتسعى لتحديد نتائجها ·

ومن الضروري أن نبرز هذه الحقيقة لاعطاء الازمة ابعادها الحقيقية ولتحديد ادوار المشاركين فيها ·

ولقد كانت مجازر الاردن سنة ١٩٧٠ ـ ١٩٧١ أولى الخطوات على هذه الطريق · ثم جاءت مشاريع التسوية السابقة على حرب تشرين واللاحقة لها ، من مشروع الحل المرحلي الى مشاريع التسوية الوطنية وغير الوطنية · وتلت ذلك سياسة الخطوة ـ خطوة واتفاقية سيناء ، ثم الحرب الاهلية في لبنان ·

والسياسة المصرية منذ مشروع روجرز ، هي صاحبة هذا النهج كله · وهي التي طرحت فعليا ضرورة « تقزيم » المقاومة ، واثارت مخاطر وجود الفلسطينيين في البلاد العربية ، وضرورة انهاء اثرهم في السياسات العربية ·

وكانت الحملة التي اثارتها المنظمات والقيادات والقواعد الفلسطينية ، كما كانت الحملة التي اثيرت حول مشروع روجرز ، من العوامل الفاعلة في الموقف المصري · وكان اصرار الرئيس السادات والحكومة المصرية على انتهاج هذه السياسة ، واتجاههم نحو توطيد العلاقات المصرية الاميركية والمهادنة السياسية مع دولة الاحتلال الصهيوني من اسباب التشدد في ضرورة «لجم» الثورة الفلسطينية · ذلك انهم يعرفون جيدا ان فعالية الثورة الفلسطينية واستعداد

الجماهير لقبول دعاواها ، يخلق مشاكل حقيقية للنظام المصري ، ولسياسته المساومة المهادنة ، وللخط الاميركي كله في البلاد العربية .

ولقد سارت السياسة السورية على خطى السياسة المصرية : من حيث الاهداف والاتجاه العام . فهي تسعى الى توطيد علاقاتها مع الولايات المتحدة الاميركية ، ومهادنة العدو الصهيوني ، وتنفيذ المهمات الموكلة اليها من خطة التصفية والتسوية . ولكنها ارادت ان تكون منفردة فيما تفعل ، كما فعل الرئيس السادات ، وان تعزز مواقعها في خطة التسوية على حساب مواقع القيادة المصرية . ولذلك، وبدلا من ان تكون تابعة للسياسة المصرية ، قررت ان تنتهج سياستها المستقلة . فمدت يدا الى النظام الاردني ويدا اخرى الى القوى الرجعية المتآمرة في لبنان ، وعقدت حلفها الاساسي مع هاتين القوتين، المعاديتين للثورة الفلسطينية والشعب الفلسطيني وحركة التحرر العربية ، وبذلك انشأت محورها الخاص داخل اطار معسكر التسوية.

ولم تكن دمشق قادرة على عمل ذلك ، لو لم تكن مصر قد عقدت اتفاقية سيناء ، وسارت على الخط عينه .

وسعت دمشق لان تحيط فعلتها وخطتها بالبهارج التي اظهرتها من خلال مشروع الوحدة السورية ـ الفلسطينية .

ولم يكن ذلك كله يريح السياسة المصرية . فالسياسة المصرية تريد أن تلعب بأوراق سورية وفلسطين على مائدة التسوية ، وتريد ان تكون القوة القائدة في « المعركة السياسية » ، كما هو الواقع بالنسبة لقوة مصر سياسيا وعسكريا .

ولكن الاميركيين لا يرون ذلك مناسبا ، لانه يعزّز موقف السياسة المصرية ، ولذلك ساعدوا سورية على انتهاج سياسة مستقلة ، مما

يضعف مصر وسورية في تسابقهما على ود الولايات المتحدة الاميركية وصراعهما من اجل التسوية ٠

ولذلك لجأ النظام السوري في البدء الى اظهار الحرص على المقاومة الفلسطينية والدعوة الى الوحدة معها ، في الوقت الذى كان يعد فيه للتدخل السافر في لبنان ٠ أما النظام المصري ، فكان حينذاك يعبيء ضدّ الثورة الفلسطينية ويحرض عليها ، ويعمل لتقوية مواقع القوى الرجعية المتمرة ٠ وكانت خطته تستهدف شق صفوف الثورة ، باثارة قيادات فتح على المنظمات الرافضة ، وضرب علاقة الثورة الفلسطينية بالقوى الوطنية ، من خلال دعوة الثورة للتخلي عن اليسار ، وهذا كان موقف المملكة العربية السعودية ايضا ٠

ولقد انتهت المرحلة الاولى ، فتدخل النظام السوري ، وبدات معركته المكشوفة مع المقاومة والقوى الوطنية ٠ وما لبث النظام السوري ان اخذ يطالب المقاومة بما كان النظام المصري يطالبها به ٠

وتغير الموقف المصري التكتيكي ، فاخذ جانب الدفاع عن المقاومة والقوى الوطنية في لبنان ، وقدم بعض المساعدات لهما ٠ واستغل بعض الذين نظروا لسلامة الموقف المصري ، قبل اتفاق سيناء، والذين طالبوا بعدم مهاجمة السياسة المصرية بعد عقد الاتفاق ، المناورة التكتيكية المصرية ، ليدافعوا من جديد عن السياسة المصرية كلها ، باسم صحة خطتهم في ضرورة عدم مهاجمة هذه السياسة ، لانها ستتغير ٠ ولكن الموقف المصري لم يتغير في جوهره ، لم يكن مع التسوية وصار ضدها ، ولا كان ضد الثورة الفلسطينية وصار معها٠ انه مع التسوية اساسا ومع « تحجيم » الثورة الفلسطينية وربطها بعجلته ، كالنظام السوري ٠ ان النظام المصري الذي راى النظام السوري يطبق على تلابيب المقاومة ويمعن في خنقها ، وجد من يحقق له كل اهدافه ٠ فلماذا لا يغسل يديه من دم الثورة ، ويعلن انه برىء

من دمها (...) اليس ذلك مما يساعده على الظهور بمظهر المدافع عن القضية الفلسطينية ، ويعطي شيئا من خطواته نحو التسوية والتعامل مع الاميركيين ومهادنة العدو الصهيوني ؟ . كما ان هذه الدعاوى تساعده على كسب بعض الفلسطينيين ، ليكونوا بديل زهير محسن عند النظام السوري في اية تسوية مقبلة ، او اية مناورة سياسية .

واذا كان هذا لا يمنع الاستفادة من هذا التناحر المصري ـ السوري ، فان هذا التناحر لا يجوز ان ينسينا طبيعة سياسة كل طرف واهدافها . ان السياسة المصرية ، كالسياسة السورية ، معنية اساسا بتوطيد العلاقات مع الولايات المتحدة الاميركية وتسوية القضية الفلسطينية الان . وهما اذا اختلفا فعلى الدور الذي يلعبه كل منهما، وعلى التكتيك المتبع ، وعلى المناورة التي يتبعها كل طرف ، وعلى دور كل طرف منهما في التسوية السياسية .

ومصر وسورية ليستا وحدهما في هذا الميدان . فهذه سياسة الكويت والمملكة العربية السعودية وامارات الخليج والسودان وتونس وغيرها . وهذه سياسة لا تقارعها الجزائر او حتى اليمن الديمقراطية.

ان الوضع العربي الان ، وبعد عشرين سنة من اندحار الانجليز والفرنسيين وزوال دولتهم عن بلادنا (٥٦ ـ ٧٦) ، اصبح تحت السيطرة النسبية للولايات المتحدة ، التي عجزت سنة ١٩٥٧ عن ان تملأ الفراغ في الشرق الاوسط ، وفي سورية ومصر تحديدا .

والوضع العربي الذي كان في عهد نوري السعيد لا يجرؤ على المساس قولا او فعلا بالقضية الفلسطينية ، بات سنة ١٩٧٥ ـ ١٩٧٦ يتحدث علنا عن التسوية وانهاء الصراع الخ ... الخ وفي ظل هذا الوضع صار ممكنا ارتكاب المجازر الكبيرة وتجريد الحملات العسكرية لقتل الفلسطينيين وسحق ثورتهم وضرب القوى العربية العاملة معهم،

كما حدث في الاردن سنة ١٩٧٠ ـ ١٩٧١ وفي لبنان سنة ١٩٧٥ ـ ١٩٧٦ .

استمرار المعركـــة :

ان المعركة ما زالت مستمرة ، وهي لن تقف ان لم تحسم او يبلغ ميزان القوى توازنا معينا يجعل الاستمرار عسيرا . والحسم يكون بانتصارنا واندحارهم ، او اندحارنا وانتصارهم . ولقد كان ميزان القوى لصلحتنا حتى الغزو السوري . ومنذ ذلك الحين بدأ يميل لصلحتهم . وجاء سقوط مواقعنا في الكورة (اميون وبطرام) ، وحصار مواقعنا في الجبل (صنين ـ الزعرور ـ عينطورة ـ حمانا) وسقوط مواقعنا في تل الزعتر والمنبعة وتعزيز مواقعهم في عين ابل ـ دبل ـ رميش وجزين ودير القمر، ليدفع رجحان ميزان القوى باتجاههم وليجعلنا في وضع حرج .

والمطلوب الان ان نعمل من اجل ما يلي :

١ ـ الدفاع عن مواقعنا المتبقية ، وتثبيت خطوط دفاعنا ، وجعل سقوط اي منها مستحيلا . وهذا ممكن بالامكانيات المتوافرة ، اذا ما احسن حشدها واستخدامها .

٢ ـ تصعيد المعركة في المناطق التي يسيطر عليها العدو ، وذلك بتطوير حرب العصابات حيث بدأت ، كما هو حادث في البقاع ، وببدء حرب العصابات في المناطق التي لم تبدأ فيها بعد (مناطق سيطرة القوى الرجعية المتآمرة) . وهذا ممكن ايضا ، وامكانياته موجودة .

٣ ـ التصدي لسياسة الجسور المفتوحة التي يتبعها العـــدو الصهيوني في الجنوب ، وذلك بتوفير بعض مقومات الصمود (الحاجات المعيشية) ، وبتعبئة هذه الجماهير وتوعيتها لخطورة مخطط العدو ،

واتخاذ بعض التدابير العسكرية التي تعيد هيبة المقاومة ومختلف القوى الوطنية ، وتضع حدا لحالة التسيب التي يستغلها العدو .

٤ ـ العمل لاجبار النظام السوري على التراجع بمختلف الوسائل الممكنة .

٥ ـ العمل على تحريك قوى الثورة العربية ، لضرب تحالف القوى الرجعية العربية مع الامبريالية ، ولكسر طوق الحصار عن قوى الثورة العربية في لبنان .

ان البدء بهذه الخطوات يساعدنا على الاستمرار ، وينقلنا من الدفاع السلبي الى الدفاع الايجابي ، ويزيد امكانيات تحويل ميزان القوى لمصلحتنا .

واذا لم نتحرك انطلاقا من هذه الاسس ، فان السياسة التي تتبعها القوى المعادية ، ستمضي قدما في تحقيق اهدافها ، وربما استطاعت خلال الاشهر الستة المقبلة او السنة المقبلة ان تحسم المعركة لمصلحتها.

والمعركة يجب ان تستمر ، لانها معركة وجود ، ولان خسارة المعركة في لبنان سيتيح ـ ان لم تحصل انفجارات عربية هنا او هناك ـ امكانية ترتيب الامور في الوطن العربي مؤقتا . وهذا ما يجب ان نمنعه بكل الوسائل .

ولا بد لنا ـ اذا ما اردنا ان نمنعه ، ان نؤكد ـ اضافة الى ما سبق ـ على الآتي :

١ ـ ضرورة تجاوز المفاهيم الانتهازية والاصلاحية في عملنا . فالمعركة معركة حاسمة ، وهي معركة الوطن ومستقبله وحريته ومصيره ، وتحتاج الى كل التضحيات .

٢ ـ ضرورة تجاوز المفاهيم الديمقراطية التقليدية في عملنا ،

لان المعركة معركة وجود ، وهي معركة تستخدم فيها القوى المعادية كل القوى السياسية والعسكرية التي تملكها · ونحن بحاجة الى تجنيد كل امكانيات شعبنا · ولهذا فالعمل القتالي وتكوين المنظمات المقاتلة من المهمات الاساسية لعملنا السياسي ·

٣ ـ ضرورة أن تتجاوز المجموعات اليسارية الصغيرة عقـــد العجز والطفولة والتطهر ، لانها مطالبة بأن تعمل ، وان تقوم بدورها غير هيابة ولا مترددة · وهي مطالبة ان تخوض غمار العمل الثوري مع الجماهير ، وان تكون مجموعاتها المقاتلة ، وان تنخرط في جبهـة القوى الثورية والديمقراطية والوطنية بكل ثقة بالنفس ·

٤ ـ ضرورة تجاوز الشعور بأن القوى الثورية غير قادرة على توفير الامكانيات ، ودحض الافكار القاصرة ، التي تنظر للقرار مـن العمل باستحالة وجود الامكانيات · وهذا يتطلب التركيز على ان الاساس في العمل هو وجود ارادة العمل ، والخط السياسي الصحيح والتنظيم القادر · وأذا ما توافر ذلك كله لن نعجز عن توفيـــر الامكانيات ·

٥ ـ ضرورة تجاوز حالة التشرذم والتكتل القائمة ، لان الثورة بحاجة الى جبهة كل القوى الثورية والديمقراطية والوطنية ، ولان التشرذم حالة من العجز والقصور والانكفاء · والتخلص من هـــذه الحالة ضرورة ملحة ، لا يمكننا بدونها من حشد قوى الثورة ·

٦ ـ ضرورة القضاء على النظرة النفعية الرخيصة ، الفردية او الحزبية ، في العمل الوطني، لانها تخضع العمل الوطني لتبادل المنافع، وتقود الى التناحر المصلحي الذاتي · وهي بذلك تفسد قطاعات مـن العاملين في الحقل الوطني ، وتخضع المصلحة الوطنية كلها للمصالح الذاتية · ان هذه النظرة النفعية الانتهازية مستشرية في لبنان ، ولا بد من القضاء عليها ، ومع انتشارها في الاوساط الثورية ·

المعركة طويلة المـدى

ولقد اثبتت الاحداث ايضا ان المعركة طويلة المدى ، لا لاننا نريدها كذلك ، بل لان صراعنا مع عدونا يحتاج الى المدى الطويل ٠ ونحن الذين نحتاج الى المدى الطويل لا عدونا ٠ ونحن نحتاجه ، لاننا نستطـيع به : أ ـ ان نبني قوانا ، ولا يمكن ان نبنيها في وقت قصير٠ ب ـ ان ننظم جماهيرنا وان نحشدها ٠ جـ ـ ان نفكك صفوف اعدائنا، وان نعمق تناقضاتهم ، ونستنزفهم ٠

ولذلك يجب ان نثبت قدرة على الصمود تفوق قدرته ، وصلابة في الملمات تفوق صلابته ٠ ويجب ان نعلم جماهيرنا كيف تتحـمل وتصمد ، وتعاني وتصبر ، وكيف تحتفظ دائما بأملها خلال اشد لحظات الكربة عسرا ، وكيف تكون واثقة من النصر في اشد اللحظـات حراجة ٠

ان العملاء والانهزاميين يستغلون دائما حراجة الاوضاع ليبثوا سمومهم ، وليطالبوا الجماهير بالاستسلام لاعدائها ٠ وهم بذلك كمن يداوي الجرح بالقتل ٠ ان علاج الآلام التي تعانيها الجماهير والنكبات التي تحل بها خلال مسيرة الثورة ، لا يكون الا بالامـل والصـبر والتصميم على الانتصار ٠ وسيغسل النصر الام كل اللحظات الصعبة٠ اما الاستسلام فيعمق الجرح ويزيد الآلام ، لانه لا يزيل الاضطهاد بل يزيده ، ولا يُلئِم الجرح ، بل يغطيه بضماد مسموم ٠

ولقد تحملت جماهيرنا الفلسطينية واللبنانية ، وجماهيرنـا العربية عموما الاما كثيرة: وقعت فريسة الاستغلال والاضطهاد والجوع والعطش ، وتعرضت كراماتها للاسـاءات وحرماتها للاسـاءات وللانتهاكات ، وذاقت مرارة الحصار والقهر ، وعانت آلام الانتظـار الطويل وخيبات الامل ٠ وكثيرا ما خدعها الذين ائتمنتهم ، وضربهـا

الذين رفعتهم • ولكنها مع ذلك ما زالت متحمسة ومندفعة على الرغم من كل الآلام وخيبات الامل • وما زالت تقاتل ببسالة تل الزعتر • ان هذه الجماهير جديرة بتحقيق النصر مهما كانت النكسات لانها تكسات عابرة • وهذه الجماهير بحاجة ماسة دائما الى الخط الهادي ، والتنظيم القائد والجبهة الموحدة ، لكي تزداد ثقة بالنفس ، وثقة بالنصر ، وأملا بالمستقبل ، وهذا ما يجب ان نعمل له ، حتى في اشد لحظات الانهماك بالاعمال اليومية والمعارك المتعددة الاشكال •

مخاطر الخط الاستسلامي القذع :

ويجب مع ذلك ان تبقى عيوننا مفتوحة على الاستسلاميين والتصفويين الذين يدعون الى الاستسلام باسم الثورة ، والذين يعملون للتصفية تحت رداء احمر • ان هؤلاء :

١ ـ يضللون قوى الثورة دائما ، اذ انهم يعلقون آمال الجماهير على قوى معادية ، ويؤملون الجماهير بقوى لا يجوز ان يعلق امل عليها •

٢ ـ يضخمون دور القوى المتذبذبة والانتهازية ، ويطلبون من الجماهير تقليدها مقاليد الزعامة والقيادة •

٣ ـ يقللون من مخاطر السياسات الانتهازية والمتذبذبة ، ويركزون دائما على ايجابياتها ، ويقللون من سلبياتها •

٤ ـ يغيرون مواقفهم الظاهرة دائما ، ولكن مواقفهم الحقيقية تبقى واحدة ، وذلك من اجل التغطية على مواقفهم الاستسلامية والتصفوية •

٥ ـ يشددون كثيرا على قضايا نظرية وثانوية لتغطية مواقف استسلامية عمليا ، كالتشديد مثلا على الصراع الايديولوجي داخل

الحركة الشيوعية العالمية لتغطية المواقف الاستسلامية على الصعيد العربي ·

٦ – يبرزون دورهم على حساب القوى الثورية والديمقراطية والوطنية ، ويطرحون انفسهم بديلا لكل قوى الثورة ، في الوقت الذي يكون جهدهم فيه ضئيلا ، وقوتهم صغيرة جدا ·

ان هذا الخط الاستسلامي التصفوي المقنع بأكثر المواقف البروليتارية تشددا ، لا يقل خطرا عن مواقف الماركسيين الذين ألهوا الناصرية ، وطالبونا بان نقبل مشروع روجرز علنا بحجج مختلفة· وهذا الخط يحاول ضرب الثورة من داخلها ، ويفند اطروحاتها باطروحات « ثورية » ، ويشق القوى اعتمادا على كلمات رنانة وجمل طنانة ·

ونحن نشهد اليوم ظواهر متعددة لهذا الخط ، وتجمعات متعددة تنطق باسمه · ويلتقي في هذه التجمعات اليائسون والمعقدون والثرثارون والثوريون اللفظيون والمناضلون المغرر بهم · وهؤلاء يفرقون الصفوف دائما ، ويدعون الى الوحدة ، ويطرحون افكار التصفية والاستسلام ، بينما يظهرون انهم شديدو التمسك بالثورة · وهم سفسطائيون من الناحية النظرية ، انتهازيون من الناحية العملية· وهم حين يشككون بكل قوى الثورة القائمة ، ويعملون لتكريس قادة وزعماء ساقطين او عملاء او رجعيين يدفعون باتجاه اليأس والسقوط·

حاجاتنا الملحة ···

ونحن اشد ما نكون حاجة اليوم الى تكريس خط نظري صحيح وعملي صحيح · واذا كان الفهم النظري ضروريا والقدرة على التحليل النظري لا غنى عنها ، فان تحديد المبادىء السياسية العامة والبرامج العملية لا يقل ضرورة واهمية عن الناحية النظرية · ذلك

ان الوعي النظري لا يكتمل الا حين يصبح قادرا على تحليل الظروف الموضوعية والذاتية واتخاذ المواقف الصحيحة ·

واذا كان من الضروري ان يستمر النقاش والحوار في طول الوطن العربي وعرضه حول قضايا الثورة النظرية والعملية ، فانه من الضروري ايضا أن نبادر الى العمل لوضع هذا النقاش والحوار ضمن اطار خط عام للثورة العربية نظريا وعمليا ·

وهذا يتطلب أن تبادر كل القوى الثورية والديمقراطية والوطنية الى ما يلي :

١ ـ الاتفاق على اطار جبهوي يجمعها وينسق حواراتها وخطواتها ، وينظمها ·

ب ـ الاتفاق على برنامج سياسي وبرنامج عمل يخرج حواراتها عن اطار العمل النظري المدرسي ، ويضع خطواتها ضمن اطار العمل لانجاز مهمات الثورة العربية الديمقراطية الشعبية ·

وذلك ضروري وملح ، لا لتوفير الاجواء لحماية قوى الثورة في لبنان فحسب ، بل لحماية قوى الثورة العربية كلها ، وتمكينها من انجاز مهماتها القومية الديمقراطية الشعبية · -

ان المعركة في لبنان ، بحاجة الى كل قوى الثورة العربية ، وعلى هذه القوى ان تستنفر كل امكانياتها وتوحد كل جهودها · ولتتحول المعركة في لبنان الى معركة بين قوى الثورة العربية وقوى الثورة المضادة في الوطن العربي ، ولتتفجر المعركة على الارض العربية كلها، قبل ان يفوت الفوت وننتظر مرحلة جديدة· وعلى كل القوى الطليعية والثورية ان تثبت جدارتها لان الانتهازيين والادعياء يتساقطون · واذا رضي احد منا لنفسه ان يشهد سقوط المرحلة ، دون ان يبذل اقصى جهده حتى لا تسقط الثورة ، فانه سيسقط مع من يسقطون ·

نحن بحاجة الى وقفة متأنية

(دراسة كتبت بعد اتفاقيتي الرياض والقاهرة ولم تجد مكانا للنشر) ٠

ـ ١ ـ

نحن الان بحاجة الى وقفة متانية ٠ لا لان الصراع في لبنان انتهى ، فالصراع لم ينته بعد ٠ وهو ابعد من ان ينتهي ، واؤكد فوق ذلك انه سوف يستمر وان كان ذلك سيتم باشكال اخرى ٠

ولكن هناك مجموعة من العوامل التي تغيرت والتي تستحق كل انتباه ، لانها غيرت مجرى الصراع كله وهذه العوامل هي :

اولا : ان مصر وسورية اتفقتا من جديد ، وقد قاد اتفاقهما الى سكوت سورية عن اتفاقية سيناء ، واطلاق يد النظام السوري في لبنان ، ضمن شروط الاتفاق الذي رعته المملكة العربية السعودية والكويت ٠

ثانيا : ان قوى التسوية العربية الاساسية قد وحدت قواها مؤقتا ، وانها مصممة على اخضاع المقاومة الفلسطينية اخضاعا تاما لمخططاتها ٠

ثالثا : ان الرجعية اللبنانية العميلة ، العاملة مع المخابرات الاميركية والانظمة الرجعية العربية والعامل قسم منها مع دولة الاحتلال الصهيوني مباشرة ، قد سلمت مؤقتا بوجود قوة الردع العربية وبدورها ، وتخلت مؤقتا عن دورها المستقل والمتفرد ٠

رابعا : أن قيادات المقاومة الفلسطينية وضعت نفسها ، بعد قتال دام سنة ونصف السنة ، ضمن اطار قرارات القمة العربية بلا تحفظ · ولقد وجدت قوى الرفض نفسها عاجزة عن عمل شيء ، كما لم يكن يتوقع احد ·

وبذلك كله يكون مؤتمرا الرياض والقاهرة قد فرضا مجموعة من الحقائق ، وعلى رأسها انتقال السلطة في لبنان الى سورية انتقالا كاملا ، واخضاع المقاومة الفلسطينية لسيطرة النظام السوري ·

وهذا يعني :

ان لبنان اليوم ليس لبنان الامس · فلبنان الامس بواقعه وتناقضاته كان يتسع للمقاومة، وكان اعجز من ان يصفيها او يخضعها، وعندما حاول ذلك بعض العملاء والرجعيين فيه تمزق جيشه ، وانهارت دولته ·

وكانت اتفاقية القاهرة في واقع كالواقع اللبناني اكثر من كافية· وذلك ان تفكك الدولة وضعف الجيش والتأييد الواسع الذي كانت تقدمه جماهير الشعب كان كافيا لبقاء المقاومة وتطورها · اما لبنان اليوم فلبنان آخر · انه لبنان الخاضع للسيطرة السورية وهذه السيطرة تدعمها سورية بكل قوتها السياسية والعسكرية وبكل امكانياتها العربية والدولية · كما تؤيدها في هذه المرحلة مصر والمملكة العربية السعودية والكويت ، ومعظم الدول العربية · ولا تلقى الان ، وحتى انهاء المهمة المطلوبة ، معارضة من الاحتلال الصهيوني والامبريالية الامريكية بل تحظى بموافقتهما وتاييدهما ·

ومهما قيل في هذه السيطرة انها مؤقتة ومحددة بستة اشهر الخ· فذلك الان لا معنى له ·

والنظام السوري الذي يسيطر الان على لبنان مكلف بمهمة امنية · وهذه المهمة الامنية ذات طبيعة سياسية وهي تعني اولا وقبل كل شيء :

1 ـ اخضاع المقاومة الفلسطينية اخضاعا تاما ٠

ب ـ اخضاع لبنان اخضاعا تاما ، وتحويله الى جزء من « الوطن العربي الرجعي » ٠

وفي لبنان الجديد لا مكان لاتفاقية القاهرة ، ولا لمقاومة مستقلة ٠

لا مكان لاتفاقية القاهرة ، لان السلطة التي وافقت على اتفاقية القاهرة انتهت ٠٠ ولان السلطة القادمة سلطة جديدة ٠ لها حدود مع دولة الاحتلال ، ولها مصالح وارتباطات واهداف ٠

ولقد علمتنا بتجربتنا معها في السنوات الماضية ، ومنذ سقوط حكم نور الدين الاتاسي خصوصا ، انها تنفذ ما تشاء بحق المقاومة ، ولا تعترف باتفاقات شفوية او مكتوبة ، سرية او علنية ٠ لذلك حاصرت قواعد المقاومة ومواقعها ومكاتبها في الجولان وكل مكان ٠ وفرضت على المقاتلين الا يدخلوا الارض المحتلة من حدودها ٠ واستولت على الاسلحة بحجة انها وضعتها تحت رقابتها ، وضيقت على المناضلين ٠ وكانت تعتقل من تشاء وقت تشاء ، وتغلق ما تشاء من المكاتب بلا سابق انذار ٠

وان ننسى فلن انسى اغلاق اذاعة درعا ، ولا سجن الحاج حسن، ولا منع الفلسطينيين في سورية من ان يحملوا السلاح الخ ٠٠٠ ولا وضع مخازن الاسلحة والتموين تحت سيطرة المخابرات ، ولا زرع شبكات المخربين في اوساط فتح ، وتفجير مؤامراتهم ٠

ومن المؤكد ان هذه السلطة لن تسمح للمقاومة في لبنان ان تفعل

ما لا تفعله في سورية ، وان تطبق عليها في لبنان اتفاقية لا تقر بمثلها في سورية .

وهذا يعني ان الحديث عن اتفاقية القاهرة الان ليس الا ذرا للرماد في العيون لان السلطة القادمة لا تعترف بها اساسا ولا تطبقها في « بلادها » ولان السلطة الجديدة اقوى من السلطة المنهارة ، واقدر منها على تحقيق ما لم تستطعه دولة فرنجية واسكندر غانم .

ولهذه الاسباب عينها كلفتها الرجعية العربية بهذه المهمة ، ووافق على ذلك غلاة جبهة الكفور وغلاة المدافعين عن استقلال لبنان من زعماء دولة الاحتلال الصهيوني ، وحلفائهم في الولايات المتحدة الاميركية .

ولا مكان لمقاومة مستقلة ، لان مجال الحركة الذي كانت المقاومة تتحرك فيه قد دخلته القوات السورية ، واعطيت حق الحكم فيه . والسلطات السورية ستعمل على لجم حركة المقاومة لثلاثة اسباب :

اولهما : كون السلطة السورية ملتزمة ذاتيا باخضاع المقاومة لالتزامها ببرنامج الرجعية العربية ولتخوفها من وجود قوى تنمو على حدودها في الوقت الذي تخضع فيه سورية لاشد انواع القمع .

وثانيهما : لان وجود المقاومة واستمرارها يخرج القضية الفلسطينية من ايدي الانظمة العربية عموما ، والنظام السوري منها ، ويجعلها قضية الجماهير العربية .

وثالثهما : لان استمرار المقاومة والمحافظة على برنامج التحرير يحبط خطط الانظمة العربية للتسوية السياسية .

وهذا يحبط مخططات النظام السوري خصوصا ٠

ولذلك كلفت انظمة المتسوية العربية النظام السوري بالغـــاء الدور الوطني المستقل للمقاومة الفلسطينية بفرض سيطرة كاملـة على لبنان واخضاع المقاومة الفلسطينية ٠ وهذا يعني ان استقلالية المقاومة ستضيق وتضيق خلال الاشهر القادمة ، وان حرية حركتها تدفع باتجاه خرم ابرة دمشق ٠٠ ومن ثم غربال القاهرة والرياض ٠ الم نقل ان وضعا جديدا طرا علينا وان علينا ان نقف وقفة متانية ٠

بيروت ١٤/١٢/١٩٧٦

لماذا حدث ما حدث ؟

- ٢ -

لماذا حدث ذلك ؟

لقد حدث لاسباب عدة أهمها :

اولا : ان الوضع في لبنان ، كان من وجهة نظر الرجعية الداخلية يتدهور ، وكان ذلك يتجسد في مجموعة من الحقائق : ومن هـذه الحقائق :

أ ـ ان الرجعية الحاكمة اصبحت مرتبكة أمام مد الحركة الشعبية النامية • وعلى الرغم من كل ما في الحركة الشعبية اللبنانية مـن نقائص وعاهات ، فانها كانت تنمو وتتطور • وكانت الرجعية الحاكمة عاجزة عن الاستجابة لمتطلبات التطور ومنقسمة على نفسها ، وعاجزة عن قمع الحركة الشعبية • ولقد اتخذ الانقسام اشكالا عدة فمن جهة كان هناك الانقسام بين الزعامات المارونية والزعامات السنية • وكانت الزعامات السنية تحاول ان تأخذ حصتها من « غنائم لبنان » وكانت الزعامات المارونية تحاول ان تظل مستأثرة بغنائم لبنان كلها ، وعلى رأسها السلطة •

ومن الجهة الثانية كانت الوجاهات الشيعية الممثلـة لقطاعـات متنامية ضمن البرجوازية والبرجوازية الصغيرة تبحث عن مكانهـا ايضـا •

وكانت هذه التناقضات الثانوية تضعف النظام كله وتشـــله وخصوصا بعد حوادث نيسان وايار سنة ١٩٧٣ ٠

ب ـ ان الحركة الشعبية كانت تبحث عن مكانها في السلطـــة وتطالب بذلك رئيس الدولة الحاكم الاوحد ٠ وذلك يعبر عن تحجـر الفئة الحاكمة ورفضها الاصلاح ، وتمسكها بامتيازاتها ٠

كما ان الدولة كانت في ظل الظروف الجديدة وعلى رأسها وجود المقاومة الفلسطينية ، عاجزة عن سحق الحركة الشعبية ٠ واصبـــح الوضع بذلك اكثر تعقيدا مما تحتمل الرجعية الداخلية ٠

ج ـ ان المقاومة الفلسطينية التي كانت تلقى علـى الصعيـد السياسي العالمي ، مزيدا من القبول والتأييد كانت تزداد في لبنان قوة ومنعة من حيث التدريب والتسليح ومن حيث التأييد الجماهيري ٠

وكان هذا يزعزع مواقع السلطة ، ويزيد من خوف القوى الرجعية المحلية العميلة التي لا تستطيع حل الاشكال المتفاقم ٠

ثانيا : ان الوضع في لبنان كان يتدهور ايضا من وجهة نظر الرجعية العربية ٠ فهناك قوى شعبية تنمو ، تنشر ما تشاء ، وتهاجم كل الانظمة العربية الرجعية وتطرح افكارا ومقولات «ثورية»٠ وهناك صحافة تشترى وتباع ، ولكنها تظل مزعجة لعالم الطغيان في الوطن العربي بشكل او بآخر ٠

وهناك المقاومة الفلسطينية التي حاولت الرجعية العربيـــة ان تخضعها في الاردن ، فانتشرت وطالت في جبال لبنان وغاباته ومدنه٠ وحاولوا ان يخنقوها بحرب تشرين فقويت سياسيا وقويت عسكريا ،

واصبحت اكبر من ان تستوعبها التسوية المطروحة او ان يقبلها منطق التسوية ، او « تهضمها » منطقة التسوية · ولذلك بات استنزافهـا واخضاعها ضروريا ·

ثالثا : ان الوضع في سورية بات لا يحتمل وجود قوة علـى حدوده تنشر رياح الثورة · الجماهير تحمل السلاح ، والمخيمـات تتحول الى قواعد مقاتلة ، والافكار الثورية تنتشر وتعم ، ومجرى الرياح يتجه الى سورية · وهذا النظام في سورية يحس بعجزه امـام دولة الاحتلال الصهيوني ، وبضعفه بسبب استمرار احتلال الجولان ·

ثم ان النظام في سورية بات مشاركا في لعبة التسوية · ولعبة التسوية تقتضي ان « تصغر » المقاومة الى الدرجة التي يريدها المخطط والمخططون ·

ولذلك تحركت الرجعية المحلية ، واخذت تطالب بتدخل غربي لانقاذ لبنان · وانما التدخل لم يتم · واخذ الصراع يتطور وظهرت المبادرة السوريـة ·

وكان النظام السوري يعقد الاتفاق ويفشله ، ويثير بواسطـة الصاعقة وغيرها من العملاء والانصار موجة نهب وسلب وقتـل بـلا حدود · والهدف طبعا تبرير التدخل السوري وخلق المبررات لسيطرة النظام السوري على لبنان · ولهذا جرى العمل على تعميق الصراع وتوسيعه ، وتفتيت اجهزة الدولة ، واثارة الخراب في كل مكان ، وافشال اي اتفاق لان الهدف كان احباط كل الحلول ما عدا الحـل المطلوب وهو سيطرة القوات السورية على لبنان ··

لماذا ايضا ؟

لانها وحدها القادرة على « ضغط » المقاومة واخضاعها ، وكذلك الامر بالنسبة للقوى الوطنية والصحافة والحريات الديمقراطية. ولانها يجب ان تعطى هذا لخلق توازنات داخل لعبة التسوية تضعف الدور المصري . ولذلك كله حدث ما حدث ، ووقفت الحركة الشعبية عاجزة عن عمل شيء يوقف التدهور . لانها لم تكن مهياة . كان بناؤها ديمقراطيا ، وكانت تناضل من اجل اصلاحات ديمقراطية ، ففرض عليها العدو حمل السلاح في وقت هي غير معدة له . وحملت السلاح، ولكنها لم تكن معدة لدخول المعركة . وهنا تجاوزت المعركة حدود الاصلاح الديمقراطي الى الحرب الاهلية . وكان الطرف الرجعي الاكثر استعدادا من الناحية العسكرية و الاكثر قدرة على استقطاب تعاطف الدول العربية الرجعية .

اما الطرف الوطني والتقدمي فقد اعتبر المعركة محسومة عند دخول القوات السورية . وذلك نتيجة ما يلي :

أ ـ عدم وجود القدرة والاستعداد عند الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية لاستئناف المعركة العسكرية ، وخاصة بعد بدء الهجمات الرجعية العسكرية الشرسة (الشمال ـ شكا ـ الكورة ـ تل الزعتر ـ النبعة) .

ب ـ وجود فئات اسلامية وتقليدية كانت تعتبر معركتها مع الكتائب والاحرار وقوى جبهة الكفور باعتبارها جبهة مارونية . ولم تكن هذه القوى مستعدة لقتال القوات السورية ولا معباة ضدها .

ج ـ محاولة المقاومة المستمرة لردم الهوة بينها وبين النظام

السوري واستعدادها لتقديم تنازلات ، كانت الحركة الوطنية تعتبرها ماسة بها ٠

اما على صعيد المقاومة ، فقد كانت المقاومة كلها تحاول تجنّب الاشتباك مع السوريين ٠ وكان لذلك اسباب واهم هذه الاسباب :

أ ـ اهمية سورية من حيث موقعها بالنسبة لاستمرار المقاومة وخطورة الاشتباك مع النظام السوري على مستقبل المقاومة ٠ ذلك ان سورية دولة كبيرة لها رصيدها العربي والدولي ، ولها قوتها في لبنان وتاثيرها الكبير عليه ٠

ب ـ عدم وجود تعبئة معادية للنظام السوري ، وعدم وجود قناعة لدى معظم القيادات بامكانية اتجاه سورية لتنظيم حملات عسكرية مضادة للمقاومة ٠

ج ـ وجود قيادات في منظمة التحرير وخارج اطار اللجنة التنفيذية ترتب امورها على اساس العمل ضمن اطار السياسة الرسمية العربية (سورية ـ مصر) ٠

د ـ محاولة قيادة فتح دائما ان تتجنب الصراعات مع الانظمة العربية تجنبا للاستنزاف ، وفي سبيل بقاء العلاقات مع الانظمة واستمرارها ٠

هـ ـ عدم استعداد قيادات جبهة الرفض لخوض المعركة مع النظام السوري لمعرفتها بفداحة نتائجها ٠

ولقد قاد هذا كله الى ان تدخل قوات الردع العربية التي طالب

بها بيار الجميل مرارا وتكرارا ... بيروت والمدن والقرى دون ان تطلق عليها طلقة واحدة . وكانت هذه نهاية صفحة وبداية صفحة جديدة .

اين باتت المقاومة الفلسطينية ؟

- ٣ -

واين باتت المقاومة ، بعد هذا كله ؟

لقد باتت في الحقيقة على المفترق الحرج والخطر · ذلك ان الواقع الرسمي العربي قرر ان يغلق عليها ابواب الصراع الرسمية · ولقد اغلقت ابواب مصر ، فعليا ، منذ مشروع روجرز واغلقت سورية تدريجيا ، منذ تسلم الرئيس الاسد السلطة · واليوم تغلق ابواب لبنان بقوات الردع العربية ·

ان هذا يعني :

١ ـ ان خط السياسة الرسمية العربية هو الذي سيحكم الحدود من الناقورة الى العقبة ·

٢ ـ ان المقاومة الفلسطينية قد اخضعت وفي كل البلاد العربية المحيطة بدولة الاحتلال لقوى قادرة ولظروف مقيدة ·

٣ ـ ان حرية المقاومة في التحرك العسكري قد اصبحت ضمن اطار قدرتها على التحرك السياسي ، او قدرتها على الاستفادة من حاجة الانظمة المحيطة بدولة الاحتلال الى ضغط من هذا القبيل على العدو ·

٤ ـ ان حرية المقاومة في التحرك السياسي حتى من اجل

التسوية خاضع الى حد كبير للواقع الرسمي العربي ٠

٥ ـ ان طموح المقاومة لتنمية قواها سياسيا وعسكريا محدود بالحدود التي تفرضها الانظمة ٠

٦ ـ ان تفاعل المقاومة مع الجماهير العربية ومساعيها لتعبئة قوى شعبية وتدريبها وتسليحها اصبح محكوما بتنفيذ اتفاقية القاهرة قانونيا ، وبقوى رادعة عمليا ٠

وهذا كله يقود الى اضعاف دور المقاومة سياسيا وعسكريا والحاقها بالسياسة العربية الرسمية ، والمطلوب من هذا كله ان تتحول المقاومة الى منظمة تابعة ، وان تفقد قدرتها على ما يلي :

اولا : ممارسة سياسة مستقلة ولو نسبيا تقود الى تعبئة جماهيرية وطنية ، والى عمليات عسكرية على الحدود او في الداخل لان هذه السياسة المستقلة تحرج الانظمة امام جماهيرها ، وتكشف تخاذل بعضها وتواطؤ بعضها الاخر كما انها تعرقل مساعي التسوية والسلام٠

ثانيا : القيام باية نشاطات معارضة للسياسة العربية الرسمية ٠ فلقد عارضت المقاومة مشروع روجرز وتحدّت عبد الناصر ، وعارضت اتفاقية سيناء ٠ كما انها رفضت قرار ٢٤٢ وكل القرارات السابقة الخاصة بتسوية القضية الفلسطينية وكان هذا الرفض المستمر يزعج الانظمة حينا ويهزها حينا اخر ٠

ثالثا : خوض المعارك للدفاع عن خطها واستقلاليتها ٠ ولقد خاضت معارك الاردن ولبنان ٠ وفرضت على الوطن العربي ان يعيش

سنوات من الصراع · لم يكن يعيشها لولا وجود المقاومة والاسلحة بايدي الجماهير ·

ولقد ارعبت هذه المعارك كل الانظمة من الكويت الى المغرب ، لانها اشعرت الحاكمين جميعا ان هناك قوى تنمو وتصارع · وانها تصارع بقوة وعزيمة · وان الجماهير تقف معها عندما تدخل الصراع·

ولذلك التقت القيادات العربية ، في مؤتمري الرياض والقاهرة ووضعت الاطار الذي تصلب المقاومة داخله حتى لا تكون قادرة على ممارسة دورها الوطني المستقل ·

وكانت هذه القضية قد طرحت سنة ١٩٦٩ بعد الصدام الذي حدث في لبنان · وكان من نتيجة ذلك اتفاقية القاهرة وسعي الامر حين (!!) تنظيم العلاقة · وطرح الامر مجددا في مؤتمر القمة بطرابلس (حزيران ١٩٧٠) وارسلت لجنة الى عمان لتنظيم العلاقة مع النظام الاردني ولكنها لم تستطع ، في الحقيقة ان تفعل ذلك · وما لبث الصدام ان وقع في ايلول فجاءت اتفاقية-قاهرة اخرى · وكانت نتيجتها كما يعلم الجميع · واليوم يقرر مؤتمر القمة اتفاقية جديدة في القاهرة ، وتعطى المقاومة كل الضمانات اللازمة · ولكن قوات الردع تجيء · والقوات بالاساس سورية ، ولكنها محمية بقرار عربي ، وبمشاركة فعلية عربية · الا يذكر ذلك باللجنة العربية بعمان التي جاءت بعد ايلول ؟ والتي جاءت لتنفيذ اتفاقية القاهرة · بلى انها لتذكر بذلك · والهدف الان ليس بعيدا عن الهدف آنذاك · وان لم يكن من الضروري ان تكون النتائج واحدة ·

وتعود المقاومة الى الوضع الحرج الخطر، وفي ظل هذه الظروف يراد لها ان تكون كما كانت عند الانطلاقة · فالمقاومة مطاردة في

الاردن وفي سورية وغير مسموح بها في ج٠م٠ع٠ وها هي اليوم تخضع في لبنان للنظام السوري المسنود بقرارات الجامعة العربية ٠ والمقاومة مطالبة رسميا ان تتحول الى « هيئة رسمية عربية » تابعة لهذا النظام او ذاك ٠ ومطالبة اكثر من ذلك بالتحول الى غطاء اعلامي لسياسة الانظمة ٠ ولم تتورع جريدة البعث اليوم من ان تطالب بإقصاء المنظمات الفدائية عن المجلس الوطني الفلسطيني ليتاح للشعب الفلسطيني اختيار طريق خلاصه ٠ وسيان كانت جريدة البعث جادة في عملية الابعاد هذه او غير جادة فان ما تعنيه واضح ٠ انها تريد منظمة التحرير الفلسطينية الملتزمة بالمخطط السوري ، والبعيدة عن افكار التحرير والقتال والجماهير ، المستسلمة للمخططات الرسمية ٠

وكان احمد الحاج قائد قوات الردع العربية قد اعلن رأيا مماثلا في اجتماعات شتورا الثلاثية (النظام السوري ، والمقاومة ، وسركيس) حين قال : انتهت المبررات لوجود العمل الفدائي ، وبالتالي لوجود اتفاقية القاهرة ٠ والحاج ليس بعيدا عن دمشق ٠

ولذلك فان ما يجري اليوم ليس منفصلا عما جرى في الاردن سنة ١٩٧٠ ـ ٧١ وليس بعيداً عن المساعي المبذولة لتسوية ازمة ما يسمى بالشرق الاوسط ٠ ولا بعيدا عما يدور في قصور الشرق الاوسط من مساع جدية للسيطرة على الاوضاع العربية وقمع حركة الجماهير٠

فهل ستغلق ابواب لبنان ، كما جرى في الاردن وسورية ؟ هذا ما يبدو العمل من اجله واضحا ٠ هجمات على المخيمات ومواقع المقاومة ، ودفع باتجاه الجنوب ، ثم اقفال لمنافذ الجنوب كلها ٠٠٠ بالسيطرة على طرق التموين والامداد، وبالتهديد الصهيوني وباستثارة

المواطنين وتسليح القوى المعادية الخ ...

ان علينا ان ننتبه جيدا لهذا الوضع الحرج الخطر،حتى لا يحدث في لبنان ، ما حدث في الاردن ، فتكون نهاية مرحلة كاملة .

واخطر المؤامرات التي نواجهها

ـ ٤ ـ

واخطر ما تواجهه المقاومة من مؤامرات يكمن في العمل الدائب لشق صفوفها · ولقد اتخذ هذا العمل في السنوات الماضية (٦٥ـ٧٥) مظاهر عدة ، وكان ابرز مظهرين برزا هما :

١ ـ تحريض اليمين والمعتدلين على اليسار ·

٢ ـ تحريض ما اسمي « القابلون » على الرافضين ·

وكان يصنف في اليسار كل الوطنيين المعارضين لخـــط التسوية والاستسلام للسياسات العربية الرسمية · ويلتقي لذلك الخط الاول بالثاني ، وان اختلفت قضـــية الخلاف ، وهي في الحالة الثانيـــة اصبحت أكثر خطرا لان موضوع الخلاف اتخذ شكلا اكثر تحديدا واصبح اكثر عملية ·

ولهذا ضخمت قضية اقتراب موعد التسوية بعـــد حرب تشرين ١٩٧٣ ، وضرورة الاختيار بين المقاومة او النظام الاردني فيها· وكان الهدف دفع الفلسطينيين الى الانشقاق قبل ان يكون هنالك تسوية ·

ولقد اجتازت المقاومة هذه المحنة ، بفضل وعي الكثير من ابنائها،

وحرصهم على عـــدم التورط في حرب اهليـــة فلسطينية على قضية وهمية ٠

ولذلك نظمت المؤامرة في لبنان لاضعاف المقاومة ولفرض واقـع جديد عليها لا تستطيع معه ان تبقى حرة او مستقلة ٠

ولقد نجح المخطط الى حد بعيد ٠ واذا كانت الصاعقة لم تستطع ان تلعب الدور الانشقاقي المحدد لها في المخطط ورفض جيش التحرير الفلسطيني ان يلعب هذا الدور ٠ فليس معنى ذلك ان امكانيات شق الصفوف قد انتهت الى الابد ٠

ان هناك ظروفا جديدة ، تسمح ببروز قوى جديدة٠ والمساعي التي بذلت منذ سنة ١٩٧٠ لاضعاف المقاومة والتي نجحت تماما في الاردن (حزيران ١٩٧٠ ـ تموز ١٩٧١) ونجحت الى حد في لبنـان نيسان ١٩٧٥ تشرين ١٩٧٦ ، تساعد على بروز قيادات جديدة ٠

وهذه القيادات هي القيادات «المستقلة» التي سمتها جريدة البعث ممثلي الشعب الفلسطيني ، والتي طالبت ان يبعد ممثلو المنظمـــات الفدائية ليتاح لهم السير بالشعب الفلسطيني على طريق الخـــلاص وجنيف والتسوية ٠

ولماذا هذه القيادات ؟

لانهـــا :

١ ـ لم ترتبط بالكفـــاح المسلح ، ولا بالجماهير ، وليس لـــدى جمهرتها المقصودة انفة المقاتلين ٠

٢ ـ تمثل مصالح سياسية واقتصادية مرتبطة بالانظمة من الكويت الى الاردن (تجار ، موظفون ، كبار السماسرة الخ) ٠

٣ ـ يهمها ان تحسن وضعها السياسي على الصعيد العربي العام، وعلى صعيد كل قطر ، وتخشـــى ان تتضرر اذا ما استمر الكفـــاح الفلسطيني المسلح ٠

وهذه القيادات مطالبة ان تحسم الامر لمصلحة الانظمة وان تعمل على اخضاع ظاهرة الكفاح المسلح ، والدور الذي يخطـــط لها لا يختلف عن دور حزب الدفاع العربي سنة١٩٣٦ ٠ وهو تصفية الثورة٠

ان شعبنا تعلم من تجربة سنة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ كثيرا ٠ ولذلك ظل موحدا منذ سنة ١٩٦٥ وحتى الان ٠ ولم تستطع كل محاولات النظام الاردني العميل ، ولا محاولات دولة الاحتلال الصهيوني شق صفوفه٠

وحين حاول النظام السوري ان يلعب هـــذه اللعبة بالصاعقة ، سقطت ورقته سريعا ٠

ولكن هذا لا يعني ان اللعبة انتهت ، فالانظمة ما زالت تحاول ان تبرز «رجالاتها» على حساب المقاتلين ٠ ولقد ساعدها في ذلك اتجاه بعض قيادات منظمة التحرير على طريق التسوية واتجاههم نحـــو زيادة المستقلين في المجلس الوطني الفلسطيني ٠
وسوف تعمل كل من سورية ومصر والاردن والسعودية ، على زيادة دور هؤلاء «الرجالات» كل دولة على حدة وكل هذه الدول جميعا ٠ وستمدهم بكل الامكانيات ليكونوا عن الثورة والمقاومة بديلا ٠

وسيساعدهم في ذلك :

١ ـ ما واجهته الثورة وجماهيرها من مصـــاعب في السنوات الماضية ٠

٢ ـ زيادة دور الانظمة العربية وفعاليتها بعد حرب تشرين خاصة٠

٣ ـ زيادة قوة الاتجاه نحو التسوية فلسطينيا وعربيا ودوليا ٠

وعلينا ان ننتبه جيدا لهذه العملية لان لعبة شق الصفوف اخطر ما نواجهه ولانه السلاح الوحيد الذي يمكن لهم به ان يستنزفوا قوانا ، كما لم تستنزف ، وان يبعثوا اليأس في صدور جماهيرنا ٠

ان « فرق السلام » الفلسطينية التي أجهزت على ثورة سنة ١٩٣٧، تهيأ في هذه الايـــام ، لانجازه والمطلوب الان « فرق الســـلام » الفلسطينية ، كما لم يكن مطلوبا من قبل ، لان كل مساعي الانظمة في حصارنا واستنزافنا واخضاعنا ، تبدو قاصرة وفاشلة، ان لم يتحرك الاعداء من الداخل ٠

وهما هم يعدون ، بهذا الاسم او ذاك ، « مستقلين » او مرتبطين ، لا فرق لان الهدف واحد ٠

وهل هناك تسوية ؟

ـ ٥ ـ

هناك محاولات جادة ، ومنذ حرب تشرين خاصة ، للتأكيد على ان هناك تسوية ؟ وان هذه التسوية تتضمن قيام دولة فلسطينية في الضفة الغربية وغزة ، بعد انسحاب قوات الاحتلال الصهيوني من سيناء والجولان والضفة الغربية وغزة ٠

ومما لا شك فيه ان الولايات المتحدة الاميركية والانظمة العربية المتعاملة معها هي التي تشجع هذا الاتجاه وتحاول ان تجعل منه تيارا له قوته ومنفذوه ومؤيدوه ٠

وكان الرئيس السادات اول من اخرج المسألة من حيز التكهنات والاحلام الى حيز الواقع ٠ وذلك حين طلب من قيادات في المقاومة ان تقرر ، قبل حرب تشرين بأيام ، لان هناك حربا يعقبها سلام، وان على هذه القيادات ان تقرر من سيمثل الشعب الفلسطيني ٠

ولقد اطلق السادات بطلبه هذا مسيرة البحث عن التسوية على الصعيد الفلسطيني وخلق المبررات العملية لتكوين تيار التسوية الفلسطيني وعلى هامشه تيار التسوية العربي خارج الاطر الرسمية٠

وكان السادات يهدف من ذلك الى :

١ ـ تغطية الخطوات التي سينفذها بصدد الاتجاه نحو مهادنة العدو الصهيوني ومصالحة الامبريالية الاميركية ٠

٢ ـ اطلاق موجة مؤيدة للتسوية فلسطينيا وعربيا ٠

٣ ـ اعطاء الوقائع الملموسة لتكوين تيار فلسطيني مؤمن بالتسوية عامل من اجلها ٠

ولقد نجح السادات فعلا ، فلقد غطى خطواته حتى يوم توقيع اتفاقية سيناء ، واوجد تيارا مؤيدا للتسوية وساعد على خلق تيار فلسطيني مؤمن بالتسوية عامل من اجلها ٠

وساعد السادات فيما اراد عدد من العوامل ٠ وكان من هذه العوامل :

أ ـ الضعضعة التي خلقتها هزيمة الاردن في صفوف حركة المقاومة والتي أدت الى بروز اطروحات منذ (اوائل سنة ١٩٧١) حول ضرورة الحل المرحلي وضرورة الاعتماد على الميزان الدولي الخ ٠٠٠ والى ظهور الاستعداد لقبول تسوية يكون فيها بعض قادة المقاومة طرفا ٠

ب ـ محاولات الدول العربية ، وخاصة مصر وسورية والمملكة العربية السعودية والاردن ، لفرض اتجاه تسوية على المنطقة العربية يسمح بتصفية المقاومة ومضاعفاتها من جهة ، ويعيد ملف القضية الفلسطينية لبد الانظمة من جهة اخرى ويفتح المجال لمصالحة مع الولايات المتحدة الاميركية ٠

ج ـ الضغط الاميركي الذي تمارسه الولايات المتحدة الاميركية لمحاصرة قوى التحرر العربية وسحقها ٠

د ـ الضغط السوفياتي لفرض تسوية للنزاع في «الشرق الاوسط»٠

هـ ـ حالة الوهن والتفكك والقصور التي تسيطر على الحركة الوطنية العربية ٠

ومع ذلك ، فقد كان واضحا منذ البدء ان ما يجري ليس التسوية التي اوهموا المضللين بها ٠ وان ما يجري ليس الا محاولة لاثارة

البلبلة وشق الصفوف وفرض اتجاه تسوية يصارع قوى المقاومة والثورة ·

هذا ما قلناه منذ سمعنا اطروحات السادات · وقلنا في حينه : ان الولايات المتحدة الاميركية وقوى التسوية العربية ، اي القوى المعادية للثورة ، تهدف الى ضرب قوى الثورة واطلاق تيار تسوية عربي ،،وان ما يجري لا يخرج دولة فلسطينية وطنية او رجعية ، بل يقود الى تسويات جزئية · وكان هذا سبب خلافنا وصراعنا مع دعاة التسوية الوطنية او غير الوطنية· ذلك اننا كنا نرى ان الانزلاق في هذا التيار سيقود الى التصفية ·

وهذا ما جرى بالضبط · الدولة الفلسطينية لم « تقم » والاتفاقات الجزئية تم توقيعها ، والثورة الفلسطينية وجدت نفسها محاصرة ومستنزفة في لبنان ، وتحت وصاية « قوات الردع العربية » ·

واليوم يعود الحديث عن التسوية والدولة الفلسطينية وجنيف فما الذي يجري بالضبط ؟

ان ما يجري الان استمرار لما جرى · فالمطلوب لا يعدو ان يكون :

١ ـ تصعيد الخلاف في اوساط الفلسطينيين وتحويله الى صراع بين خط التسوية وخط المقاومة ، وبلورة اتجاه التسوية ورموزها وقياداتها وادواتها · ليتمكن هذا الاتجاه من تصفية قوى الثورة ·

٢ ـ بلورة اتجاه عربي عام يسمح بالسيطرة على المقاومة وضرب قوى الثورة ·

ولكي يتم ذلك لا بد من ان يتم التاكيد على ضرورة عقد مؤتمر جنيف ، في العام القادم ، ولا بد من ان تدفع اطراف فلسطينية الى المبادرة باعلان الموافقة على المخطط العربي الرسمي وابداء الاستعداد لقبول ما يجري بطريقة او باخرى ·

واذا كان هناك قادة فلسطينيون يصرحون في جلساتهم بانهم مع اتفاق سيناء والمبادرة السورية سياسيا وعسكريا ، فان المطلوب يتعدى ذلك الى الاعلان الرسمي عن الاستعداد للمشاركة بالتسوية · فالتنازل عن فكرة تحرير كل الارض ، وتبني الافكار التي اعلنت من قبل على لسان سعيد حمامي ·

وهذا كله يعني انه ليس هناك دولة فلسطينية سنة ١٩٧٧ وان العمل سيجري في العام المقبل لبلورة اتجاه التسوية وتحديد اطرافه بما في ذلك الطرف الفلسطيني ·

وهذا يتضمن امرين : اولهما : زيادة الحصار والضغط على الثورة الفلسطينية والشعب الفلسطيني · وثانيهما : تشجيع اتجاه التسوية القريب من الانظمة على اجراء التغييرات اللازمة داخل منظمة التحرير ·

وهذا يجري الان ·

ولذلك سيزداد الحصار على المقاومة والضغط على الشعب الفلسطيني وسوف تدفع قيادات المرحلة المقبلة الى بدء مبادراتها وصراعاتها ، باسماء مختلفة تكون « الصاعقة » حينا والمستقلين احيانا وربما القوى الثورية في احيان اخرى ·

وهذه هي تسوية المرحلة المقبلة ومرحلة السنتين المقبلتين تحديدا·

ولكن هذا المخطط يصطدم بالعقبات الكبرى التالية :

١ ـ هل سينتصر تيار التسوية فلسطينيا ، هل يستطيع ان يقمع الثورة ويصفيها؟ وهل سينجح «التابعون» و «المستقلون» في الاستئثار بقيادة النضال الفلسطيني ؟ وهل ستنجح قوى التسوية العربية في فرض ارادتها على الجماهير العربية ، ومنها الجماهير الفلسطينية وعلى قوى الثورة الفلسطينية ؟ ان هذه القضية ستكون موضوع

الصراع في السنتين المقبلتين ·

٢ ـ هل ستقدم دولة الاحتلال الصهيوني تنازلاتملموسة يمكن ان تكون مرضية ومشرفة بالنسبة للاسد والسادات وقوى التسوية العربية ؟ وماذا ستطلب دولة الاحتلال الصهيوني في مقابل ذلك ؟

٣ ـ وهل ستستطيع الدول العربية وعلى رأسها مصر وسورية والمملكة العربية السعودية ان تمضي قدما على طريق التسوية وان تنتقل من الجزئي الى الشامل ؟ وهل ستكون قادرة على تمويه « الخيانة الوطنية » التي تقدم عليها ؟

٤ ـ وهل ستضغط الولايات المتحدة الاميركية على دولة الاحتلال لتقديم تنازلات «هامة» للدول العربية ذات العلاقة ؟ ولماذا ؟ وهل ذلك من مصلحتها ؟

٥ ـ وهل ستنتظر التناقضات العربية هذا كله دون ان تنفجر ؟ ما أثر التناقضات الرسمية العربية وسياسة المحاور في مسيرة التسوية؟ وما اثر صراع الجماهير مع الانظمة العربية ؟

٦ ـ وبعد ذلك كله كيف ستحل قضية الصراع بين النظام الاردني ومنظمة التحريرالفلسطينية على تمثيل الفلسطينيين هل سيبقى النظام الاردني ؟ ام سيسقط لتقوم دولة واحدة فلسطينية اردنية ؟

ان هذه كلها عقبات كبرى على الطريق الى انسحاب قوات الاحتلال الصهيوني من الاراضي العربية وقيام الدولة الفلسطينية على اي جزء من الارض العربية · ولكن هذا لا يعني ان سياسة التسوية ستتوقف · انها ستمضي قدما لحل هذه الاشكالات تدريجيا · ولذلك ستحدث صراعات وحروب اخرى ·

وسنجيب على هذه الاسئلة كلها ما استطعنا الى ذلك سبيلا ··

امكانيات الخروج من المأزق

ـ ٦ ـ

وهل هنالك امكانيات للخروج من المازق ؟

نعم هنالك ؟

وهي امكانيات كبيرة ومتنوعة موضوعية وذاتية ٠

وسنحاول ان نقدمها بايجاز ولكننا قبل ان نوضح هذه الامكانيات لا بد من ان نقرر اننا مصممون على العمل من اجل الخروج من المأزق ٠ وهذه مسألة هامة ، لان الذين يعتبرون انفسهم عاجزين «ساقطين» لا يستطيعون الاستمرار٠ والذين يبررون لانفسهم التسوية بحجة ان العقبات كبيرة والمازق كثيرة لا يجوز لهم ان يتكلموا باسم المناضلين وباسم القضية ٠

وبعد ذلك نود ان نؤكد ان المأزق من شقين : موضوعي وذاتي : الاول يتعلق بالظروف المحيطة والثاني يتعلق بنا بقدراتنا ووعينا وتنظيمنا وقوتنا ٠ الاول يتعلق بالمؤامرة التي تستهدفنا والقوى التي تحاصرنا وتقاتلنا والثاني يتعلق بوعينا لابعادها وقدرتنا على مواجهتها ٠

ومما لا شك فيه ان المؤامرة كبيرة لانها تستهدف وجودنا وان القوى التي تعمل لها كبيرة ايضا : الولايات المتحدة الاميركية ، ودولة الاحتلال الصهيوني ، القوى الرجعية العربية القديمة والجديدة

(الاردن والمملكة العربية السعودية ، سورية ومصر مثلا) ولهـذا كله كانت الضربات التي وجهت لنا كبيرة ايضا · ويجب ان نـرى طبيعة المؤامرة وضخامة القوى المشاركة فيها· حتى لا نبخسها حقها، فنقع في ضلال مبين ·

ولكن حجم المؤامرة وضخامة الاعداء لا يجوز ان ينسينا واقعنـا الذاتي عجزنا وقصورنا ، تخلفنا وتشتتنا · لان نسياننا واقعنا الذاتي يجعلنا نرى شيئا من الحقيقة هو الظروف الخارجية فقط· والظروف الخارجية وحدها ليست مكمن الداء والذين يغرقون في تصوير قساوة الظروف الموضوعية ، لا يتطرقون الى عوامل العجز والقصور الذاتية، انما يدفنون رؤوسهم في الرمال ·

ونحن سنحاول هنا ، ونحن نرى الصحراء حولنا والاعداء من كل حدب وصوب ، ان نرفع رؤوسنا لمواجهة الحقيقة ، حتى والردع في كل مكان ·

لا بد لنا ان نبحث القضية بحثا علميا ، حتى لا نهـرب من مازق الى مازق كما جرت العادة وحتى لا نخدع انفسنا وجماهيرنا مؤقتا ، لنكتشف اننا في مازق اشد بعد حين ·

ولو راجعنا مسيرة الثورة الفلسطينية لاكتشفنا انها تحمل معهـا مازقها منذ انطلاقتها · ويتلخص هذا المازق في اننا حاولنا ان نركز دائما على نقطة واحدة ، وان ننسى القضية كلها · ويتجلى ذلك فيما يلي :

١ ـ محاولة التركيز على القضية الفلسطينية وحدها· ولذلك طرح شعار كل البنادق نحـــو العدو الصهيوني ولا تدخـــل في الشؤون الداخلية للدول العربية الخ ·

٢ ـ محاولة التصرف على اساس ان النضـــال لتحرير فلسطين معزول عن حركة الصراع في الوطن العربي ، وان الانظمة والقوى الرجعية لا تتحرك لضربنا ، ولا تجرؤ على ذلك ، اذ اننا نقاتل العدو الصهيوني · وان انس فلن انسى ، ذاك الذي دعانا بعد ايلول الى الاحراش باعتبار الاحراش معقل الخلاص، لاننا هناك نتفرغ لقتال العدو الصهيوني · وحين اقتنع بعض منا بذلك وانتقلنا الى الاحراش حدثت المجزرة المعروفة · والذي يذكرني بذلك ان ذاك الرجل يدعونا اليوم الى « مظاهرة جنوب لبنان » ·

٣ ـ البحث عن نقاط الضعف في الوطن العربي واستخدامها منطلقا لمصارعة الاحتلال الصهيوني · ولعـل الاردن ولبنان احسن مثل على ذلـــك ·

٤ ـ الاهتمام بالجانب السياسي والاعلامي وعدم الاهتمام بالجانب التنظيمي ·

٥ ـ الاهتمام بالجزئي اكثر من الاهتمام بالكلي ·

٦ ـ البحث دائما عن المخرج الاسهل، حتى لو كان يقود الى مازق·

ولقد قاد هذا كله الى رؤية محدودة من جهـــة ، وارتباك عام ، وضعف وقصور ، وظل المازق قائما ؟

ان عدم القدرة على رؤية العلاقة الجدلية والديومية بين القتـــال لتحرير فلسطين والصراع لتحرير الوطن العربي كله ، جعلنا نعتقـد ان هذا الوطن بوضعه القائم بملوكه ورؤسائه ودوله وجامعتـــه وتفككه قادر على ان يساندنا في الصراع ضد العدو الصهيوني وغير قادر على معاداتنا ما دمنا نقاتل « العدو الرئيسي » ودولة الاحتلال الصهيوني ·

وعدم استعدادنا لتحويل الثورة الفلسطينية الى طليعة لحركـــة

الجماهير العربية قاد الى استنفـــار رجعي عام ضدنـا ، وتكالب القوى على محاصرتنا · ومع ان هذا كان واضحا منذ البدء الا اننـا تجاهلنا طويلا وحاولنا ان نقنع انفسنا باستحالة حدوثه ·

وحين ضربنا في الاردن وخرجنا مهزومين بعـــد معارك مشرفة ، لجانا الى لبنان، واخذنا ننمو في ظل وضع عربي ودولي يدفع باتجاه تسوية القضية الفلسطينية·ومع ذلك لم نهتم ابدا بما يحمله لنا«النمو غير الطبيعي في لبنان » ولا النمو في ظل ظروف التصفية العربيـــة والدولية ·

وكنا نعالج الازمات التي تنشأ بمخدرات مؤقتة، ونحاول ان ننسى مرة، وان نهرب مرة، وان نواجه في بعض الاحيان مواجهة محدودة· وكثيرا ما احتلنا على انفسنا وعلى جماهيرنا بالحديث المنمـــق عن انتصاراتنا ، او بالاستخفاف الابله باعدائنا ·

كما اننا ما لم ننتبه ، حين بدانا الصراع، الى مقتضيات الصراع في هذا العصر ، ومقومات الانتصار فيه · وظننا ان اي شـــكل من اشكال العمل ، يقود الى النصر · ولذلك لم تحل المشكلـة التنظيمية حلا صحيحا· وظل العمل التنظيمي خاضعا لظروف العمل الفلسطيني وتناقضاته الداخلية والعربية ·

وهكذا ظل المازق معنا ، نهرب منه تـــارة الى اليمين وطورا الى اليسار ، ثم لا نلبث ان نراوح مكاننا منتظرين هبوب الرياح ·

ولقد ظللنا كذلك منذ الانطلاقة حتى الان واذا كنا قد بدانا والانظمة تحاصرنا فقد عدنا اليوم الى « الردع العربي » ·

هل يعني ذلك اننا لم نفعل شيئا ؟

كلا ·· كلا لقد فعلنا اشياء كبيرة وعظيمة ، ولكنا ما زلنا فـي المازق وعلينا ان نبحث عن طريق الخروج السليم ·

هل تسوى القضية الفلسطينية

ـ ٧ ـ

ان القضية الفلسطينية غير قابلة للتسوية ما دام هناك شعب فلسطيني وما دامت هناك جماهير عربية · ذلك ان الاحتلال سيبقى احتلالا ، ومقاومته ستظل واجبة مهما اختلفت الظروف · وان كان اختلاف الظروف سيقود الى مساعدة المقاومة على التأجيج والاحتدام، او الضعف والتراجع ، او السكوت والتوقف المؤقتين · فمن حيث تصفية القضية لا مجال لتصفيتها ما دام هناك «شعب» يحس بانه فلسطيني ، وجماهير تحس انها عربية ·

فما المشكلة اذن ؟

ان المشكلة تقوم في محاولة القوى المعادية المختلفة ان تفرض حلا مؤقتا ، ينهي الثورة الفلسطينية الحالية ، ويخلق قوى فلسطينية قامعة تتولى امور الفلسطينيين · وتأمل القوى المعادية ان يؤدي ذلك الى بروز عامل جديد هو القوة الفلسطينية الجديدة ، او فرق« السلام الفلسطينية » الجديدة التي تساهم مع القوى العربية والدولية الاخرى في فرض السلام المقبل ·

وكيف يكون ذلك ؟

بتوفير عناصر القمع لهذه القوة ، لتصبح قوة ضاربة وقادرة · ويتم ذلك عندما تتوافر لهذه القوة امكانيات سياسية وعسكرية ، مادية ومعنوية ، تجعلها القوة المهيمنة على الفلسطينيين ·

فهل يمكن ان يتوافر ذلك ؟

الامكانيات متوافرة وهي تتلخص بالتالي :

ما دامت الثورة خـارج ارضها ، وعلى ارض عربية فـان المساعي سوف تتجه ، لا نحو ضرب قوة الثورة فحسب بل نحو بلورة خط سياسي رجعي، معاد سياسيا وايديولوجيا لحركة الثورة والتقدم، ومرتبط عمليا بحركة الانظمة الرجعية المجاورة : مصـر ، الاردن ، سورية ، لبنان ، وفوق ذلك ، المملكة العربية السعودية ٠

ولقد عملت قوى متعددة منذ البدء على ضرب الثورة الفلسطينية ، وعلى خلق القوى البديلة ولكنها لم تفلح لاسباب عديدة ، فهل تفلح الان ؟

١ ـ استطاعت الانظمة والقوى العربية الرجعية القديمة والجديدة ان تطور ادوات قمعهـا خلال السنوات المـاضية ، تطويرا كبيرا (الجيش ، المخابرات ، الامن ، الشرطة) كما استطاعت ان توسـع قاعدة القوى المرتبطة بها (توسيع الجيش واجهزة القمع الاخرى ، توسيع اجهزة الدولة والشركات التابعة لها) وزيادة القوى المستفيدة نسبيا من السلطة ٠ كما استطاعت ان تخوض بعض المعـارك ، وان تخرج منها اكثر قوة لاسباب مختلفة مثل مصر وسورية في معركـة تشرين ، والسعودية والكويت في معركة النفط ٠ وقـد أدى ذلك الى زيادة قوة الانظمة واتساع نفوذها وقدرتها على الحركة داخليـا وخارجيا ٠

والمقاومة تواجه هذه الانظمة الجديدة الان ٠

٢ ـ لم تستطع القوى الوطنية العربية ان تنمو بطريقة موازيـة ونستطيع ان نقول ، فوق ذلك ، انها تخلفت وتراجعت ٠ فبعد ثورة الجزائر واليمن الجنوبية وصراع سورية ومصر ، مع مشاريع املاء الفراغ الاميركية والوحدة بين مصر وسوريـة وثورة اليمن وسقوط

الامام ، هناك اليوم وبعد حرب تشرين ، انظمة تقمع المقاومة ، وقوى تستأسد على القوى الوطنية • والقوى الوطنية العربية تبدو اليوم قد فقدت الاهداف• فهي لا تستطيع نجدة المقاومة، لا نستثني من ذلك الا لبنان،ولا تستطيع مقارعة انظمة القمع ومهادنة الاحتلال والامبريالية الاميركية • وتبدو مع ذلك فاقدة الهدف • ففي الماضي رفعت شعارات ايدتها الجماهير : انهاء الاحتلال في المغرب ، الجزائر ، تونس ، اليمن الجنوبية ، وحتى عربستان والاسكندرون ، محاربة القوى الرجعية العميلة الاردن ، المغرب اليمن ، السعودية ، العراق من نوري السعيد الى عبد الرحمن عارف ، محاربة العدو الصهيوني وتحرير فلسطين وكانت تشفع ذلك كله برفع شعاراتالحرية والاشتراكية والديمقراطية• ولقد خرج الاستعمار من البلدان المذكورة اعلاه ، وسقط بعض العملاء والقوى الرجعية : نظام القوتلي وزمرة التجار ، نظام نوري السعيد • وبعده عبد الكريم قاسم وعبد الرحمن عارف واعـــام اليمن الخ ••• ولكن فلسطين لم تحرر ، فايدت الجماهير العربية وقواهـا الوطنية المقاومة الفلسطينية • ومع ذلـــك لم تطرح القوى الوطنية العربيـــة عموما برنامجا جديـــدا ، يتناول المرحلة الجديـــدة • ولذلك يحكم الرجعيون القدماء (المغرب ، الاردن ، السعودية) والجدد (مصر، سورية) دون معارضة جدية تذكر •

ان عدم نمو القوى الوطنية والتقدمية نموا موازيا وارتفاعها الى مستوى المهمات الجديدة ، جعلها عاجزة امام الواقع الجديد •

٣ ـ وكانت المقاومة عاجزة في مجالين اساسيين عجزا اساسيا اولهما : مجال بناء قواها والعلاقة مع جماهيرها والاستعداد لمقارعة طويلة ضروس، لا مع العدو الصهيوني فحسب، بل مع الانظمة والقوى الرجعية ايضا • ولذلك لم تبن تنظيما صلبا على الصعيدين السياسي والعسكري • وعندما حركت مشاعر متأججة في اوساط واسعة ، لـم تستطع ان تؤطرها وابقت العلاقات شبه عشائرية • ولذلـــك ظلت المطامح اكبر من الفعالية ، والفعالية دون حجـــم الطاقة ونوعها •

وثانيهما : مجال العلاقة مع الجماهير العربية وقواها القومية والثورية والديمقراطية · وفي هذا المجال ايضا استطاعت المقاومة ان تستثير جماهير واسعة ، ولكنها لم تستطع ان تؤطر علاقاتها معها · كما انها لم تستطع ان تنظم العلاقات مع الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية العربية · وكان هذان العاملان : الوعي والتنظيم والعلاقة مع الجماهير الفلسطينية من جهة والعلاقة مع القوى الوطنية والتقدمية والجماهير العربية من جهة اخرى ، عاملي قصور المقاومة وعجزها الاساسيين ، بالرغم من كل انجازاتها الاخرى · وبوجود العجز والقصور في هذين المجالين تصبح المقاومة امام اخطار حقيقية ·

٤ ـ وهناك اوساط في المقاومة تراهن على « الحل السياسي » الان · « والحل السياسي » محصلة صراع القوى في كل مرحلة وميزان القوى الحالي يميل مؤقتا ومؤقتا فقط ، لمصلحة القوى المعادية للثورة: الامبريالية الاميركية والرجعية العربية والاحتلال الصهيوني· ولذلك فميزان القوى الذي يضغط على الاحتلال الصهيوني باتجاه تقديم بعض التنازلات الجزئية والصغيرة ، يضغط باتجاه تصفية الثورة الديمقراطية وحركة الثورة الديمقراطية الشعبية العربية من جهة اخرى · والضغط الجزئي من قوى الرجعية العربية القديمة والجديدة على الاحتلال الصهيوني اضعف واخف كثيرا من ضغطها باتجاه تصفية قوى الثورة الديمقراطية الشعبية العربية · ولهذا فان المراهنة على « الحل السياسي » حاليا مراهنة على التسوية التصفوية بطبيعتها وهذا يضعف موقف المقاومة ، لانه يدفعها على طريق التسليم لقوى معادية ·

ان هذا كله يجعل امكانيات التسوية المؤقتة واردة · ولكن هذه التسوية لا تعني مرحليا تنازلات يقدمها الاحتلال الصهيوني ، ودولة فلسطينية على اي جزء من الارض الفلسطينية ، بل يعني اضعاف المقاومة مؤقتا ، وربما اخضاع اشكالها القائمة والراهنة · ويؤكد ذلك ان هذا وارد مؤقتا ومؤقتا فقط، ولكنه ليس حتميا ولازما، ولسوف نناقش ذلك في الفصول اللاحقة ·

عقبات في طريق التسوية

ـ ٨ ـ

ومع ذلك ، فان امام مثل هذه التسوية عقبات كبار ، اهمها اربع، وهذه العقبات هي :

١ ـ قدرة الشعب الفلسطيني على مواصلة نضاله ، ان الشعب الفلسطيني يختزن طاقات ثورية هائلة · واذا كانت القوى المعادية المتعددة تستهدف استنزاف هذه الطاقات فعلا ، فان لقدرتها حدودا· ويعود ذلك الى الاسباب التالية :

أ ـ ان اية تسوية مؤقتة،لا تقدم تنازلات جدية للشعب الفلسطيني لا يمكن ان تمتص زخم قوته الاساسي · والتسوية الحالية المؤقتة تستهدف ضرب ارادته لا تقديم تنازلات له · فاذا ما تم تقديم تنازلات اساسية كالتراجع عن الضفة الغربية وغزة اصبحت الثورة امام واقع جديد لا بد من مواجهته · ولكن هذا ما زال يبدو بعيدا حتى الان ·

ب ـ ان لدى الشعب الفلسطيني استعدادا للتضحية ليس له حدود · وهذا الاستعداد يجعل الاستنزاف المكلف لا يقود الى الهزيمة لان الاستعداد للتضحية يفوق محاولات الانهاك ، ولانه ليس امام الشعب الفلسطيني ما يخسره غير قيوده وهوانه ·

ج ـ ان الشعب الفلسطيني يختزن طاقات ثورية هائلة فهناك تعبئة السنوات العشر الماضية، بوجهها السلبي الناتج عن الظلم والاضطهاد والقمع من الاردن الى لبنان والايجابي الناتج عن التعبئة الوطنية

والثورية ابتداء من اول القرن الى السنوات العشر الاخيرة · وهناك ايضا اجيال من المثقفين الذين تشربوا علم الشرق والغرب وافكار الحرية من الثورة الفرنسية الى الثورة الاشتراكية وهم كثر يزدادون كل عام ، وقد عرفوا الكثير من اللغـــات ، واختلطوا بالكثير من الشعوب التي انجزت ثوراتها ·

وهؤلاء عـــدد لا ينضب وثروة لا تنتهي · فهذه الاجيـــال من الانتلجنسيا لديها وعي وخبرات تنظيمية وكلما تعبت شريحـة وقفت اخرى اكثر علما ووعيا وخبرة ·

وهذه من الاسباب التي تجعل امكانيات محاصرة الثورة وضربها اضعف الان منها سنة ١٩٣٨ـ١٩٣٩ · ولدى الجماهير الفلسطينيـة ايضا من اسباب التمسك بالثورة الشيء الكثيـــر · فهي لم تحس بالعزة الا ساعة امتلكت السلاح · وهي لم تلمس اهتماما بقضيتها الا والبنادق في ايديها · ثم لديها من ذكريات اضطهاد الانظمـــة العربية المختلفة ما يحفزها الى رفض المذلة والخضوع ، وهي فوق ذلك كله ستخسر كل ما حققته خلال السنوات الماضية اذا القت السلاح·

وفوق ذلك فهناك اجيال لديها خبرات سياسية وعسكرية ، نظريـة وتنظيمية كافية لمواصلة الثورة بشكل او آخر مهما كانت العقبات ·

٢ ـ الموقف العربي: ان الموقف العربي العام محصلة لصراع القوى في الواقع العربي · وصـــراع القوى في الواقع العربي لمصـــلحة استمرار الثورة على المدى البعيد ، ولكنه وعلى الرغم من كل مـــا يجري ، لا يمنع استمرار الثورة على المدى القريب وذلـك للاسباب التالية :

١ ـ ان الاحتلال الصهيوني عدوان على الجماهير العربية كلهـــا وهو عدوان رفضته هذه الجماهير واثبتت مرارا وتكرارا انها على استعـــداد لمقاومتـــة · ولذلـــك فـــان هـــذا الاحتـــلال لـــن

يصبح مقبولا ، ولن تستطيع اية قوة ان تجعله مقبولا مهما فعلت وهذا يسهل امر مقاومته من جهة ، ويجعل ذلك ممكنا دائما خاصة اذا استخدمنا اساليب مناسبة كما انه يعرقل خطوات السائرين على طريق التصفية او التسوية .

ب ـ ان الامبريالية الاميركية اتخذت منذ اوائل الاربعينات مواقف معادية لشعبنا ، فتبنت مشروع قيام دولة صهيونية، وايدته. وعندما اقامت الدولة المشار اليها عملت على حمايتها وتزويدها بكل اسباب القوة . كما ان الامبريالية الاميركية لعبت منذ اوائل الخمسينات دورا اساسيا في محاولة تمكين سيطرتها على البلاد العربية والمحافظة على الانظمة والقوى الرجعية فيها . هذا بالاضافة الى كونها اكبر قوة امبريالية عالمية واخطر هذه القوى على مستقبل البشرية . وهذا كله جعل الامبريالية الاميركية قوة معادية لجماهيرنا العربية. وجعل «التعامل» معها أمرا مكروها . ولهذا فان خط القوى الرجعية العربية التي تعمل على اساس التحالف مع الولايات المتحدة الاميركية وفتح الابواب التي اغلقتها الجماهير العربية في وجهها خط يتعارض مع ارادة الجماهير العربية وبما في ذلك قناعاتها ومواقفها،وهو خط لا يمكن ان يستقر له الامر حتى لو استخدم كل وسائل القمع والارهاب.

ج ـ ان للجماهير العربية في طول الوطن العربي وعرضه قضايا ومصالح تدوسها الانظمة القائمة ومشاكل اساسية لم تحل بعد ، ابتداء من الاراضي العربية المحتلة ، عبر الاستغلال والتخلف الاقتصادي وانتهاء بالقمع والاضطهاد . وهذه المشاكل الاساسية تجعل الجماهير الثورية ضد الانظمة والقوى الرجعية الجديدة والقديمة . ومع القتال ضد العدو الصهيوني والاميركي ضد الاستسلام والتسوية. ومع الثورة الديمقراطية الشعبية العربية ضد الاضطهاد والاستغلال والتخلف والتجزئة الخ. ولذلك كله فان معظم الانظمة مع التسوية ، لان التسوية تضمن لها الاستقرار والسلامة . ولكن معظم الجماهير مع الثورة . ومعظم الانظمة بالطبع مع

المصالحة مع الولايات المتحدة الاميركية والمهادنة مع الاحتلال الصهيوني، ولكن معظم الجماهير مع محاربتهما، وهكذا تكون سياسة التسوية مرهونة بانظمة تناقض خططها ارادة جماهيرها الثورية ، ولهذا كله فان محصلة صراع الواقع العربي ليست لمصلحة الثورة والاستسلام لا على المدى القريب ولا على المدى البعيد ·

٣ ـ الصراع ضمن التسوية : وهناك ايضا صراع معقد ضمن التسوية · ويقوم هذا الصراع على ما يلي :

أ ـ ان القوى الامبريالية تتدهور على الصعيد العالمي ، وتتقدم حركة الشعوب بخطى حثيثة · وتدهور الواقع الامبريالي القائم يقود الى سقوط كل المخططات التي تحاول الامبريالية تثبيتها الان· ان وضع الامبريالية يتدهور بسرعة كبيرة ولن يستطيع الواقع الذي فرضته في هذه الايام ان يقف امام التيار الجارف الجاري ·

ب ـ ان الامبريالية الاميركية ليس من مصلحتها ان تضعف دولة الاحتلال الصهيوني في المرحلة الحالية اضعافا شديدا بان تفرض عليها تراجعات كبيرة · لان ذلك سيهز وضع الامبريالية الاميركية في الداخل والخارج ، كما انه سيفقدها اهم اوراقها التي تراهن عليها في البلاد العربية ولذلك فان اية تراجعات تفرض على دولة الاحتلال الصهيوني لا بد من ان تواكبها تنازلات اكبر تفرض على الواقع العربي ، وعوامل دعم تقدم لدولة الاحتلال الصهيوني · وهذا ما حدث بعد حرب تشرين بالضبط· تراجعت دولة الاحتلال الصهيوني تراجعات جزئية صغيرة (في سيناء والجولان) واخذت بالمقابل مقادير من الاسلحة والاموال كبيرة جدا ، وتنازلات سياسية هامة تبدو واضحة في الحياة السياسية العربية ·

د ـ ان دولة الاحتلال الصهيوني لم تهزم في الحرب بعد ، ولم تبلغ الضغوط السياسية المباشرة حدا يجعلها مجبرة على التنازل · ولذلك فان انتظار تنازلات منها انتظار في غير محله · واذا كان

السياق العام للاحداث يضعف وضعها العام، ويدفعها باتجاه الازمة المستفحلة ، فان ذلك لا يعني ان تقدم التنازلات بسهولة، وان ترضى «بالمقدر» و «المرسوم» . انها ستقاوم بضراوة وستحاول ان تحافظ ما استطاعت الى ذلك سبيلا على قوتها وجبروتها واحتلالها .

ولذلك كله فان استعداد دولة الاحتلال الصهيوني والامبريالية الاميركية لتقديم التنازلات محدود . وهو مرهون بتقديم تنازلات مقابلة افدح واخطر . واذا كانت التنازلات التي تقبل دولة الاحتلال الصهيوني والامبريالية الاميركية ان تقدمها الان لا تهم قطاعات واسعة من الجماهير العربية ، ولا تحل اشكالات احد ، ولا ترضي مطامح احد فان التنازلات التي تطالب بتقديمها تمس كرامة كل الجماهير العربية وامنها وحريتها .

ان ما تقبل الامبريالية الاميركية ودولة الاحتلال الصهيوني بتقديمه دون ما تطالب به الانظمة والقوى الرجعية بكثير ، وما تطالب به الامبريالية ودولة الاحتلال الصهيوني فوق ما تستطيع الانظمة العربية المساومة تنفيذه . واولهما لا تعتبره الجماهير من مطالبها، ولا ترى فيه تعبيرا عن طموحها . وثانيهما تعتبره، الجماهير العربية مسّاً بمصالحها. وانهاء لحريتها وكرامتها الوطنية .

وهذه عقد كبيرة على طريق اية تسوية يجب ان ينظر اليها باهتمام كبير ، لان الذي لا يراها لا يرى من امور التسوية غير مناورات الاحتلال الصهيوني ومؤامرات الامبريالية الاميركية وقمع انظمة متداعية .

وضع المقاومة في لبنان

ـ ٩ ـ

ومع ذلك كله فلا بد لنا من ان ندرس وضع المقاومة في لبنان على ضوء الظروف الجديدة . ان تحولات حدثت وضعت المقاومة كلها في وضع جديد . واهم هذه التحولات ما يلي :

١ ـ لبنان الان تحكمه العوامل التالية :

أ) قوة الردع العربية هي التي تحكم المناطق الوطنية من لبنان ، وقوة الردع سورية في الاساس مغطاة عربيا . وهـذا يعني ـ كما ذكرت سابقا ـ اننـــا في ظل السلطة السورية ، بعد ان اكتسبت قوة جديدة ، هي قوة الغطاء العربي .

ب) القوى الرجعية الفاشية تسيطر على مناطقها بقوة . والقوات السورية التي دخلت لبنان ، جاءت بالتحالف معها ، ولذلـك فانها ما زالت تتصرف بثقة ، وتشارك في صنع سياسة لبنان، مشاركة فعالة . كما انها ما زالت تعزز سيطرتها على مناطقها .

ج) اما القوى الوطنية والتقدمية فان دورها ضعيف ، وموقفهـــا تزعزع وتراجع ، امام دخول القوات السورية والقوات العربية .

د) وضعف موقف المقاومة السياسي والعسكري بعد مؤتمـــري الرياض والقاهرة ودخول قوات الردع العربية في معظم المناطق الوطنية ، لان المقاومة اصبحت مطوقة تماما .

٢ ـ وهناك هجمة «عربية» شرسة على المقاومة تتجلى فيما يلي :

أ) الهجوم المصري على المقاومة الذي اشتد منذ توقيع اتفاقية سيناء . وقد تراجع هذا الهجوم الشرس، بعد الهجوم السوري على لبنان . ولكن السياسة المصرية ازاء القضية الفلسطينية لم تتغير، وان كانت القيادة المصرية قد حاولت استثمار الضربة السورية جيدا ، من خلال استخدام المقاومة للحد من سياسة «المنافسة» السورية ، واحتواء المقاومة من خلال استغلال ظرفها الصعب .

ب) الهجوم السوري على المقاومة سياسيا وعسكريا واستخدام كل امكانيات سورية لضرب الثورة . وهذه السياسة ما زالت مستمرة بوسائل مختلفة على الرغم من كل المراوغات والتصريحات .

ج) التاييد العربي الرسمي الذي اعطي للسياسة المصرية ـ السورية في مؤتمري الرياض والقاهرة، والصمت الكامل الذي تلتزمه معظم الانظمة العربية ازاء ما يجري .

د) سياسة القمع التي تنتهجها معظم الانظمة العربية ضد جماهيرها والحريات الديمقراطية فيها والتطورات التي حدثت في الكويت والبحرين على هذا الصعيد .

هـ) السياسة المتبعة ازاء المقاومة الفلسطينية على الصعيد العربي، والتي تجلت في الحملات الاعلامية والسياسية والعسكرية، وفي محاولة اخماد صوتها ومنع الصحافة العربية ووسائل الاعلام الاخرى من ان تكون منبرا لها بأي شكل من الاشكال . ولذلك تبذل المساعي لاخضاع اعلام المقاومة في لبنان للسياسة الاعلامية الجديدة ، وتمنع الصحف ووسائل الاعلام من نشر اي خبر او صورة عن المقاومة ، وتخضع الكويت صحفها

ووسائل اعلامها للرقابة وللاجراءات التعسفية ، كما ان مصر وسورية ملتزمتان بخطة مؤتمري الرياض والقاهرة الخ ...

٣ ـ وهناك اصرار ضمن الخطة الجديدة على نزع السلاح من ايدي المقاومة . والحجج مختلفة . منها ان جبهة الكفور لن تسلم اسلحتها اذا لم تسلم المقاومة اسلحتها ، ومنها ان سلاح المقاومة يجب ان يكون في الجنوب . ومنها ان السلاح لا حاجة اليه في المدن الخ .. الخ ... والموضوع في الواقع ليس موضوع السلاح الثقيل وحده. والسلاح الثقيل اول الغيث قطر ثم ينهمر. والقضية تتعلق بالسيطرة على السلاح كله والمقاتلين كلهم ، وان استخدمت وسائل واساليب مختلفة .

ان هذا كله يجعل الحديث عن تطبيق اتفاق القاهرة نوعا من الدجل والاحتيال، لان كل مقومات تطبيق اتفاق القاهرة قد سقطت ـ كما ذكرنا . ولان تنفيذ اتفاق القاهرة يحتاج الى الاعتراف اولا بحق المقاومة في البقاء مقاومة ، وحقها في ان تنظم وتعبىء وتدرب جماهيرها . وهذا ما يبدو واضحا ان السياسة السورية خاصة والعربية الرسمية عامة لا تعترف به .

ولهذا فان طرح قضية تنفيذ اتفاق القاهرة لا تعدو ان تكون ذرا للرماد في العيون ، وكسبا للوقت، وتبريرا لاجراءات تؤخذ لاخضاع المقاومة باسم «الضبط» وتنفيذ الاتفاقيات .

واستنادا الى ذلك فاننا نقول بأن المقاومة في لبنان الان لا تخضع لاتفاق القاهرة سنة ٦٩ ، بل لقرارات مؤتمري الرياض والقاهرة سنة ١٩٧٦ .

ومن هنا فاننا نستطيع ان نستنتج ما يلي :

اولا : ان وضع المقاومة في كل لبنان مهدد ، وان التهديد الاساسي

ياتيه من سياســـة سورية الحالية خاصـــة وسياسة المحور السعودي ـ المصري ـ السوري عامة ٠

ثانيا : ان القوى الرجعية الفاشية تلعب دورا هاما في هذا المجال ، وهو جـــزء من الدور الاساسي الذي تلعبه سياســـة المحور المذكور ، ولكنه دور يكتسب خطورته من سياسة المحور المشار اليـــه ٠

ثالثا : ان سياسة جمع السلاح ونزعه مقررة ضمن هذا المخطـــط ولكنها ستنفذ على مهل ، وبأساليب ملتوية ومختلفة، وذلك من اجل خلع الاضراس باقل الآلام الممكنة ، ان امكن ذلك ٠

رابعا : ان لبنان كله سيخضع لهذه السياسة من شماله الى جنوبه، ولن تستثنى اية منطقة ٠ ولكن تطبيق هذه السياسة سيتم على خطوات وبأساليب مختلفة ٠

المقاومة والجنوب

- ١٠ -

واذا كان وضع المقاومة في لبنان حرجا خطرا فهل سيكون وضع الجنوب مناسبا وآمنا ؟ سؤال يجب ان يجاب عليه ، حتى لا تاخذنا الاوهام ٠

ولكن قبل ان نبدأ بالاجابة لا بد لنا من الاشارة لحقيقتين :

اولاهما : ان الجنوب جزء من لبنان ، وسوف يخضع للسياسة التي يخضع لها لبنان كله ٠ ولا يمكن ان تسود في الجنوب سياسة وفي لبنان سياسة اخرى ٠ ما دام الجنوب جزء من لبنان ٠

وثانيهما : ان ما شهده لبنان مرتبط بموقف القوى المعادية للمقاومة من وجودها في لبنان عامة والجنوب خاصة ٠

وبذلك فانه لا يمكن التصور ان يتاح في الجنوب ما لا يتاح في لبنان ، وان يكون الجنوب مرتعا خصبا للمقاومة في الوقت الذي تجرد فيه المقاومة في بيروت من السلاح ، ويشدد عليها الحصار ٠

وفوق ذلك فان الجنوب هو مكان الاحتكاك مع العدو ، وعدم المساس بحرية المقاومة في الجنوب ،سيكون متناقضا مع الخط السياسي المنتهج مع المقاومة في بيروت ودمشق والرياض وعمان والقاهرة ، ان هذه العواصم ، وهذا ليس موقفها وحدها ، تسعى لان تكون المقاومة بعض فعالياتها وبرامجها ، وهي تغلق عليها الافاق ، وتشدد عليها الحصار ، فكيف يمكن ان تسمح لها ، وبموافقتها ، ان

تستثمر نقطة تماس واحدة مع العدو ؟ الا يشعل ذلك المنطقة العربية كلها، ويعطي للمقاومة منطلقا قويا تستطيع ان تهز المنطقة كلها منه؟

وانه لكذلك · فكيف اذن يشدد الحصار على المقاومة في كل مكان ويطلق العنان لهـــا في جنوب لبنان ؟ ولماذا تقبـــل الدول والقوى المحاصرة بترك هذه الثغرة مفتوحة ، وهي تعلم ان بقاءها مفتوحـة يهدم كل الاسوار التي تقام من حول المقاومة !··

ان ذلك كله يجعلنا نعتقد ان الجنوب سيخضع للسياسة عينها التي يخضع لها لبنان كله ، وان تاخير سحب الاسلحة منه لن يجعله فـي منأى عن هذه السياسة · ولعل أمره أشبه ما يكون بأمـــر احراش جرش وعجلون في الاردن ·

واذا كان مطلوبا اخضاع المقاومة للسياسة العربية الرسمية في دمشق والقاهرة وعمان ، فان هـــذا يتطلب ان تتخلى المقاومة عن وجودها الشعبي المقاتل ، وان تغير من تكوينها السياسي ، وان تفقد استقلاليتها · وهي لا تفقد ذلك كله اذا كان لها منفذ واحد كالجنوب تمارس منه عملها ، وتحظى فيه بحرية الحركة ·

ثم ان الجنـوب نقطة التماس مع العـدو الصهيونـي · والعدو الصهيوني يسعى لتعطيل هذا التماس وهو لذلك ينتهج سياسة خاصة بالجنوب تقوم على ما يلي :

١ ــ الهجوم على قواعد المقاومة ومخيماتها وضرب كل تحركاتها· واذا كانت هذه السياسة قد توقفت خلال الحرب في لبنان، فليس معنى ذلك انها استنفدت اغراضها ·

٢ ــ استثارة الدولة صاحبة العلاقة ودفعها لاتخاذ موقف معـاد من المقاومة · وهذا ما حصل في الاردن سابقا ولبنان ·

٣ ــ استثارة الجماهير ضد وجود المقاومة وتحريضها عليها ·

ودولة الاحتلال تفعل ذلك كله ، وقد استطاعت ان تدفع الدولة اللبنانية الى شن حروب على المقاومة كما استطاعت ان تساهم في تكوين رأي عام معاد لدى قسم من الجماهير وان تنسق الخطوات مع القوى العميلة ٠

ودولة الاحتلال الصهيوني ، بعد هذا كله لن تقبل من دمشق ان تقيم الامن والسلام في لبنان ، ثم تسمح للمقاومة بشن الحرب ٠

وهكذا يكون وضع المقاومة في الجنوب محكوما بالعوامل التالية :

١ ـ السلطة اللبنانية القديمة ام الجديدة ، وموقفها العدائي من المقاومة ٠

٢ ـ القوى الرجعية الانعزالية وموقفها المعادي من المقاومة ٠

٣ ـ النظام السوري وموقفه من المقاومة ، مؤيدا من محور عربي سياسي كامل ٠

٤ ـ القوى الجماهيرية المعادية سيان كانت من زلم الاقطاع واجهزة الدولة أو كانت من مجندي النظام السوري (امل واتحاد قوى الشعب العامل الخ) ٠

٥ ـ دولة الاحتلال الصهيوني وموقفها المعادي الذي لا مناورة فيه ولا مجال للمداورة ٠

وهذه الاسوار الاربعة تقف ما بين المقاومة واداء مهماتها من كل الجوانب ، وستعمل على محاصرتها وتفتيت قواها وشل ارادتها ولن تسمح لها بالعمل ما استطاعت الى ذلك سبيلا ٠

ولكن هل معنى ذلك ان نترك الجنوب او نهمله ؟

لا طبعا ٠ علينا ان نسعى للمحافظة عليه وان نبذل كل الجهود

لاستمرار وجودنا فيه ، واستمراره نقطة تماس · ولكن ذلك يتطلب ما يلي :

أ ـ التمسك بسياسة استمرار الكفاح المسلح واستمرار القتال ضد العدو ومعارضة سياسات التسوية والاستسلام ·

ب ـ النضال للمحافظة على حرية ارادتنا وحركتنا ورفض الالتزام بالسياسة العربية الرسمية ، وخاصـــة السياسة المصرية ـ السورية ـ السعودية ·

جـ ـ النضال للدفاع عن مواقعنا في كل مكان ، والمحافظة عليها· لان حماية الجنوب في بيروت والمواقع الاخرى وسقوط مواقعنا واحدا وراء الاخر لن يسمح ببقائنا في الجنوب ·

د ـ انتهاج سياسة هجومية ضد العدو الصهيوني داخـل الارض المحتلة وخارجها ، واختراق الاسوار كلها الى الارض المحتلة·

هـ ـ تعبئة جماهيرنا العربية بروح التصدي واستمرار القتـــال ومجابهة سياسات التسوية ··

وبذلك كله نستطيع ان نحرج القوى المعـــادية وان نحافظ على معنويات مقاتلينا ومناضلينا وشعبنا ، وان نواصل المسيرة ·

اما القبول بالسياسات الرسمية والتنـــازل عن حريتنا وارادتنا ومواقعنا في المدن ، فلن يقود الى جعل الجنوب قاعدة آمنة ومنطلقا مجديا ، بل سيجعله احراش جرش وعجلون الجديدة ·

ان اهمية الجنوب تنبع من كونه نقطة تماس مع العدو ، ومركـز تحشد وعمل نملك حرية ارادتنا فيه· وهو يظل كذلك ما دمنا نواصل التماس مع العدو بحريتنا واختيارنا ، وما دمنا نستطيع حمايـــة مواقعنا في الجنوب · ولكنا في اللحظة التي نفقد فيها ذلك كله نفقـد كل شيء ·

ولقد كان لنا من جنوب سورية درس لا ينسى . فنحن هناك كانت لنا قواعد ، ولكنا لم نكن قادرين على حمايتها من دمشق . ولذلك فقد اصبحت هذه القواعد خبرا بعد عين حين ارادت دمشق ذلك ..

وهذا ما تريده دمشق اليوم في جنوب لبنـــان ، ويجب الا تكون قادرة عليـه .

والجنوب يجب ان يبقى نقطة تماس ، ومنطقة غير خاضعة لاحـد غير قرارنا وارادتنا . وذلك لا يكون باستسلامنا في المناطق الاخرى .

خطان يتصارعان

ـ ١١ ـ

وبعد ذلك كله ، فهناك خطان يتنازعان في هـذه المنطقة العربية · وصراعهما يحتد ويتصاعد على مرور السنين · ولسوف يظل محتدا متصاعدا حتى يندحر الاحتلال الصهيوني والامبريالية الاميركيـة وتسقط القوى الرجعية العميلة والمرتبطة والمعيقة لحركة الثـورة الديمقراطية الشعبية · وهذان الخطان هما :

اولا : خط الثورة والجماهير وهو الخط الذي بدأ منـذ الثورة العرابية ، يصارع المحتلين الاجانب والقوى الرجعية المحلية ويعمل من اجل دحر الاحتلال الاجنبي واقامة سلطة وطنية محلية·ثم اخذت الدعوة القومية والدعاوة القومية تحتل فيه مكانا متعاظم القوة ·

وكان هذا الخط «الشعبي» منذ البدء يتزايد «شعبية» مـع مرور السنين ، ويضعف دور القيادات التقليدية والبرجوازية ، حتى اصبح قادته من تحالف الطبقات الشعبية حقا ، وخير مثال على ذلك الثورة الجزائرية والثورة الفلسطينية وان كان هذا التحالف ما زال متخلفا ببرنامجه والوعي الايديولوجي السائد فيه ·

ثانيا : خط التحالف الامبريالي ـ الرجعي وهو الخط الذي هزم ثورة عرابي وحكم الوطن العربي منذ العشرينات بشكل او باخر · وكان هذا الخط يمثل تحالف القوى الامبريالية ، كل قوة في اماكن معينة ، مع كبار المـلاكين العقاريين واشـباه الاقطاعيين وزعماء العشائر والقوى الكمبرادورية الناشئة او القائمة · وظل الامر كذلك

حتى سقطت آخر مواقع الاستعمارين البريطاني والفرنسي في الوطن العربي مع بداية الستينات · وظل الامر كذلك حتى بدات الولايات المتحدة الاميركية رائدة الامبريالية الجديدة تسعى لاقامة علاقات جديدة مع القوى التي احتلت مواقع القوى البائدة من التحالف السابق · وكان ان نجحت الامبريالية الجديدة في انشاء علاقات وتطويرها منذ اواخر الستينات واوائل السبعينات · ولذلك فهنالك الان تحالف جديد يضم الولايات المتحدة الاميركية والقوى الرجعية القديمة في الاردن والكويت والسعودية والمغرب مع القوى الرجعية الجديدة في مصر وسورية والسودان ·

والصراع يدور بين هذين الخطين في هذه المرحلة الجديدة · وهو صراع تحاول فيه الولايات المتحدة الاميركية وحلفاؤها والمراهنون عليها من الرجعيين القدم والجدد ان تضرب قوى الثورة الديمقراطية الشعبية من جهة ، وان تحسن من وضع قوى هذا التحالف من جهة اخرى ·

ولذلك تشتد حملات القوى الرجعية المتحالفة مع الولاياتالمتحدة الاميركية على قوى الثورة القومية الديمقراطية الشعبية العربية في كل مكان· وحيث تضعف القوى الرجعية في قطر تسندها قوىاخرى· وقد دلت تجربة عمان على مدى استعداد الرجعية العربية لمساندة رجعية محلية محاصرة ومهددة بخطر الثورة · كما دلت على ان الرجعية المحلية المهددة لا تتوانى عن الاستنجاد باية قوة خارجية ، كما حدث حين استنجدت سلطنة عمان بايران · واكدت هذه الحقيقة تجربة الاردن ، كما عادت فاكدتها تجربة لبنان ·

وتؤكد هذه التجارب ، وغيرها ، ان القوى الرجعية المحلية تعمل ضمن مخطط امبريالي اميركي بالطبع رجعي موحد ومنسق وان الولايات المتحدة الاميركية تقدم كل المساعدة الممكنة لنجاح هذا المخطط · كما تدل الوقائع على ان هذه القوى الرجعية ليس لديها اي

مانع او وازع من التعامل مع القوى الرجعية والامبريالية الاخرى ، المعادية لشعبنا وذات المطامع التوسعية ، كما حدث بالنسبة لايران فيما يتعلق بقضايا الخليج العربي ، وبالنسبة لدولة الاحتلال الصهيوني فيما يتعلق بالصراع العربي ـ الصهيوني · لقد تعاملت الدول العربية في الخليج العربي مع ايران بشكل او باخر ، ضد القوى الوطنية هناك · ووصل الامر ببعضها ان تستنجد بايران للقضاء على الثورة كما حدث في عمان ، ووصل الامر ببعضها الاخر ان ينسق مع الحكومة الايرانية ·

وما حدث بالنسبة لايران حدث بالنسبة لدولة الاحتلال الصهيوني· ان هناك تعاونا وثيقا بين قوى جبهة الكفور ودولة الاحتلال الصهيوني ، وليس هذا سرا· كما ان هناك تنسيقا بين الاردن ودولة العدو · وهناك نشاطات تقوم بها مصر وسورية لصالحة مسالة العدو الصهيوني ·

ان هذا كله والقوى الرجعية العربية تلقى مساندة كبيرة من الامبريالية الامريكية تساعدها على تثبيت نفسها وحل اشكالاتها · فمن جهة تقدم الامبريالية تنازلات كبيرة في مجالات السياسة والاقتصاد والعلاقات ، فتصبح هذه الدول اكثر استقلالا واكثر قدرة على التحديث ، واكثر مرونة في علاقاتها · والامبريالية تفعل ذلك نتيجة تطور الوضع العالمي من جهة ونتيجة تناقضاتها الداخلية· ولكنها تفعلها ضمن مخططها الجديد لضمان مصالحها ، وضمن الصيغة الجديدة للدفاع عن هذه المصالح · والامبريالية الامريكية خاصة ، والامبريالية عموما ، مع تحديث المجتمعات المتخلفة الان للاسباب التالية :

١ ـ لان بقاء التخلف الشديد والقيادات التقليدية المتحجرة سيدفع حتما الى اشد الثورات عنفا ، كما حدث في جنوب شرقي آسيا · ولسوف يقود الى فرض اقصى الخسائر المادية والمعنوية على

الامبريالية · وهذا ما ليست الامبريالية بحاجة اليـــه ، ولا قادرة عليه الان ، كما كانت قادرة عليه في الماضي ·

٢ ـ لان اشكال العلاقات القديمة وانماط الحكم البالية لا تلبي حاجات الامبريالية الجديدة · انها تفي بحاجات الاستعمار القديم · اما الاستعمار الجديد فيحتاج الى علاقات اخـــرى من نوع جديد ، مثل العلاقات التي تقـــوم بين ايران والسعودية والكويت مثـــلا والامبريالية الاميركية ·

ومن الجهة الاخرى فان هذه القوى الرجعية القديمة والجديـــدة تعمل على توطيد علاقاتها وازالة ما بينها من تناقضات · وهي تسعى الى ذلك لتكون قادرة على مواجهة حركة الثورة العربية ·

ولما كانت الثورة الفلسطينية طليعة من طلائـع الثورة العربية ، ومحركا من محركاتها الاساسية الان ، ومحرضا على الامبرياليـــة والاحتلال والقوى الخائنة والمتخاذلة والمساومة ، فان ضربها يصبح مهمة مركزية لهذه القوى · ان هذا التعاون بين القوى الرجعيـــة العربية ، القديمة والجديدة ، وهذا التنسيق بين هذه القوى الرجعية والامبريالية الاميركية خاصة ، والامبريالية عامة، يضع قوى الثورة القومية الديمقراطية الشعبية امام واقع جديد · وهذا الواقع يتسم بما يلي :

١ ـ ان القوى الرجعية العربية ، القديمة والجديدة ، اكثر قـوة وتماسكا ، من ناحية ، فقد استطاعت نتيجة الثروة النفطية في بعض البلدان ، كالكويت والمملكة السعودية ، ان تستوعب بعض القـــوى الجماهيرية في اجهزتهـــا ومشاريعها ، وان تربط قطـــاعات من الانتلجنسيا والفقراء بها · كما انها استطاعـت في بلـدان اخـرى كمصر وسورية ان تستوعب قطاعـــات جماهيرية ، نتيجة التحولات التي حدثت بعد ضرب الاقطاع والكمبرادور وانشاء القطاع العام ، وسيطرة شرائح من البرجوازية الصغيرة على السلطة · كمـــا ان

هذه القوى استطاعت ان تنشيء جيوشا واجهزة قمع على قدر كبير من الولاء · وهذه القوى تستطيع ان تدافع عن القوى الحاكمة بكفاءة مختلفة عن كفاءة اجهزة القوتلي ونوري السعيد وفاروق وامـــام اليمن الخ ···

٢ ـ أن القوى الرجعية العربية القديمة والجديدة اكثر حرصـــا اليوم على التعاون فيما بينها على الرغم من كل الخلافات ، واكثر استعدادا للدفاع بعضها عن بعضها الاخر · ان السلطات في مصر ملتزمة بنظام النميري ضـــد كل القوى الوطنيـــة والديمقراطية · والسلطات في سورية ومصر والسعودية ملتزمة بالانظمة الرجعيـــة العربية في كل مكان حتى عندما يختلف بعض القوى الرجعية مـــع بعضها الاخر · وهكذا التزمت الرجعيات الاوروبية بعضها ببعضها الاخر خلال النصف الاول من القرن الماضي ضد مد الثورة المتصاعد· والتزام القوى الرجعية بعضها ببعضها الاخر ، يجعـل قوى الثورة مطاردة في كل مكان ، ومن اكثر من جهة وباكثر من قوة ·

ان القوى الرجعية العربية ، القديمة والجديدة اكثـــر استعدادا اليوم لاعادة النظر في علاقاتها الخارجية والداخلية علـى ضوء مـا ضمن بقاءها وقوتها واعادة تنظيم علاقاتها مع النظـام الرأسمالي العالمي · وهذه الحركة تعطيها مجـــالات أوسع للمناورة ، وتفتيت الجبهات الوطنيةالواسعة ولمجابهة قوى الثورة · انها تناضل ضـد التبعية المطلقة للامبريالية ، كما كانت من قبل وهي تفعل ذلك نتيجـة مجموعة من التطورات اشرنا اليها· ولكنها تفعل ذلك وهي واعية ما تفعل قادرة عليه·وهذا ما تدركه الامبريالية عامةوالامبرياليةالاميركية خاصة · ولذلك فانها تقدم هذه التنازلات · وعملية التغيير هذه في العلاقات تتم وســـط عملية شد ورخي معقدة لا تقبلهـــا الامبريالية بسهولة ولا تحصل عليها القوى الرجعية بسهولة ، ولكنها تحـــدث وسط وعي الطرفين ، الرجعية والامبريالية لما يحدث وقناعتهما به ، وعملهما من اجله وتحويل التبعية الى علاقة ارتباط مسيسة ومعقلنة تعطيها قوة مادية ومعنوية ، وتسقط عنها كثيرا من سلبيات التبعيـة

المطلقة السابقة · ويستطيع منظرون ماركسيون جـــدا ، مع الثورة الثقافية في الصين ان يسموا هذا الخط «استقلاليا» ويعطوه كـــل صفات الوطنية والتقدمية ·

وهي في علاقاتها الداخلية مستعدة لوضع التشريعات اللازمـــة لتحديث الادارة وانشاء بعض الخدمات وسن بعض القوانين· ان ذلك يضعها على عتبة المجتمع المدني ، ويسقط كثيرا من واجهات التخلف ويزيل شيئا من التناقض الشديد بين الواقع والتطلعات ولذلك فـان هذا كله يستوعب قطاعات من القوى الكادحـــة وذات المصلحة في الثورة ضمن اطار عجلة الدولة ·

وهذا التطور يحاول ان يسابق خطوات الثورة وان يجهضها ·

ان هذا يعني ان الامبريالية الاميركية والقوى الرجعية العربيـــة تنظم قواها وتغير اساليبها وتطور اساليب مواجهتها · اما القـوى الوطنية فانها ما زالت مكانها تفكر باساليب الخمسينات وتعمـــل بالاساليب ذاتها · والصراع ما زال مستمرا ولذلـــك تبدو القوى الوطنية مهزوزة وهي تتراجع بينما تبدو القوى الرجعية واثقة وهي تتقدم· فالرجعية تداركت نفسها، اما القوى الوطنية فانها لم تعد نفسها للمعركة · ومع ذلك ظلت المعركة مستمرة وبدأ التراجع ·· فهـــل يستمر ؟

خـــاتمـــة

حين كتبت هذه المقالات كان الوضع في لبنان مشتعلا ، والرياح متضاربة · وكان يهمنا ان ندافع عن المقاومـة ، ووحـدة لبـــنان وعروبته · لاننا كنا نعتبر ان هذه هي المهمة الرئيسية لنا ·

ولقد كنا نعلم حقيقة الوضع كله : تركيب المقاومة والقـــوى الوطنية والتقدمية ، المخاطر المحيقة بلبنان ، ومنها مخاطر التدخـل الخارجي · وكنا نعلم أن عدم تصميم قيادة المقاومة على خـــوض المعركة ، ومحاولاتها المستمرة لمساومة القوى المختلفة ، وعجـــز القوى الوطنية والتقدمية عن حشد قوى جماهير الشعب اللبنـــاني للمواجهة ، سوف يقود الى تراجعات ، وربما انتكاسات كبيرة ···

ولقد حددنا ذلك كله في اجتماعات ولقاءات · وان كان الوهم احيانا ، وعدم القدرة على فهم الظروف المعقدة في احيان اخرى ، قد قاد الكثيرين الى توهم النصر السهل ···

ومع ذلك ، فقد كنا مع القتال ، ونحن ندرك هذه الظروف ، لاننا نرى ان ممارسة القتال ، وتحمل اعبائه ضروريان لتمـرس الشعب ، وضروريان لتكبيد الاعداء خسائر فادحة ، وضروريان لاعطاء القضايا

الوطنية كل جديتها • ولم يكن لدينا وهم حول ما يجري ، ولا كانت التمنيات تقودنا الى توقع الانتصارات الحاسمة • وان كنا نعبيء لمزيد من الصمود والنضال ، ونعمل بكل ما أوتينا لدفع الهزيمة ، وتحقيق ظروف افضل لوقف القتال •

الا ان ما ناضلنا من اجله لم يتحقق كله ، لان قوى المقاومة لم تحشد جيدا ، ولم تستخدم جيدا ، ولان القوى الوطنية والتقدمية لم تستطع ان تواجه الهجمة الشرسة بتنظيم صفوفها وتطوير استخدامها لقواها • ولان المقاومة والقوى الوطنية لم تدركا ان حصول فراغ سياسي ، وعدم قيام شكل من اشكال السلطة الجماهيرية ، سيتيح الفرصة للصوص والقتلة و « الزعران » ان يعبثوا ، وان مثل هذا الوضع من بين عوامل اخرى ، سيقود الى تدهور الوضع العام ، واتساع نطاق التخريب ، ويأس قطاعات من الشعب •••

كما ان المقاومة والقوى الوطنية لم تدركا جيدا ، ان الهجوم والهجوم دائما ، وان الروح الهجومية حتى في الدفاع ، ضروريان للنصر ، وان الروح الدفاعية السلبية ، وعدم حشد القوى وتعبئتها ، والعجز عن القيادة ، لا بد ان تقود الى الهزيمة •••

ولقد كانت تجربة لبنان غنية كتجربة الاردن ، ولكنها لم تدرس دراسة وافية، ولم تقيم جيدا ••• واعتقد انها سوف لاتنال الاهتمام المطلوب ، لان القيادات التي لم تقيم تجربة الاردن ، سوف تكون حريصة على عدم تقييم تجربة لبنان • فالتقييم العلمي يحدد الخطأ والصواب ، ويكشف التقصير والاهمال ، ويبين الاكفاء وغير الاكفاء • وعمل من هذا القبيل يهز « التركيبة » كلها • ولذلك فهو ليس مطلوبا •••

وهذا الكتاب ليس تقييما شاملا ، انه ليس اكثر من ملاحظات ، كتبت خلال القتال ، وكانت تتابعه ، تسجله حينا وتحلله حينا، وتحدد مواقف من الكثير من قضاياه في احيان اخرى .

واني اذ اقدمها للقراء ، فلان وضع لبنان ما زال خطرا ، ولان المخاطر ازدادت على المقاومة والقوى الوطنية والتقدمية ولبنان ...

ولاننا يجب ان نواجه الحقائق ، ونكتب التاريخ ، ونشارك في تحليل الاحداث ، ونتحمل مسؤوليتنا في ذلك كله ...

فهرس

	صفحة
مقدمة	٥
نحو مرحلة جديدة في الثورة الفلسطينية	٧
الحوار والصدام في لبنان	١٥
حول احداث ايار في لبنان	٢١
الاشتباكات في لبنان	٤٠
حول الحرب في لبنان	٧٣
معارك لبنـان والحقائق التي اكدتها	١٠٦
نحن بحاجـة الى وقفة متانية	١٤٠
لماذا حدث ما حدث	١٤٥

اين باتت المقاومة الفلسطينية	١٥١
واخطر المؤامرات التي تواجهها	١٥٦
وهل هناك تسوية	١٦٠
امكانيات الخروج من المازق	١٦٥
هل تسوى القضية الفلسطينية	١٦٩
عقبات في طريق التسوية	١٧٤
وضع المقاومة في لبنان	١٧٩
المقاومة والجنوب	١٨٣
خطان يتصارعان	١٨٨
خاتمة	١٩٥

مكتبة
ناجي علوش